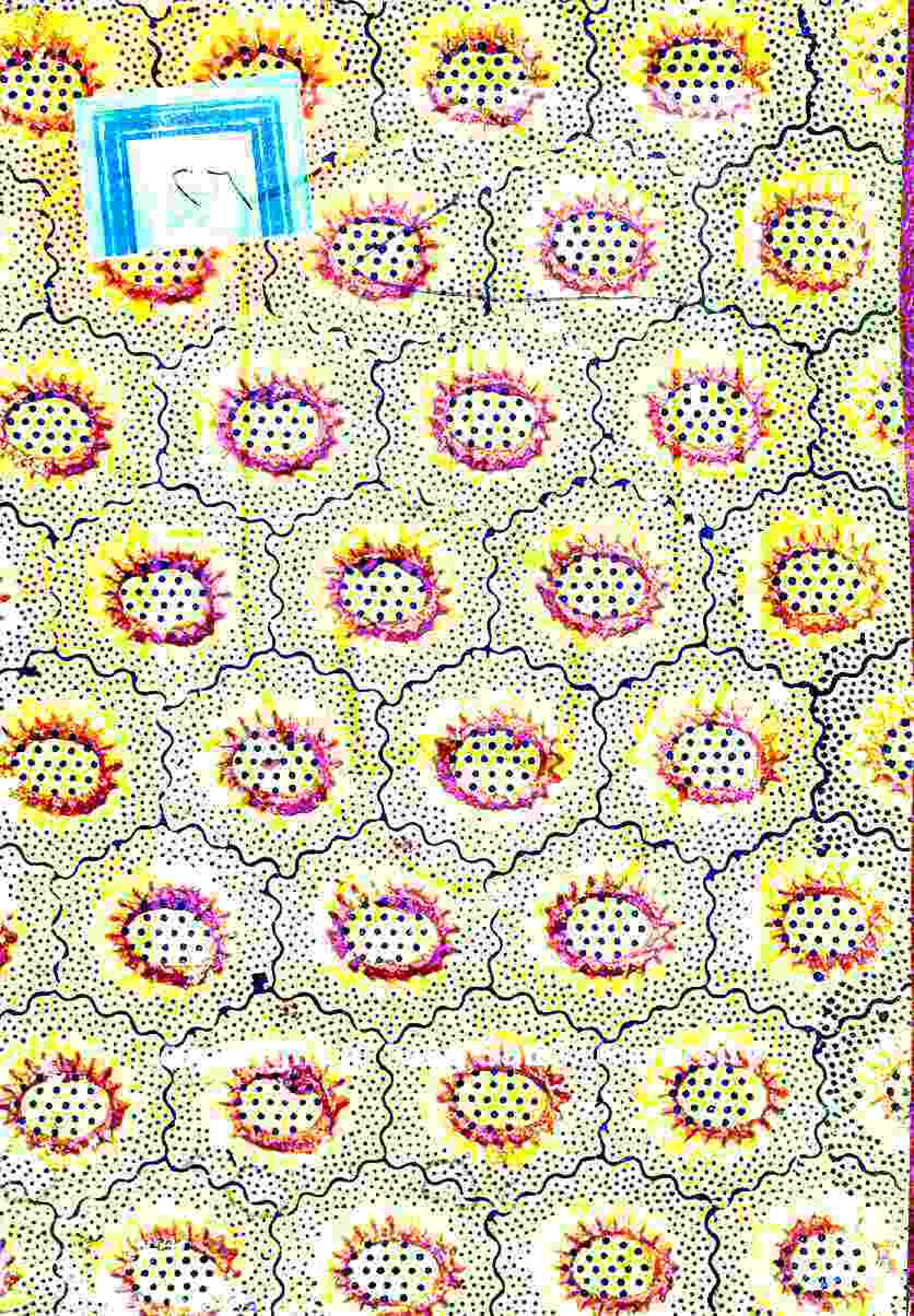


٥٤٦٢

شرح الحكم لابن عطاء

عدد الأوراق ١١٦ ق



ورجاؤهم الانس به انتهى واما غيرهم فيبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال
اليها وطلب الحظ لها فعليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا
وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها
من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم
بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته
وقدره ولا يتعدى طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو
من عامة اصحاب اليمين وسياتي اشارات الى هذه المعنى في مواضع من
كلام المؤلف ان شا الله تعالى وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
والحافظ ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم
قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من
علمك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على ان
انجو بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا
مني فيهما لاني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف باقتراف
الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي
واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه
وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله
وكرمه اولى بي ان كنت حرا عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة وصفاتي
المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل
قلت وهذه الحكايات وامثالها ربما تقرع سمع من لا تحقق عنده من
طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده او يقبله ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا
الحالتين مؤدية لصاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله عبد ليس له بصر في هذه
الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والاوليا وفي ذلك

بحله من الله تعالى او يدعيه مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها
بالمعيار الذي نبهنا عليه وعجلا وجهلا ذلك ممن لم يصح مقام القناعة والغنى فيرتكب حينئذ
مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا من باب
الزندقة والعياذ بالله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة
الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية
الاسباب هاهنا عبارة عما يتوصل به الى غرض مما ينال من الدنيا والتجريد عبارة عن عدم
تشاغله بذلك الشيء وترك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه [illegible] في الاسباب واراد — الحق
هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة الخفية لعدم وقوفه
مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك
نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى
بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما اقامه — لكن
فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يدوم
له ذلك وان تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في
دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة نفس معدم الى غير ذلك
من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى في التجريد واراد هو الخروج منه
الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسقوط درجته وكان واقفا مع شهوته العاجلة لان
التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا اقامه
الحق تعالى في مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو
خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن
ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق وغنى الطمع
والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادته وغلبة انبعاثه الى نيل مقصوده ثم تكون عالية ان
تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر

وقايلة

وقايلة لم علتك الهموم وامرك ممتثل في الامم فقلت ذريني على حالتي فان الهموم بقدر الهمم
وقال اخر اذا اعطشتك اكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا فكن رجلا رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا وما ذكرناه من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شيء
فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك فيه مع حصول
النتايج والله اعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال
بانه واعلم رحمك الله ان من شان العدو ان ياتيك فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره
عندك لتطلب غير ما اقامك الله فيه فيتشوش عليك قلبك ويتكدر وقتك وذلك انه
ياتي للمتسببين فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم
ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرميه
في بحر القطيعة وذلك قصد العدو ومنه لا ياتيك في صورة ناصح اذ لو لم ياتك
في غيرها لم تقبل منه كما اتى ابوينا رضي الله عنهما وقال لهما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم
بيانه وكذلك ياتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب الم تعلموا ان ترك
الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في ايدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم
الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من
الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح به [illegible] عليهم منك الى غير
ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة في الانقطاع
عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها
ويعود الدائم في تسببه احسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد
مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واستقم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان يمنع العباد الرضى عن الله تعالى
فيما هم فيه وان يخرجهم عن مختار الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما ادخلك الله
تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليك وقد ريب

سره ذلك وقايلة [illegible] الاسباب [illegible] فلان وفلان [illegible] مقصد [illegible] نفعه [illegible] بالتجريد [illegible] انما صلاحه في الاسباب [illegible] صح

رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
والمدخل الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا كذلك فانهم والذي
يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك
كما تولى ادخالك وليس الشان ان تترك السبب بل الشان ان يتركك السبب قال
بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم اعد اليه ودخلت
على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قايلا في نفسي ان الوصول الى
الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة
للناس فقال لي من غير ان اسئله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر
فيها فذاق من هذه الطريق شيا فجا الي فقال يا سيدي اخرج عما انا فيه وتفرغ
لصحبتك فقلت له ليس الشان ذا ولكن امكث فيما انت فيه وما اقسم الله تعالى لك
على ايدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وهكذا يكون شان الصديقين
لا يخرجون من شي حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من
عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله
تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم
جليسهم انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما اثبتناه
ههنا على طوله لانه تولى فيه بيان ما نحن ذكرناه في هذا الكتاب بيانا شافيا
فنقلته بلفظه ووددنا ان جميع مسايله تكون هكذا وقال رضي الله عنه
سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار الهمم السوابق هي قوى فعل
النفس التي ينفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تعالى ويسميها الصوفية همة
فيقول احال فلان همته على امر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم العالية لا
تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال
سبقتها ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون
للاولياء كرامات ذكرناه وحاصل ذلك انه يجب ان يعتقد انها اسباب لا تاثير

لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكان المولف رحمه الله تعالى
انما اورد هذه المسالة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير
لا جدوى له ولا فايدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ في خرق اسوار الاقدار شيا فكيف
يفيد في ذلك التدبير وما لا فايدة فيه فضول لا ينبغي ان يتشاغل به ويتعب فيه
ذوو العقول ولذلك قال ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم
به لنفسك تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذي تقول مذموم لان الله
تبارك وتعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا قلوبهم منه
ويقوموا بحق عبوديته ووظايف تكليفاته فقط وهو ان يتدبر العبد لنفسه
شيونا يكون عليها من امور دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما
يليق بها من احوال واعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم
استعجله لنفسه ولعل اكثر ما يتدبره لا يتم فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك
العبودية ومصادرة احكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر
ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مراده واسبابه قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال سيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا
وهذه المسلة اساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض
وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المولف رحمه الله افرد في
هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه غاية الاحسان وفي
من ديوان تحصيل معنى على كل مريد تحصيله اخذها دك فما ضمن لك وتقصيرك
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك الشي المضمون للعبد هو رزقه
الذي يحصل به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله سبحانه تكفل
به وضمنه للعباد ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام به والشي
المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة الاخرة والقرب من الله تعالى

من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد لو اجتهاده فيه
ومراعاة شروطه واسبابه واوقاته بحيث اجرت سنة الله تعالى في عباده قال الله عز
وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد ورد
في بعض الاثار عن الله عز وجل انه قال عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما
يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام
يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقران ما وافق اهواءهم
وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون
فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا
يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا
تبور وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت
ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرنا
من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر المضمون له فقد انفتحت
بصيرته واشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو
مطموس البصيرة اعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما ان
البصر ناظر النفس وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين والتقوى
هي التي تجب بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس
البصيرة بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فيما امر به قال في التنوير في قوله عز
وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك اي قم بخدمتنا ونحن
نقوم لك بقسمتنا وهما شيان شي ضمنه الله لك فلا تتهمه فيه وشي طلبه منك فلا تهمله فمن
اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واستحكمت غفلته وقل ان ينتبه لمن يوقظه
على العلم بما نقدم انها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي مضمون لك منها ما تقوم به
والاخرة مطلوبة منك اي اعمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى
فكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك
من

بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن لنا الاخرة
وطلب منا الدنيا لا يكن تاخير امد العطا مع الحاح في الدعا موجبا لياسك
فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي
يريد لا في الوقت الذي تريد حكم العبد ان لا يتحكم شيا على مولاه ولا يجزم
بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل بما كل وجه فقد يكره الشي وهو خير
له ويحب الشي وهو شر له قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر من
امرك شيا واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شي
الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه وهو متالم لما به فقال له ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي
فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي
فقال الشيخ ابو العباس وانا ما سالت الله العافية اني سالته العافية والذي
انا فيه هو العافية وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال الله العافية وقد
قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان قد قطعت ابهري وابو بكر رضي
الله عنه سال الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وان عمر رضي الله عنه
سال الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا وان عثمان رضي الله عنه سال الله
العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وان علي رضي الله عنه سال الله العافية وبعد ذلك
مات مقتولا فاذا سالت الله العافية فاسال له العافية من حيث يعلمها
لك انها عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد ان الخيرة
له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه
شيا يرى ان له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال ربكم
ادعوني استجب لكم وقال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد يدعو بدعا الا اتاه الله ما سال او كف
عنه من السو مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته او
صرف عنه مثلها سوءا او حط عنه من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد المصدق

الان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها ما يشا وقد يكون المنع وتاخير
العطا اجابة وعطا من فتوح الله تعالى في ذلك فلا ييأس العبد من فضل
الله تعالى اذا راى منعا او تاخيرا او الح في دعايه وسواله وقد يكون
تاخير ذلك الى الاخرة خيرا له فقد جا في بعض الاخبار يبعث عبد فيقول
الله تعالى ما سالتني شيا الا اجبتك فيه ولكن اخرت البعض في الدنيا
وما لم انجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الان حتى يقول ذلك العبد
ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى النهي عن الاستعجال في اجابة الدعا في قوله يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما
السلام على فرعون فيما اخبر الله به عنهما حيث قالا ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه
اجاب دعاهما في قوله سبحانه وتعالى قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد
اجيبت دعوتكما وهلاك فرعون اربعين سنة قال سيدي ابو الحسن
رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم الاستعجال لما طلبتما ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وقد يكثر وا
وحظا ما يحصل له بسبب مداومة الدعا من التطفل بمحبة الله وسوال فضله
رضاه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين
في الدعا وقد جا في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له
حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته وكوله انس ابن مالك
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس
من يعجل الله له نوال حاجته لكراهية صوته وقد روي هذا المعنى ايضا
منصوصا فليكن العبد خايفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعايه قال ابو محمد
بن عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعايه تاركا لاختياره
وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني
اكره ان اسمع صوته فاذا كان في دعايه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار
نفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتيمها انتهى وقد تكون الاجابة

مرتبة

مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فيتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه
وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا اراد الله تعالى
ان يستجيب دعا عبد رزقه الاضطرار الى الدعا والاضطرار لا يتحققه
العبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر اذا رفع الى الله
يده لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعز
على اكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق ما ينبني عليه وفي
المسلة التي تاتي باثر هذا التنبيه على هذا المعنى لا يتشكك في
الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا
في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد
فمن وعده مولاه شيا وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك
الموعود فلا ينبغي ان يشككه ذلك في صدق ربه ويجوز ان
يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على اسباب وشروط استاثر
الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف قدره
ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمين اليه ولا يتشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف
بالله تعالى سالم البصيرة منور العين بيره والامر على العكس اذا فتح لك
وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك
الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف هو مورده عليك
والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك
معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الامال والمارب فاذا
وارد الله تعالى لعبده بعض اسبابها وفتح له باب التعرف له منها
فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي ان لا يكترث بما يفوته بسبب
ذلك من اعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك
به مسلك الخاصة المقربين المودي الى حقايق التوحيد واليقين من
غير اكتساب من العبد ولا يعمل من الخصال التي من شانها ان
يلتبس بها في اكتسابه وبعمله فلا تسلم من دخول الافات

عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما امله من الفوايد
عند مناقشة الحساب واين احدهما من الاخر ومثال ما يصاب به
الانسان من البلايا والشدايد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمتعه
من تكثير اعمال البر فان مراده ان يستمر بقاوه في دنياه طيب العيش
ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الاخرة حال المترفين المستوعين
فلا تسخو نفسه الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مونة عليه فيها ولا
مشقة ولا يقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله منه ان يطهره
من اخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من سجن
وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية
التمام والكمال الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده وتكون حاله
حينيذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة
فاذا فهم هذا علم ان اختيار الله له ومراده منه خيرا له من اختياره
لنفسه ومراده لها وقد روي ان الله تعالى اوحى الى بعض انبياءه انزلت
بعبدي بلاءي فدعاني فما طلته بالاجابة فشكا فقلت عبدي كيف ارحمك
من شي به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني
الى عوّاده انشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه ويستانف العمل وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة رضي الله
عنه يقول قال الله تعالى ابتلي عبدي المومن فاذا لم يشكُ الى عوّاده حللت
عنه عقدي وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت ايتنف
العمل قال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت في
سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت في نفسي ما دبر الله
تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين في قدر ايام
علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في مقدار
مدتها الى ايهما تميل اختيارا فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي ان ما اختاره
الله تعالى لي اكثر اشرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي لا
شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك لتجوابه وبين فعلك

لتجوابه



لتجوبه فلما رايت هذا في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في
جنب ما اتاني فصارت الدولة عندي نعمة وصارت النعمة منه وصارت
المنة املا وصار الامر عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلا
على طيب النفوس سمح الخلق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلا
انتهى فهذه هي وجهة المعرفة التي نحى بها الله تعالى وحصلت له الغبطة بها و
اثرها على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اورد الله تعالى على العبد شيئا
من البلاء فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على
نفسه حتى يحصل له من السكون والطمانينة ما تنمحي عنه اثقال ذلك وتزيل
عنه مرارته ويوجد حلاوته وعند ذلك يكون حاله في درايته حال الشاكرين
من الفرح والاغتباط به فيرى من الحق تشكره ان ياتي بما يمكنه من اعمال
بره واعتبر صحيح ما قدمناه في هذه المسيلة بالحكاية التي ذكرها ابو العباس
بن العريف رحمه الله تعالى في كتاب مفتاح السعادة ومنهاج طريق الارادة
قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابو الحيا رحمه الله تعالى
ونفع به اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو
في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام
ورايحة المسك توجد منه مسافة بعيدة قال الذي حدثني رايته
يصلي على الماء لم يتنجس محل الاستنجاء فاذا هو مبرص فقلت له يا سيدي
كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من اعدايه حتى انزله بكم وانتم خاصة اوليايه
قال فقال لي اسكت لا تقل كذلك انا لما اشرفنا على خزاين العطا لم نجد
عند الله شيئا اشرف ولا اقرب اليه من البلا فسالناه اياه فكيف بك
لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاوليا والاوتاد في غار بارض
طرسوس وجسده الطاهر منتن وجسده يسيل قيحا وصديدا وقد احاط
به الذباب والنمل واذا كان الليل لم يشغله ذكر الله وشكره على ما اعطاه
من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد
ويستقبل القبلة ليله حتى يطلع الفجر انتهى وسياتي شي من كلام
المولف رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق
تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال فيما يرد على القلوب

والاستراحة بقوى الاحوال انتهى فاذا حمل العبد نفسه والزمها
التواضع والمذله واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وسجيه بحيث لا يجد
لضعته الما ولا لمذلته طعما فحينئذ يترك نفسه ويستنير بنور الاخلاص
قلبه وينال من ربه اعلا درجات الخصوصيه ويحصل على اوفر نصيب من المحبه
الحقيقه قال الشيخ ابو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه
فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا
لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد
القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لدوامه
لنعم الوبال للتوبال او الكساحة للكساح هما صفتان له كسائر
القبايح وربما تخروا بها لعدم النظر الى نقصها فهذه ولاية عظيمه له
من ربه تولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بغيره وهذا مقام محبوب
وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى
الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان
فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز فارق
العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه انتهى فاذا
لا بد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره من موضع اشتهاره
وتعاطيه امورا مباحة تسقطه من اعين كقصة السائح الذي سمع به
ملك زمانه فجا اليه فلما علم بذلك السائح استدعا بقلا وجعل ياكله اكلا
عنيفا بمراى من الملك فلما راه على تلك الحاله استحقره واستصغره
وانصرف عنه ذاما له وسياتي نص هذه القصه بعد هذا عند قوله
ربما دخل عليك الريا حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعض ايمة الصوفيه رضي
الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي يعلق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك
اشيا منكره في ظاهر الشرع ولا واذكر جابر الهوان يفعلوه ويامروا به وذلك
مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه
بحيث تظاهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويظن به السرقه
فلما راه الناس اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر

عدهم

عندهم بالسرقه حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه
ومثل ما يروى عن ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الشعيف
الذي امره ان يحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه وان
يعطي ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحاله في المحافل وا
لمشاهد والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي وغيره
قال بعض المصنفين رضي الله عنه واذا كان لمن غص بلقمة من طعام
حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع
به ولا يبغونه الا حياة فانيه فلان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى ان
يفوته بذلك الحياة الباقيه والقرب من الله فاذا التزم العبد هذه الطرق
من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى
ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان
التي يتحقق بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة
الحكمه التي انبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى لاصحابه اين تنبت الحبة
قالوا في الارض فقال عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب
مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول
وذم الشهرة احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك
ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم
على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان يسيرا من الريا شرك وان من عادى اوليا الله
فقد بادى الله بالمحاربه وان الله يحب الاخفيا الاتقيا الذين
اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم

معاذ

مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه
فيه باسم اويس القرني واشار بذكره ونبه على عظيم امره رضي الله
عنه انه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة
من اصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو هريرة
فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه
وسلم فاقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن
كذلك اذ اقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد بخرقة حتى وضع يده
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت
يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا تشتريه فتعتقه
يا نبي الله قال وانى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد ان يجعله من ملوك
الجنة يا ابا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود اصبح
من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه
الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة
بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن
لهم وان خطبوا المنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا
لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا
لم يشهدوا فقالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس القرني
قالوا وما اويس قال اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل
القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره
الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القران يبكي على نفسه
ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في
اهل الارض معروف في اهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان
تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل
للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه
الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا

اليه



اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكرنا في الحديث وفي حديث
اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي رجل يقال له
اويس القرني يدخل بشفاعته عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابره
فمن لقيه بعدي فليقرأه مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل
اصهب اشهل ذو طمرين ابيضين له ام وقد كان به بياض فدعا الله
عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار والدرهم لا يؤبه به مجهول في
الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله و[illegible] ان الناس
كانوا يستسخرون منه ويستهزؤون به ويؤذونه ويرون فيه اهلية
الجذام والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع اليه بعض
فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسهم فانقطع عن مجلسه لاجل العري
فردهما عليه بعد ان اخذهما منه وقال ان الناس يقولون من اين له
هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس
الفقهاء ويظهر للناس بين ذلك فلان يعرف برقعة القدر وجلالة الخطر
وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما راى ان الناس عرفوا
حاله هرب عنهم واستخفى منهم ولبعض مرة عليهم برعاية الابل
وبعد ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سال عنه قومه ما فينا اخمل منه
ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وسالاه من هو فقال لهما راعي
غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما سالاه عن اسمه قال له عبد الله
فلما سالاه عن اسمه الذي سمته به امه امتنع ان يجيبه على ذلك
فلما اخبراه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك
قال لهما عسى ان يكون ذلك غيري فلما قالا له انما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه ان
يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها وذلك والله اعلم ليريهما
رؤية عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في اخباره بالغيب
وذلك امر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعله في كل ما
يسئل عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر رضي الله عنه ان يلتقي معه

وجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه فقال له يا امير المومنين لا ميعاد
بيني وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الى صاحبها وخلى
عن الخليفة وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطي
الفرات ووقع بينهما التعرف فقال له حدثني بحديث عن رسول الله
صلى الله عليه احفظه عنك فقال له لا احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ولا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي
كان بصدده ساله مداومة الاجتماع به فابى وامتنع وقال له لا اراك
بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق انت هاهنا حتى انطلق
انا هاهنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر
ومن عجيب امره ان كشف الله هذا الحال من التخفي والتستر واتمه
له بعد موته مع ما اظهره بسببه من الايات والعبر حينئذ قال عبد الله
بن مسلمة غزونا اذ كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا
اويس القرني فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء
مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه
فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر قلت
والحكايات والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي عليها
الحصر وقد اورد كثيرا منها الايمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك
المريد مستمدا من الله تعالى حسن التوفيق والتاييد وانجيز المولف
رحمه الله تعالى هاهنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من مليح
الاستعارات ما نفع القلب شي مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة مداواة
امراض القلب واجبة على المريد وعوارضه انما تكون من غلبة احكام
الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى
النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذه الامراض تاتي من وجوه
كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة
فالعزلة تشغل الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا باس من
دخول الافات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض

لها

لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة
من مسارقة الطباع الردية والاخلاق الدنية ويستفيد ايضا بذلك صيانة دينه
ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا
وتسارعا الى الخوض في مثل هذا فوجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السوال
عن اخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون
سمعه عن الاصغاء الى اراجيف البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي كونتها
ويحرص على ان لا تغشاه في خلوته وعزلته من شانه التطلع لذلك والبحث
عنه وليتجنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال
في دقايق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك
مما يكدر صفاء القلب ويوجب اثارة كثير من سخط الرب فليهجره المعتزل
وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وينتظر الكلام
تعرف له ممن هذا شانه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم ولا
قال بعضهم انكر من يعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل جليس
السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة
ان اوحى الله الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا
وكل اخ او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام فقال له يا داود مالي اراك منتبذا وحدانيا قال الاهي قليت
الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ لا
يعينك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني وما
احسن قول ابي اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

فخف ابناء جنسك واخش منهم     كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا     وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة ايضا تجتمع همته وتقوى في ذات الله عز وجل عزيمته بخلاف
الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد
في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه
ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها
وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم

الكير

قيل زين الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن
نبينا صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف
اليقين انما يكون من روية اهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة والقسوة
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي به العبد وادخله واعجله في
هلاكه واشده في جه والعبارة ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعده
عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطايفة قلت
لبعض الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق
والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا
بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال
فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت انا بين
اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون
اليهم هلكة قلت هذا العلة قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع
كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد
ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا
ما لا يكون ابدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره الى زينة الدنيا وزهرتها
وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها
فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ولما فتنة
اهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم الاية ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه يودي الى امراض عظيمة
في القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال القشيري
رضي الله عنه فارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن
الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا امر كبير لهم في
المجاهدات في احوال الرياضة انتهى قال محمد بن سيرين رضي الله
عنه اياكم وفضول النظر فانها تودي الى فضول الشهوة وقال
بعض الادبا من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين
سبب الحين ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشيا
بالبصر توجب تفرقة القلب وقد انشدوا في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رايدا … لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر … عليه ولا عن بعضه انت صابر



وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له سلامة الاياس وذكر من اعظم فوايد
العزلة عندنا ان لا يكون امرها الا لمن له منفعة العزلة مقدمة لما وجبت
عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعات
الاداب الباطنة وقد ذكر منها الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه جملة شافية
في كتاب العزلة من الاحيا فلتنظر هناك وقد جا في الخبر تفكر ساعة خير افضل
من عبادة سبعين سنة كذا هو والله اعلم وكان عيسى عليه السلام
يقول طوبى لمن قيله ذكر وصمته تفكر ونظره عبرة ان الكيس الناس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من اراد شرف الاخرة
فليكثر التفكر وقيل لام الدردا ما كان افضل عمل ابي الدردا قالت التفكر
وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقايق الاشيا وتبيين الحق من الباطل
والنافع من الضار ويطلع بها ايضا على خفايا افات النفس ومكايد العدو
وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة
منها قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مراة تريك حسنك من سيئك
ويطلع بها ايضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر في اياته ومصنوعاته
ويطلع بها ايضا على الايه ونعمايه الجليلة والخفية فيستفيد بذلك
احوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه قلت
والعزلة التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهي
احد الاركان الاربعة التي هي اساس المريدين ويلزم عنها من الثلاث
الباقية الصمت اذ لا يتاتى من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان اضاف
اليها المريد الركنين الباقيين وهي الجوع والسهر فقد حصل على
غاية العلا والتحق بزمرة الاوليا قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع
الخير كله في هذه الاربعة خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في نظمه يا من يريد منازل الابدال
من غير قصد منه للاعمال لا تطمعن بها فلست من اهلها ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت اركانه ساداتنا فيه من الابدال ما بين صمت واعتزال دايم
والجوع والسهر العزيز الغالي كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة
في مراته ام كيف يرحل الى الله تعالى وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان

يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم
دقايق الاسرار وهو لم يتب من هفواته الجمع بين الضدين محال كا
لاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشيا التي ذكرها
المصنف رحمه الله اضداد لا تجتمع فان انغراق القلب بنور الايمان
واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الي الاغيار والاكوان
واعتماده عليها والمسير الي الله تعالي بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال
في حبس الهوي والشهوات ودخول حضرة الله المقدسة المقتضية لطهارة
الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الابعاد
والابعاد دون فهم دقايق الاسرار المستفاد من التقوي مضاد للاصرار علي
المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قايل واتقوا الله ويعلمكم
الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم
قال يحيي بن معاذ رحمه الله التقي احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري فقال
ابن حنبل لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك
ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله
وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت
النفوس علي ترك الاثام جالت في الملكوت وعادت الي ذلك العبد بطرايف الحكمة
من غير ان يودي اليها عالم علما قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال
ما سمعت في الاسلام حكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق
شيخك ولاجل كون هذه الاشيا اضدادا تعجب المولف رحمه الله ممن يعتقد
صحة اجتماعها وممن يطمع في نيل مراتب الرجال مع كونه علي اقبح الخلال
الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن راي الكون
ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت
عنه شموس المعارف بسحب الاثار العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر
الي ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير
ثم اختلفت احوال الناس ها هنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن
روية المكون فهذا تايه في الظلمات محجوب بسحب الاثار الكاينات ومنهم من
حجب بالاكوان عن المكون ثم ترقي فشاهد نورا او رفرق ومنهم من يشاهد

الملكوت

الملكوت قبل الاكوان وهولا الذين هم الذين يستدلون بالمؤثر علي الاثار ومنهم
من شاهده بعد الاكوان وهولا الذين يستدلون بالاثر علي المؤثر ومنهم
من شاهده مع الاكوان والمعية ها هنا اما معية اتصال وهو مشهوده
في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة
ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال
والانفصال المذكوران ليسا علي ما يفهم من معانيهما لانهما ايضا من جملة الاكوان
ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقايق علي ما هي عليه ما كول الي
اربابه فلنقتصر علي ما ذكرناه فها هنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات
موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع تكفروا ابدا لكنهم ادعوا اعتقاد كمال
التنزيه وبطلان التشبيه وتمسكوا بقوله تعالي ليس كمثله شي وهو السميع البصير
فما يدل علي وجود قهره سبحانه ان تحجب عنه بما ليس بموجود معه
اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم علي ما ذكرناه
قبل هذا من ان ما سوي الله تعالي عدم محض من حيث ذاته لا توصف بوجوده
مع الله سبحانه قال الله تعالي كل شي هالك الا وجهه وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اصدق بيت قاله الشاعر الا كل شي ما خلا الله باطل وقال بعض العارفين لو كلف
المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
والاحاطة الديمومية وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا
لننظر الي الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان
ونستدل به علي الخلق هل في الوجود شي سوي الواحد الحق فلا نراه
وان كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهوي ان فتشتهم لم تجدهم شيا
وقال ايضا رضي الله عنه قوي علي الشهود مرة فسالت الله ان يستر ذلك
عني فقيل لو سالت الله بما ساله موسي كليمه وعيسي روحه ومحمد صفيه صلوات
الله عليهم اجمعين لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسالته فقواني قال
ابن عطا في التنوير فما سوي الله تعالي عند اهل المعرفة لا يوصف بوجد
ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد
الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان علي فقد الاعيان ولاشرق
نور الايقان فغطي وجود الاكوان هذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا

الكتاب وقال لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى
أشهده معه وقال ما عرفت الإله لم أر غيره وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وأنا اليوم واصل مجموع الله قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتدا بلوغ كمال فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال وقد
صنفوا في بيان هذا الأمر تصانيف ونفثوا إلى الكلام في هذا المعنى
نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا كل خير فإذا
تقرر هذا وجدنا أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنياوية
ودرجاتهم الأخراوية ومقاماتهم العلوية وكل ذلك من الأغيار العدمية
والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره إذ من أسمائه تعالى القهار
ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا أنفسهم وإراداتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد
الله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الأعرابي رضي الله عنه عن الفنا فقال
إن الفنا أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة
والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله
وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفنا لأنه يغرق
في التعظيم انتهى قالوا والفنى على ثلاثة أوجه فناء الأفعال ومنه
قولهم لا فاعل إلا الله وفناء الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا
مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء الذات
لا موجود على الإطلاق إلا الله وأنشدوا في ذلك

فيفني ثم يغيب ثم يفني فكان فناؤه عين البقا

وقال الشيخ محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى
من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب إلى وجود تراه رتقا
بلا ابتعاد ولا اقتراب ولم يشاهد به سواه هناك يهدي إلى الصواب
فلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الخطاب

مما يعلم

كيف



كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء بما أشرق عليه من نور الوجود
وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء
حتى استدل عليه المستدلون بالأشياء كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء إذ هو المتجلي فيها
بمعاني صفاته وأسمائه كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء
في طور ذلك الشيء كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقهون ذلك
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء فيحقق هذا الاسم أزلا
وأبدا كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء لأن الوجود أظهر
من العدم على كل حال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه
شيء إذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق كيف يتصور
أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء لثبوت إحاطته بكل موجود
وقيوميته عليك كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود كل شيء
حتى استدل به الشاهدون على الأشياء كما قال تعالى أولم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لأن
العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان أم كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم لأن الباطل لا يثبت مع ظهور الحق
كما قال تعالى وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وقوله
عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق تلت وهذا
الفصل من قوله الكون كله ظلمة إلى هنا أبدع فيه المؤلف غاية
الإبداع وأتى فيه بما تقر به الأعين وتلذ به الأسماع فإنه رضي الله
عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل حجابية كل ظلام ونور
وأزال عنه الحق رؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الإيمان
إلى أعالي مراتب الإحسان كل ذلك في أوجز لفظ وأفصح عبارة
وأتم تصريح وألطف إشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب إلا
هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عن ذلك خيرا ما نزح
عن الجهل شيئا من أراد أن يصف في الوقت غير ما أظهره الله فيه

اذا اقام الله العبد في حال من الاحوال التي لا يذمها الشرع فيلتزم حسن
الادب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة
ادابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله
عليها قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنه ما اقامني الله
في حالة فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطه وقد تقدمت حكاية
المولف رحمه الله مع شيخه ابي العباس رضي الله عنه حين عزم على
التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما اجابه
الشيخ رضي الله عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته
فان تسخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه واراد
ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساء
الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت
الذي يشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم ذنوب الخاصة
فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو
ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو احد معاني
لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصاريف الحق لهم دون
ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم
لما يبدو من الغيب من غير اختيار له وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم
فيه امر او اقتضاء حق شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر
فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين
ومن كلامهم الوقت سيف كما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه
الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم
ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه
بترك الرضا انتكس وتردى ... وكالسيف ان لاينته لان متنه
وحداه ان خاشنته خشنان ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت
ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام ابي القاسم وهو

موافق

موافق لما ذكره صاحب هذا الكتاب احالة ترك الاعمال على وجود الفراغ
من رعونات النفوس اذ كان العبد متلبسا بحال من احوال دنياه
وكان له فيها شغل يمنعه من الاعمال الصالحات واحال ذلك على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه
والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثاره الدنيا
على الاخرة وليس هذا شان عقلاء المومنين وهو خلاف ما طلب
منه قال الله تعالى بل يوثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى
والثاني تسويفه بالعمل الى اوان فراغه وقد لا يجد مهله بل يختطفه
الموت قبل ذلك او يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها
الى بعض كما قيل فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب
والثالث انه يفرغ منها ما الذي يومنه من تبدل عزمه وضعف
نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال بوجود الحول والقوة في جميع
الاحوال ما يستحقر في جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر
الى الاعمال على اي حالة كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم
الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف
الموانع الحائلة بينه وبينها وما احسن قول ابن الفارض في هذا المعنى

وعد من قريب واستجب واجتنب غدا … وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى … واياك علا فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة … ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد … تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواه فلو اراد لك
لاستعملك من غير اخراج كما انه اذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه
كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه
ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهره الله كما تقدم في قوله
ما ترك من الجهل شيا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله
فيه مع الشروط المتقدمة وهو ان لا يكون في ذلك مخالفة امر او ارتكاب
نهي فينبغي له ايضا ان لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان

بخروجه منها وبشغله بما سواه لان هذا من التخيير على الله تعالى
ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره هو
وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمل
استعمال عبيد باعده مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك
بمراد الله تعالى لا بمراده لنفسه وخيرا مما اختاره قال في التنوير وحكي
عن بعضهم انه كان يقول وددت اني لو تركت الاسباب واعطيت
كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت
ثم كنت في السجن يوتى لي في كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى
ضجرت فتفكرت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين
ولم تطلب منا العافيه فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت الله من ذلك
ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال
فيه فتادب بهذا ايها المومن ولا تطلب ان تخرج من امر ويدخلك فيما
سواه فاذا كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء
الادب مع الله تعالى فاصبر ولا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت
وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيا وداخل في غيره لتحصل الثمرة والراحة
فتعب ونوال لوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار انتهى كلامه
في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هاهنا فلذلك اوردته منه ما ارادت
همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة
الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقايقها
انما نحن فتنة فلا تكفر السائر الى الله تعالى يتجلى له في اثناء سلوكه
انوار ويبدو له اسرار فاذا ارادت همته ان تقف عندما كشف
لها من ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية والنهاية من المعرفة نادته
هواتف الحقيقة المطلوبة الذي تطلب امامك فجد في السير ولا تقف
وان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها
نادته حقايقها الباطنه انما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينك عن
ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سيرك وسلوكك واعلم انه ما دامت لك
همة وارادة فانت بعد في الطريق لم تصل فلو وقفت عندها لو صلت
وما احسن قول الشيخ ابو الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت



من ما من الله على عبده
السيد احمد الهبراوي

فقال تعالى واذا ذكروا الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ايضا ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم والكفر تغطية وان يشرك به تومنوا والشرك الخلط اي يخلط بذكره سواه
ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق في حكمه لانه تعالى في عظمته
الكبير في سلطانه لم يشترك له في ملكه وعطاياه ولا نظير له من عباده ففي دليل
هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المومنين اذا ذكروا الله بالتوحيد
والافراد في شي انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا وابشروا
بتوحيده واذا ذكرت الارباب والوسايط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمازت
قلوبهم وهذه علامة صحيحه فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها
على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السراير لتستعلم انتهى
قلت وهذه المسالة التي تضمنها كلام الشيخ ابي طالب رضي الله عنه من اعظم المسايل
وعلامة صدق الصادق وكذب الكاذب من اوضح الدلايل ولما كان قصدنا في هذا
الشرح على استغنام ذكر الفوايد العجيبه والحرص على رسم المقاصد الغريبه
لغربة الدين في هذا الزمان الرذل او سبيلا الغرة والجهل على المنتسبين الى
العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل
عن العلل ليعلم بمقتضى ذلك كل مريد سالك ويتبين من مناصحة ربه في دينه وقلبه
وضح المسالك ولو اجرينا على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم تتم في نظرك
مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به اصحاب القلوب
المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله يشتان بين من يستدل به او يستدل
عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت الامر من وجود اصله والاستدلال
عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى
تكون الاثار هي التي توصل اليه بنو ادم في اول نشاتهم ومبدا خلقتهم وخروجهم
من بطون امهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا ثم ان الله تعالى لما اختص
منهم بخصوصية عنايته واختار منهم من اهله لولايته وذلك الا
بحصول العلم الذي يتضمنه قوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذي يحقق
اثر النسبة ويوجد القرب والزلفى المشار اليه بذلك بقوله لعلكم تشكرون

جعلهم على قسمين مرادين ومريدين ولن تثبت قلت مجذوبين وسالكين
وكلاهما مدرك ومجذوب على التحقيق قال الله تعالى يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب فالمريد السالكون الى الله تعالى في حال سلوكهم محجوبون بمعنى الدهر
برؤية الاغيار فالاثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى يوجهه
الاكرام وتعرف اليهم فعرفوه فلما عرفوه على هذا الوجه احتجبت الاغيار عنهم
فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان
ما بينهما اي بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو
الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم واثبت الامر المشار اليه الى الاثار
العدمية من وجود المشار اليه الى الاثار المتحققة وجوده والمستدل بغيره عليه على
عكس ما ذكرنا لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر
الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب وتوقفه مع الاسباب وعدم اتصاله
بالوصول والاقتراب والانتهاء ... حتى يستدل عليه بالاشيا الحاضرة ومتى بعد
حتى تكون الاثار القريبة هي التي توصل اليه او فقد حتى يكون الاثار الموجودة
هي التي تدل عليه شعر عجبت لمن يبغي عليك شهادة وانت الذي اشهدته كل شاهد
قال في لطايف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن
يشهده لان الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون
المعرفة باعتبار توصيل الوسايل اليها مكتسبة ثم تعود الى نهايتها ضرورية
واذا كان من الكاينات ما هو غني بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون اولى
بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن اعجب العجب ان تكون الكاينات
موصولة اليه فليت شعري هل لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة
التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب
وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ القدرة عنه الحجاب لينفق ذو سعة من سعته
الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه اشارة مليحة الى حال الفريقين
فالواصلون الى الله لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضا التوحيد وحصل
الاستبصار فاتسعت مسافة نظرهم فانفقوا من سعتهم وتصرفوا في عوالم الله
كيف شاؤوا والسالكون الى الله مقدور عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون
في ضيق الاشكال والرسوم ينفقون مما اتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر
انما هذه الراحلون اليه انوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة



فالاولون للانوار وهولاء الانوار لهم لانهم لله لا لشي دونه انوار التوجه هو ما
منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة
ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود
حاجتهم اليها في الوصول الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم
عنها بربهم فهم لله لا لشي دونه وسياتي الكلام هذا المعنى عند قوله انت
مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق
اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى خوض ولعب وهما من صفات الكافرين
والمنافقين قال الله تعالى اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال
تعالى بل هم في شك يلعبون تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير لك
من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوف
الى معرفة ما غاب عنه من عيوب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها
ان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويجرف غايات
عنايته اليه ليحصل له صفا اعماله من الافات ونقا احواله من الكدورات
وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ ابو
حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب ذم النفس فصلا في الطريق الذي
يعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد حصل حاصله اربعة اوجه
احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والافات فيحكمه على نفسه
ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني يصاحب صديقا صدوقا يجعله رقيبا
على احواله واعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان
يستفيد معرفة عيوبه من اعدايه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم
عند سلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ
يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع منهم علم انه لا ينفك هو عن شي منها
اذ الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما
رآه في غيره فيطالب نفسه حينيذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا
ملخص ما ذكره قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا
بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه
مشغولا بتهذيب عباد الله ... فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو

الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده انتهى واما طلبه
للعيوب المحجوبة عنه من خفايا القلب ولطايف العيوب فلا حظ لنفسه
لا حق عليه فيه للحق تعالى فليقطع عنها نفسا ولا يشتغل بها عقلا ولا
حسا وما اظهر له منها لا يعود عليه فان ذلك من المغايب القادحة في عبوديته
والصدق قال لو اكن طالب الاستقامة ولان تكون محق مولاك اولى بك من ان تكون
محظ نفسك ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرايليات عن
وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرايل صام سبعين سنة
يفطر في كل سنة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف تغوي الشياطين للناس فلما
طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيتي وذنبي بيني وبين الله لكان
خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني
اليك هو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد
فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس
الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجوا من هذا قال الورع اللين وسيأتي
بيان ان الكرامات غير مطلوبة للتحصيل ولا مغتبط بوجودها الذي كل عالم نبيل عند
قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب
عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده
حاصرا وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده الحجاب على الحق تعالى
محال واستدل المولف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه وانما الحجاب عن
العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم وبين
الوجود فان اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن يشا كيف يشا متى يشا راى من
ليس كمثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده اخص اوصاف بشريتك عن كل وصف
مناقض لعبوديتك لتكون لندا الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية
المتعلقة باهر الدين نوعان احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال
والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم
ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الامر وتسمى طاعة والثاني ما خالفه وتسمى معصية
واما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الحقيقة ويسمى
ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر
العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح

تصوفا فهذان الامران هما حلية العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب
هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شان الرعية طاعة الملك فيما يامر به
وينهي عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب فصلاح
القلب انما يكون بطهارته من الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه
هي الصفات المناقضة للعبودية من اوصاف البشرية التي اشار اليها المولف رحمه الله
وهي التي تسمي صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكذب والعجب والريا
والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه وحب المال ويتفرع من هذه الامور فروع
خبيثة من العداوة والبغضا والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا وترك الثقة بمجي الرزق
وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل
والغش والمباهات والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة
والجفا والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحيا وترك
القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك
النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة واصل
فروعها وعنصر منابعها انما هو روية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع امرها
فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى بها خلع من عنقه ربقة
العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المولف رحمه الله بأثر هذا وشان
الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من انواع الرياضات والمجاهدات وقد
بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل
معاني صفات العبودية والاخلاق الشياطين اوصاف المومنين ويطبايع البهايم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق
الى هذا ان يملك نفسه فيملكها فتسخر له ويتسلط عليها فان اردت ان تملك
نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا تنفتح لها فان ملكتها ملكتك وان لم
تضيق عليها اتسعت عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها
واحبسها عن معتاد ملايمها فان لم تمسكها انطلقت بك وان اردت
ان تقوى عليها فاضعفها بقطع اسبابها وحبس موادها والا قويت
فصرعتك انتهى فاذا ثم يدرك المريد على الوجه الذي رسمه الله والتزم الوفا
لمن امره بها ظاهرا وباطنا وترك نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه

بين العباد وبين الله من قرب ربه غاية المراد فتظهر حينئذ عليه آثار حميدة من
التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف
منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة لله عليه في منعه
وعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق والسعة للصدور والحلم
والاحتمال وأداء الامانة والنزاهة والامانة والشفقة والعطف والتأني والوفاء والسخاء والجود
والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي هي نيل العبد
غاية السعادة والحسنى وزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ائمة
الصوفية رضي الله عنهم بالتخلي والتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي بالصفات
المحمودة ويعبرون عنهما ايضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي يعبرون به
ايضا ويشيرون الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله ولا ميادين النفوس
بالتحقق بسير السائرين فاذا تم للمريد هذا السفر وانقلب منه الى المحل المستقر
تحققت عبوديته لربه عز وجل ثم لم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى في القرب
من ربه الى اشرف محل فكان منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله
لنداء الحق مجيبا لانه اذا ذكر يناديه باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب حينئذ
مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا في اجابته متحققا في نسبته ويكون
ايضا من حضرته قريبا بالوجود بعده عن نفسه التي من شأنها النفور عنها والفرار
منها فاذا اتاه الحق تعالى بتمام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية
كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرة عليه اعمال الاخيار متحليا في الظاهر والباطن
باشرف الحلل متحليا بفضيلة التشبه بالملائكة قال الله تعالى ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال
تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال
عز من قائل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فرتبة العبودية اذا اتصفوا بهذه
الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا ان هؤلاء
محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق
بينهما ما قاله الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة
والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد تكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار اولئك
الذين يتوبون الى الله من قريب وقد وصف الله عباده المخلصين الى التطهير والتمحيص
في ايات كثيرة بصفات جليلة عظيمة واعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد



الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون [illegible]
يستنفر اوسقاما ولكل النظر فيما قاله فيها اهل التفسير وما استنبطته منها ارباب
الاشارات اتضح لكم ذلك واما ما عداهم ولا هم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم
الدنياوية قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد
الصدود المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا واعلم انه لا ينتهي هذا
سلوكا الى حضرة ملك الملوك الا من وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت
عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها
لشيئا ظنه بها احد احذره منها ولا وقع في المعاصي والذنوب من حيث
لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله على هذا بقوله اصل كل معصية وغفلة وشهوة
الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها الرضى عن
النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها اصل الصفات المحمودة وقد
اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب
تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل في الشطر وعين
الرضا عن كل عيب كليلة وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد
اذا اتهم نفسه وتطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهر من الطاعة والانقياد
كما قيل في الشطر الاخير ولكن عين السخط تبدي المساويا فمن رضي عن نفسه
استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها
استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره
فتثور حينئذ دواعي الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبت شهوته
وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم
يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها
للطوارق والعوارض وباليقظة والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها
وعند ذلك تخمد نيران الشهوة ولا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف
العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان متجنبا لكل ما نهى الله عنه
محافظا على جميع ما امر به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل واصل هذا كله
[illegible]

من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد بمعرفة نفسه يصح له حاله ويعلو
مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاحبا ومن الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة
منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من ان تحصى وكذلك قال ابو حفص من لم يتهم نفسه
على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في ساير ايامه كان مغرورا
ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه
والكريم بن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال ايضا
منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله عز وجل ينظر اليها نظر السخط واعمالي تدل
على ذلك وقال الجنيد لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال ابو
سليمان الداراني ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي انه قال
اني لانظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة
وقال ايضا من الناس ناس لو مات نصف احدهم ما انزجر النصف الاخر ولا احسبني الا منهم
الى غير هذا من العبارات الصادرة عن المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد الف الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي جزءا صغير الحجم عظيم الفايدة في عيوب النفس وكيفية مداواتها
فلينظر فيه المريد وكذلك الف قبله الامام ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصايح
جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية ونبه فيه
على سنن دارسة عافية مما كانت عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من التفتيش
والتنقير والنظر فيما تصلح به اعمالهم واحوالهم وتفسد والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب
والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله ورضي
عنه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد ان اثنى على مؤلفه
بما هو اهله بان للجاهل به علمه ونقله فقال رضي الله عنه والمحاسبي رحمه الله خير الامة
في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال
واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان اوحد زمانه
علما وعبادة ونجدة اوانه ورعا وزهادة وكان سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر
رحمة الله ورضوانه عليه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما
تضمنه من حق وصواب واظني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الا ولي
الاجلا ما هذا معناه فليتخذه المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا
بالله تعالى وسايلا منه توفيقا ورشدا الشيخ رضي الله عنه في مراعات اصلاح باطنه
والقيام على قدم التدقيق في خواطره ولعل الحامل له على مطالعة كتب الخلافية ومسائل

اهله بالتاليف والحرف فبذلك يتقوى ايمانه ويقينه [illegible]
ودينه ولا يقدم على ذلك الا لمرض العجب وما تسمح به نفسه من مكابدة التعب والدأب
ولا يشغل نفسه بعلم يبعد في وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده
وهو ما اكب الناس عليه اليوم وحاذروا به عن سنن القوم حتى تطرق لهم بسبب
ذلك من رذايل الصفات وعظايم الافات ما اداهم الى الهلاك والشقا واعقبهم النفاق
في قلوبهم الى يوم اللقا وسجل عليهم بالكذب في دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فاياك
واياهم لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن اناديه وكذلك قال المؤلف
وليت نفسي جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه
فاي علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فايدة
الصحبة انما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها حسبما ياتي الكلام عليه عند
قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من رضي عن نفسه
وان كان عالما شر محض ولا فايدة فيها لان علمه غير نافع وجهله الذي اوجب
رضاه عن نفسه فارغاية الضرر وكانه اذ اتاه هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا
يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير
محض وفيه كل الفايدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن
نفسه نافع غاية النفع وكانه اذ احصل له هذا العلم لا جهل عنده شعاع البصيرة
يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك
وجوده لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم
وحق البصيرة نور الحق فالعقلا بنور عقولهم شهدوا انفسهم عدما في وجود
ربهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا سواه سوا كان
الله ولا شي معه وهو الان على ما عليه كان الازمنة ها هنا امور وهمية لا وجود
لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لا شي معه لثبوت احديته شعر

فلم يبق الا الحق لم يبق كاين — فما ثم موصول وما ثم باين
بذا جا برهان العيان فما ارى — بعيني الا عينه اذ اعاين

وسياتي من كلام المولف رحمه الله الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته
قال الغزالي رضي الله عنه لم يتحقق هتك الغير فاكرم لا تحجبه الامانة
تعليه ان منفتح حوانحها الى عدكرهم لا لربح الحقوق [illegible] الله تعالى

قال الجنيد الكريم الذي يجوج الى مسيله وقال الحارث المحاسبي الكريم الذي لا يبالي من
اعطي وقيل الكريم الذي لا يخيب رجا المومليب واجمع العبادات في معني الكريم
ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفي واذا وعد وفي واذا اعطي زاد على منتهي الرجا ولا يبالي
لم اعطي ولا لمن اعطي وان رفعت حاجة الي غيره لا يرضي واذا جفي عاتب وما استقصي
ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل والشفعا واذا كانت هذه الصفات
لا يستحقها احد سوي الله تعالى فينبغي لك ان لا تتخطاه اما الطلب الي غيره كما قال
معضو حرام علي من وجد الله ربه

وياصاحبي قف بي علي الحق وقفة … وافرده ان يجدك احدا رشدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها … اموت بها وجدا واحيي بها وجدا
… فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدا

لا ترفعن الي غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا
من لا يستطيع ان يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره
رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة وانزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه ان
تستجل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده في انه لا فاعل سواه واذ هو غالب
علي امره لا مغالب له … ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه
لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال ان تطلب حاجتك من هو محتاج مثلك
قال بعضهم من اعتمد علي غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شي سواه
وهو الدايم القديم الذي لم يزل ولا يزال وعطاوه وفضله دايمان فلا تعتمد الا علي من يدوم
عليك منه الفضل والعطا في كل نفس … واوان وزمان وقال ابو سعيد الخراساني لقيت وهب بن
منبه رضي الله عنه في الطريق فقلت حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال
اوحي الله الي داود عليه السلام يا داود اما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون
خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن
الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق
دوني اعلم ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته ولا
ابالي في اي واد هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان الي جانبي رجل فسالته
عن قضيته وخبره فقال فقدت نفقتي فقلت من تومل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذا
لا يسعفك بحاجتك ولا تنجح طلبتك ولا يبلغك املك فقال له ما علمت يرحمك الله قال اني قرات
في بعض الكتب ان الله … وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي
… لا قطعن امل كل مومل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه
من قربي ولاقطعنه من وصلي ايومل غيري في النوايب والشدايد بيدي وانا الحي

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك قال يا رسول الله حسن الظن
بالله قال فظن به ما شيت فان الله تعالى عند ظن عبده المومن به وروي ابو هريرة رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله
فلنسرد الاخبار والاثار في الرجا وحسن الظن بالله وسعة رحمته اكثر من ان تحصي ومما ينشط
مما يزيد المريد قوة القلوب وكتاب الاحيا فانه بين رحمه الله تعالى الحال التي بها تتحققها
يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق
قلبه بوجدانه وانشار الي ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الاماني لا ما تتوهمه النفس
وتطلبه من النعيم المعقول والاسباب التي تهتني وتنزل وحكم بان هذا من عما القلب
ومما يستحق ان يتعجب منه كل ذي لب فقال الحكيم العجيب ممن يهرب ممن لا انفكاك
له عنه ويطلب ما لا بقا له معه فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور
هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمي قلبه
ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي هو ادني بالذي هو خير واثر الفاني
الذي لا بقا له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي
على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم اذ لم يحتفلوا
بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا
بما توعدهم من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات
والذي فطرنا ثم قالوا والله خير وابقى فهولا ابصار فعلوا بهم وشهدوا بحقيقتهم
فكان منهم ما كان لا ترحل من كون الي كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي
ارتحل اليه هو الذي ارتحل عنه ولكن ارحل من الاكوان الي المكون وان الي ربك
المنتهي العمل على طلب الجنة والدرجات او لنيل الرتب العليه والمقامات نقصان
في الحال وشرك في اخلاص الاعمال وهو معني الرحيل من كون الي كون وبسبب ذلك
بقا اعتبار النفس فان تحقق لها ذنبه وان نار يسعيها موهبة وهذه كلها
من الاكوان والاكوان متساويه في كونها اغيارا وان كان بعضها انوارا و
تمثيله بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على روية الاغيار والمعتقلين
بها وهم الي حسن الادب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعني قوله تبارك
والى ربك المنتهى فيكون انتهى سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون اعمالهم اذ ذاك
وفا بمقتضى العبودية ووفا ما يحق للربوبية فقط من غير التفات الي النفس على

حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكامل عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من
اهله بمنه وكرمه وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
فانظر قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام في هذا
الحديث النبوي تنبيه على هذا المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل وانتبه
اعلم وقوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي
حظي به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا
في الخبر كما تقول زيد صديقي اي لا صديق له غيرك وكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني
بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف
معها والتعرج عليها كاينة ما كانت وان كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى
الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتشغل بها وهو
الذي نهى عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عاملا لله والى الله حتى لا يكون له
التفات الى غيره ولا ركون اليه ولقد احسن الشاعر في قوله شعر

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق ... محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

قال رجل لابي يزيد اوصني فقال له ان كان من العرش الى الفرش قال لا ادري وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين لاني في
الفردوس بحظي وفي الركعتين بربي وقال الشبلي رضي الله عنه احذر مكره وفي قوله
كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شي به لا بنفسك وقوله كلوا واشربوا
وان كان ظاهره اكراما وانعاما فانه في باطنه ابتلاء واختبار حتى ينظر من هو معه ومن هو
مع الحظ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله تكلم هاهنا في الصحبة وهي
كبير من اصول القوم فيها منافع وفوايد كثيرة استمر عليها شانهم قديما وحديثا
وقد نبه المولف رضي الله عنه على فايدتها بقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك
على الله مقاله وانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فايدة الصحبة ومعنى انهاض
المنهضة هاهنا هو ان يكون همه بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجا في حوايجه
الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرضى منهم

لا انفطا وسقطت نفسه من عينه فلا يثبت لها فعلا ولا يقتضي لها حظا وتكون
اعماله كلها جارية على مقتضى الشرع وهذه من صفات العارفين والموحدين نفعنا
من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله ما سوى الفرائض محمودة العاقبة خالية عن كل
فايدة دينيه لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتدا ممن
يستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غايتها والتمام
فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يعود به صاحبه فقط بحيث
يكون اعلا منه حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه
المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فايدة في صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته
تدعوا الى التصنع له والتزين ويودي به ذلك الى كباير من معاصي القلوب واشد عليه
من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين الرازي لان القى الله بجميع المعاصي
احب الي من ان القاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث
رجا الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببرك ولا
تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وقال بعضهم كن مع ابنا
الدنيا بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت وقيل لبعض العارفين
ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال لانه حبيب الي واحد واعرف قدره ولكن يهون علي ان
القى الشيطان ماية مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له كيف ذلك قال اخشى ان اتزين له
ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي وكانت هذه الطايفة من الصوفية لا يصطحبون
الا على استوا اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض
على بعض ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه
افطر وان نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم فصل وان صلى الليل كله لم يقل له نم بعضه وتستوي
احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قال واذا
كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد من المرايات
من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بان تزين حالها
التي عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتنب ما يوجب
المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا اصحب من يعمل معه هذا فليس ذلك
طريق الصديقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هولا الناس اصلح للقلوب واخلص للدين في
معاشرة امثالهم وفيه الغفلة وخسران وانما التسقط من عين ذي الجلال وكان
الثوري رضي الله يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا

نهلكت فيما هلكوا وكان بعض الحكما يقول لا تواخ من الناس من تغير عليك في اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني يتغير لها الطبايع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع اخر ومن كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة اعماله او وافقا مع اكل احواله دل على جهله بهذه الطريقة التي تنفذ الى التحقيق لانها نحو لها انما العمل على حقايق تقاوي لانها ثابتة في الاحوال فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثنا والمدح ولقا المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينيذ ممن اشام الناس عليه واضرهم له ويصير احدهما بلا على صاحبه فليفارقه حينيذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجر النقصان بصحبته وتدخل عليه الافات بمقارنته ولينفرد بنفسه ويصدق في حاله على انه لانس او دنيه وضعف لانس او رفعه من غير مقارنة احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل على ارادة صاحب هذا الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متلازمين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه قلت لذي النون المصري من اصحب فقال من لا يكتمه شيا يعلمه الله منك وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القرا وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقا من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال ايضا شر الاصدقا من تكلف له وانشد ابو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه

اصحب من الاخوان كل موافق … وفي غضه طرف عن عثراتي

يوافقني في كل امر احبه … ويحفظني حيا وبعد مماتي

فمن لي بهذا ليتني قد وجدته … فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي تحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عاداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقايق التوحيد والمعرفة بخصايص لم يشاركهم غيرهم فيها احد وتشوبات ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحققت بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس مع العطار لم يفقد الرايحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمواظبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلما فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا غير الله ولا يشهد مع الله سواه قد سخر له كل شي ولم يسخر هو لشي وسلط على كل شي ولم يسلط عليه شي ياخذ النصيب من كل شي ولا ياخذ النصيب منه يصفو له كدر كل شي ولا يكدر صفوه شي قد شغله واحد عن كل شي وكله واحد عن كل شي فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها وما اشرف المتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة امثال هولا يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه فاذا اصبح بالكيميا والله لقد صحبت اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هولا الرجال فاذا يصنع بالكيميا وقال ايضا رضي الله عنه والله ما سار الاوليا والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان يغنيهم وقال ايضا رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد اغنيته وقال في مشايخه ابو الحسن رضي الله عنهما ابو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المسا الا واوصله الى الله وسياتي طرف من ذكر حال المولف في صحبته وما اوصله اليه ببركة رويته عند نزوله القلب الذي منه برا ربما كنت مسيا فاراك الاحسان منك صحبتك لمن هو اسوا حالا منك هذه اعظم انه تدخل على من حال فيما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهو استحسانه لما هو عليه فيوديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورويته لاحسانه شي كما تقدم ما قل عمل بر من قلب زاهد ولا كثر عمل بر من قلب راغب مقادير الاعمال على حسب قلوب العاملين فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحسن فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحسن فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الافات التي تقدح في

اخلاص اعمالهم من مرايات الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيا ويه عليها منهم لانهم
زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول اعمالهم من مرايات الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنياويه
عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول اعمالهم فيشوقهم قليلها بحسب ذلك ويكثروا
الراغبون وتعتريهم الافات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا
فلا تقبل منهم فيقل لكثير من اعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال امير المومنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى
وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المومنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص
وعدم ريا الناس فقيل في قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا
فسمى الخالص كثيرا وهو ما يخلص فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة
لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس قال الله تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله
الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال لركعتان من زاهد عالم
خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض الصحابة للتابعين
انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك
قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه سالت معروفا الكرخي عن
الطايعين لله تعالى باي شيء قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان شيئا
منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال ابو عبد الله القرشي شكى بعض الناس لرجل من الصالحين
انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لانه عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب
ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يوثر دخوله الا فسادا وكان ابو محمد سهل رضي الله عنه
يقول يعطي الزاهد ثواب العلما والعباد ثم يقسم على المومنين ثواب اعماله قال الله لا يرى في القيامة
احد افضل من ذي زهد عالم ورع حسن الاعمال نتايج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق
في مقامات الانزال حسن الاعمال توفيقها بما يحسنها من شروط اداب عبودية لله تعالى لا
نطلب حظا عاجلا ولا ثوابا اجلا وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوي موسومة
بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتقاء القلب بما ينزل الله الحق تعالى به من
تقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب
بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضي الله عنه لا بد في كل مقام من مقامات
اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المولف نوع
استدلال على ما قاله الزاهد والراغب لا تترك الذكر لعدم حضور كمع الله فيه لان غفلتك

عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر
مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور
[illegible] الذاكر على الله يعني ان الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وعلم على وجود ولايته كما قيل الذكر
منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر
والذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الانفاس حراسا
[illegible] الامام ابو القاسم القشيري الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة
صحة البداية ودلالة صفا النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة
الى الذكر ومنشاها عن الذكر وفضايل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى
في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان
تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة لكان في ذلك الشفا
والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن فضايله انه غير موقت بوقت
[illegible] من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات
[illegible] ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر
اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولا عذر احدا في تركه
[illegible] مغلوبا على عقله وامره بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قايل فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار
في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية
وعلى كل حال قال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد ان يستكثر منه
[illegible] كل حالاته وليستغرق فيه جميع اوقاته ولا يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته
فيه فان تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله تعالى بلسانه
وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة
[illegible] ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره مع وجود
الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور قال الله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت اي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله تعالى وفي هذا
[illegible] ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى انشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يلعنني سرى وقلبي وروحي عند ذكراك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي اياك ويحك والتذكار اياك

وقال الواسطي رضي الله عنه يشير الى هذا المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من الناسين لذكره
لان ذكره سواه قال ابو العباس ابن البنا رضي الله عنه في كلام ذكره على مقدمة كتاب ابي العز
تقي الدين المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمات النبوية ورايت هذا الكلام
بخطه رحمه الله ومن احسن الذكر ما هاج عن خاطر وازد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر
الخفي عند المتصوفة على الاستغناء والتمكن في الاسرار واما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حاله
يستغرق عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمه وقدره من عزيز عليم وبيان
غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره
فيصير القلب بيت الحق ويحصل منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق
المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها ولئن سمع كان
سمعه الذي يسمع به وذلك لاستيلاء المذكور تعالى على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها
فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها لتبقى ... في مرضاته فكذلك يخرج الذكر
من غير تكليف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يوتيه
من يشا والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله
تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح فواد ام موسى فارغا اي فارغا
من كل شي الا من ذكر موسى ان كادت لتبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل
كان توجهها التصريح بذكره صبرا لها لولا ان ربط الله على قلبها لتكون من المومنين بما اوحي اليها
من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره ابو العز ومعه
بالعظم وهو اجتماع الضدين في باب الولاية وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعامل
والمراقي لا يعرف حقايقها الا اهلها الكون وجدانا والعلما ايمانا وتصديقا فاياكم والتكذيب
بايات الله فتكونوا من الهالكين في التطلعات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الافتقاد
والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغفلة
بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا تجري عليه احكام المخلوقين فهو الذاكر له
من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشية فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه
خلق الخليقة ولا تلحقه اوصافها ولا حد الاحد فلا تحصره معانيها سبحانه وتعالى
العلي الكبير انتهى كلام الشيخ ابو العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقام الذكر

وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان
يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك على الله بعزيز وهو الفتاح العليم فعلى العبد
القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب ومن علامات صحة التوبة عدم الحزن
على ما فات من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات الفاسد اذ كان
حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا
وجود الفرح بما يشتغل به من الطاعات ويوفقه من اجتناب المعاصي والسيئات
وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن فان لم يكن العبد بهذا
الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم فهو على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان
ذلك من قبل ان اعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضا الله تعالى
على العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة
على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه عمل بالمعاصي ساءه ذلك
واحزنه لانه علامة سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجا يبعث على الاجتهاد
في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا
والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها
وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه اتٍ فلما حاذ ابنا ودنا اجاعتنا
اناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي من
مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي لاسالك
عن اثنتين اسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل
قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سيل عنها قال جيت ان اسالك عن
علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف
اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت
اليه واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو اراد الله
للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم
ارتحل ولم يلبث لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه عظمة الذنب عند
مرتكبه على وجهين احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع
عنه وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامة
ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه

كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يري ذنبه كذباب وقع على
انفه فقال به هكذا اي طاره وقيل لان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله
وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة
توقعه في الياس والقنوط وتوديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة
قادحة في الايمان وهي شوعليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات
مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه
ولو كان عارفا بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله
فاي قدر للعبد وقيمة حتى يقع في ذنبه لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر
ذلك له قال في التنوير واعلم انه لابد في مملكته من عاد هو نصيب الحلم ومحل ظهور
الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وانظر ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون حتى يستغفروا الله
تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء
رجل الى الشيخ ابي الحسن فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات
كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا كانك
تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان لا يعصى الله في مملكته فقد احب
ان لا يظهر مغفرته وان لا يكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب
كثرت اساءته وذلت [illegible] اوجبت له الرحمة من ربه فكن له راحما وبقدر ايمانه
وان عصى عالما اتقى ولا ينبغي للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه
الى ان يلقي بيده ايا سا من روحه وقنوطا من رحمته ويسوظن به بل عليه ان
يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله في تسليطه عليه وتخليته
بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير للمومن
من العجب ما خلا الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا تنبيها لهذا على
ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين مولاه
لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ولاحظ لذلك
وساكن اليه بخلاف المذنب لانه يوجب له الخوف والحذر والالتجا الى الله تعالى

والفرار اليه

والفرار اليه عن نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه
اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يوديه الى الاستغنا
والذنب يوديه الى الافتقار وخير اوصاف العبد الى الله تعالى افتقاره اليه عنه
واشرف احوال المومن ما يورده اليه ويقبل به عليه لا صغيرة اذا قابلك عدله
ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذا ظهرت اوصاف العدل عليه بطلت اعمال العاملين
فاذا ظهرت صفة العدل على من ابغضه ومقته بطلت حسناته
وعادت صغائره كبائر واذا ظهرت صفة الفضل لمن احبه اضمحلت سيئاته
ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم
حسنة وان نالهم فضله لم يبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه الهي ان
احببتني غفرت سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن قول سيدي
ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان
لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسياتي من مناجات
المولف رحمه الله تعالى في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة
شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك لا عمل ارجى للقلوب
من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده في النسخ الموجودة بايدينا
لا عمل ارجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة
لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتجرده
من رؤية ترائيه ومن رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون
ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب وما في معناه
وسياتي للمولف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين
اليه عن روية اعمالهم وشهود احوالهم الى اخره والغالب على ظني ان الذي
قصده المولف وذكره انما هو لفظ القلوب فغلط الناسخ [illegible]
ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه ان [illegible]
من الافات تشترط في قبوله لان صاحبه [illegible] وقد [illegible] كل
قايل انما يتقبل الله من المتقين وانما يحسد العمل من الافات [illegible] النفس
الى القيام بحقه وروية تقصيره فيه فيحبسه عنه اذ ذاك [illegible] ويحتقر
عنده وجوده فلا يسكن اليه ولا يعتمد عليه وان لم يكن [illegible] الوصف
بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غايبا عن شهودية الله تعالى عليه في

من كلام

توفيقه له اوقعه ذلك العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن
الحسين رضي الله عنه كل شي من افعالك اذا اتصلت به رويتك فذلك دليل انه لم يقبل
منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رويتك فذلك دليل على القبول
وقد سيل بعض العارفين ما علامة قبول العمل فقال نسيانك اياه وانقطاع نظرك
عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فالعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل انه لا يبقى عندك منه شي فانه اذا بقي في
نظرك منه شي لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغي للعبد
اذا عمل عملا ان يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس وروية
التقصير حتى يحصل اليه قبوله انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الوارد
عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطايف الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول لحضرته لان الحضرة منزهة عن
كل قلب متكدر بالاثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما اورد عليك لتكون به
عليه واردا اورد عليك الوارد ليستلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الاثار
الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك فذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك
عليها فاذا اورد عليك الوارد ليستلمك من يد من غصبك وليحررك عن ملايكة
من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل في قوله
تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان
مثلا فمن تسلم من يد الاغيار وتحرر من رق الاثار لا يكون لمخلوف فيه نصيب ولا
شركة وكان سالما لله عز وجل اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك
الى فضا شهودك سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضا
شهوده ان يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله وروية قيام
حركاته وسكناته به قال ابو القاسم النصراباذي رضي الله عنه سجنك نفسك اذا
خرجت منها وقعت في راحة الابد وسياتي من كلام المولف في معنى قوله سجن
وجوده الكاين في ... ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور
في هيكل ذاته الانوار مطايا القلوب والاسرار انوار الايمان والقلوب والاسرار التي هي
مطايا حاملة لها الى الحضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات
المذكورات النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد الله ان
ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار النور جند

والبغي

والبغي وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال
فاذا اراد الله تعالى نصر عبده امد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه
مدد جنودها واذا اراد خذلان عبده فعل العكس فاذا نال القلب العمل بامر محمود ولم
في الحال المتلذذ به في المال وتنازعا وتوالى تتابع النور الذي هو من امر الله ورحمته
الى نصرة القلب وتوارد الظلمة التي هي من وسواس الشيطان ولمته الى نصرة النفس
وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة سعادة اهتدى
القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الاجلة وعمل القلب بما مال
اليه وان المه في الحال لما يرجوه في المال وان سبقت له من الله تعالى الشقاوة
والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وعمته الظلمة عن منفعة الاجل واغتر بلذة
العاجل وعمل بما مالت اليه النفس وان المه في المال لما حصل فيها من لذة الحال وعند
التقا الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى
ولياذه به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته به من الشيطان الرجيم
وهذه العبارات الخمسة من قوله انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا
تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه
عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه النور له الكشف
والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار هذه الالفاظ مختلفة لمعان متغايرة
فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي
ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال على مقتضى ما
شاهدته البصيرة وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة لا تفرحك
الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعات على وجهين فرح
بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود
وهو الذي طلب من العبد وذلك مقتضي شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد
باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا الفرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة
وهو العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شي وسياتي في اخر الكتاب
انواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم قاطعة مستوفاة قطع السايرين له والواصلين اليه
عن روية اعمالهم وشهود احوالهم اما السايرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله
فيها واما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها كفل اسبغ الله تعالى نعمته

على الفريقين حيث فعل بهم ذلك لانه ابقاهم معه ولم يدعوهم لسواه قالوا
ملون نفعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها والله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها قالوا ملون قطعهم عن ذلك شهودهم
له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال ان يراه ويشهد
معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من
الدعوى فلهم ابدا متهمون لانفسهم في توفيقه اعمالهم وتصفية احوالهم
قال النهرجوري رضي الله عنه من علامة من تولاه الله في احواله
ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره والنقصان في صدقه
والفتور في مجاهداته وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع احواله عنده غير
مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده ومسيره حتى يغني عن كل ما دونه
وقال ابو عمرو اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه لا تصفو لاحد قدم في العبودية
حتى تكون افعاله عنده كلها رياء واحواله كلها عنده دعاوي وقال ابو يزيد
رضي الله عنه لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء والعادين
المقامين تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي وذلك انه لما دخل نيسابور
سال اصحاب ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا
بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا
امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في اوطان
التقصير او تجويز الاخلال بادب من الادب قال ما سبقت اغصان ذل الا على بذر طمع
البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات
والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع ايضا على غصون
والبذر الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من اعظم افات
النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه محض
تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذلة والمهانة

ما الامر بل عليه

ما الامر بل ولا يحل للمومن ان يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان
الذي يقتضي وجود العزة والعزة التي اتصف بها المومنون انما يكون
برفع همتهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وتعلقهم به دون من سواه
فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المومن قال الله تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين كذلك الذلة من
اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله
اولئك في الاذلين وقال ابو بكر الوراق الحكيم لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك
في المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال
الحسين الوراق النيسابوري رضي الله عنه من اشتهى نفسه محبة شيء
من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل له وبذله هلك وقد نهب
قبل ان تطمع في بليتها وتعلم انما تقطع اعناق الرجال المطامع قال الطمع لا محالة
فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال في التنوير وتفقد وجود الورع من
نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع
فيهم بسبعة ابحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم علي
بن ابي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون
فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصري فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان
اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راي
عليه سمتا وهديا فقال الحسن رضي الله عنه سل عما شئت
فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع
قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا يقول كنت
في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت
منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا ياخذه مني فهتف بي
هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول
صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم
والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذلهم
فقد سبقت قسمته وجودكم وتقدم ثبوته ظهوركم واسمع ما قال بعض
المشايخ ايها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلابد ان يمضغاه فكله
ويحك بعز ولا تاكله بذل قلت تقدم الان من كلامه في التنوير ذكر الورع

في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن بن علي رضي الله عنهما لما ساله مخبر
له عن صلاح الدين وفساده في الكلام للناس الذي حكاه عنهما ولا نشك ان
الورع الظاهر لعامة المسلمين وهو ترك المشتبهات تورعا والتحرج من اقتحام
المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع
الخاصة وهو عندهم صحة الدين اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون
اليه وعكوف الهمم اليه وطما نينة القلب به ولا يكون له ركون الى الغير ولا التفات الى
الخلق ولا ركون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل
مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسين رضي الله عنه في جوابه المذكور قال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر لا يتحرك الا لله
وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على ان
يرى احدا ممن هذه صفاته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان
ياخذ الشي بعد الشي من ماله ويتصدق به الفقرا والمساكين ويقول لمن يعطيه
منهم حين المناولة خذه لك فكانوا ياخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا
لما اراده بكلامه الى ان ظفر بانسان يقوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته
وذلك انه قال لاحدهم خذه لك فقال له اخذه منك فان كان للعبد استشراف
الى خلق او سبقية تطلع اليهم قبل مجي الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع والواجب
في حق الادب ان لا يقبل نفسه شيئا مما اتيه على هذه الحالة عقوبة لنفسه
في نظره الى ابنا جنسه كقضية ايوب الجمال مع احمد بن حنبل وهي معروفة
وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال بقمح فنازعته نفسه
وقال لله ما تري من اين هذا فقال لها اين اعرف من اين هو يا عدوة
الله وامر بعض صحابه ان يدفعه لبعض الفقرا عقوبة لها لكونها ابت رويت
الخلق قبل روية الحق تعالى وقد قيل احل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سالت
فيه احدا من النسا والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الغرض
الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتاخرين ابو محمد عبد
العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق
نسبة في اخذ او عطا او قبول او رد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان تاتي

اليه ظاهرا

اليه ظاهرا من جميع الاشيا والعلم والعمل كما قال تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق ببالك ولا يكون بينك وبينه
نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري اياك الا املا وقال ايضا الورع ان لا
يتحرك ولا يسكن الا ويرى الله في الحركة والسكون فاذا راى الله تعالى ذهبت
الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيا
الا رايت الله فيه فاذا راى الله ذهبت وقال ايضا اجمع العلما ان الحلال المطلق
ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال
هو الذي لا ننسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التي عبروا بها في هذا المعنى
وقال بعض هذه الطايفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يتفاوتون في المشاهدات
فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه
بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز لا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين
ياكلون ارزاقهم بذل فالشحاذون يشهدون ايدي الخلق واما الذين
الذين ياكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل احدهم رزقه بمهنة وكد واما
الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعلق
القلب منذب بانتظاره واما الذين ياكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا
انتظار ولا ذلة فالصوفية يشهدون العزيز فياخذون قسمتهم من يده
بعزه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ليس من الايمان الاسباب انما
الاسباب في الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة
الايمان روية الاسباب والسكون اليها انما رويتها والطمع في الخلق يوجد
في مقام الاسلام وقد عقد المولف رضي الله عنه في لطايف المنن
في هذا المعنى فصلا جعله لجميع وظايف الاداب الدينية اصلا ومبنى
فلا باس بنقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شا الله تعالى قال اذا
قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص لا يفهمه الا القليل
فان من جملة ورعهم تورعهم ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد
الطماعهم بالطمع لغير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف
والاعتماد على الطاعات والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط
ورعهم تورعهم ان يسكنون انوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان
تفتنهم الدنيا او توقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا ضعفا وعن الوقوف مع الاخرة

صفا قال الشيخ عثمان بن عاشور رضي الله عنه خرجت من بغداد
اريد الموصل فانا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها
ومراكبها وملابسها وبزينتها ومستلذاتها فاعرضت عنها فعرضت الجنة
بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو
وقفت مع الاولي لحجبناك عن الثانيه ولو وقفت مع الثانيه لحجبناك عنا فها
نحن لك وقسطك من الدارين ياتيك قال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان
مقيم بثغر الاسكندريه حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت
علي الرجوع الي الاسكندريه فاذا علي يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت
في نفسي اذا كنت العام القابل هاهنا فلا اعود الي الاسكندريه فخطر
لي الذهاب الي اليمن فاتيت الي عدن فانا يوم علي ساحلها واذا بالتجار قد
اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل علي ساحلها واذا بالتجار
قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل قد فرش سجادته
علي البحر ومشي علي الما فقلت في نفسي لم افلح للدنيا ولا للاخره فاذا علي
يقال من لا يفلح لا للدنيا ولا للاخره يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهي بهم الورع الي
الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله علي البينة الواضحة
والبصيرة الفايقة فهم في عموم اوقاتهم وساير احوالهم لا يدبرون ولا يختارون
ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا
يتحركون ولا ينطقون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم العلم علي
حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلي
ولا فيما هو ادني واما ادني الادني فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع
الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو
محجوب بدنياه او محروق بدعوي وميراثه التعزز بالخلق والاستكبار
علي مثله والدالة علي الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله
من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن
لم يزد بعمله وعلمه احتقارا لنفسه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان

فمن قطع

من قطع كثيرا من الصالحين بصلاتهم وصيامهم كما قطع كثيرا من المفسدين
بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال انظر نفعك
الله بسبيل اولياه ومن عليك بمتابعة احبابه هذا هو الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله
عنه هل كان يصل فهمك الي مثل هذا النوع من الورع الاتري قوله قد انتهي بهم الورع
الي الاخذ عن الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله علي البينة الواضحة والبصيرة
الفايقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذين ينشاعن سوء
الظن وغلبة الوهم انتهي وانما اوردنا هذه المعاني هاهنا تتميما للفايدة المتعلقة
بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسياتي مزيد بيان فيها
في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الي الاخذ من الخلايق الي اخره
فانظر فيه ما قد ذكرت مثل الوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجوديه والنفس الناقصه
انقيادها الي الامور الوهميه الباطله اشد من انقيادها الي الحقايق الثابته لوجود
المناسبه بينهما والطمع في الناس انقياد الي الاوهام الباطله لان الطمع تصديق
الظن الكاذب والطمع فيمن طمع في غير مطمع وارباب الحقايق بمعزل عن هذا فلا
تتعلق همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا علي الله ولا يلتفتون الا به قد سقط اعتبار الوهم
والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفات
القناعه والورع فكانت لهم الحياه الطيبه والعيشة الراضيه والقناعه مقام
عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات احوال الراضين قال بعض العارفين
لا يكون العبد قانعا حتي لو جا الي باب منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا
من الاتساع والنعمه فعرض عليه لم ينظر الي ذلك ولم يفتح له بابه قناعة منه بحاله
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معني قوله تعالي فلنحيينه حياة طيبة
قال هي القناعه الشكر بما اتت عليه الايدي والتعبد لما اتت له فان الطمع
في الشي دليل علي الحب له وفرط الاحتياج الي نيله وذلك عبودية له كما ان الياس
من الشي دليل علي فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد
والايس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع العاديه
لما استعبد الاحرار بكل شي لخطوله وقيل ان العقاب يطير في فضا عزه بحيث
لا يرتقي طرف الصياد ولا تسمو همته الي الوصول اليه فيري قطعة لحم معلقة
علي شبكة فينزل له الطمع من مطاره فيتعلق بالشبكة جناحه فيصيده صاحبه

وقيل ان فتحا الموصلي كان قاعدا فسيل عن قابع الشهوات كيف هي فقال
وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن
معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال له صاحبه نعم فجعل
خيطا في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال له لو كنت تقنع بخبزك لما اتبعت السائل اما انه لو رضي
بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ
فقدم التلميذ اليه خبزا اصفارا ولم يكن له ادام فاخذ يتمنى بقلبه ان لو يسلو كان ادام
يقدمه الى استاذه فقام الاستاذ وقال تعالى معي فحمله الى باب الحبس فرا الناس
يضرب واحدا ويقطع اخرى ويعذب كل واحد بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ
ترى هولا الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا اخرج من السجن
وفي رجله قيد يسال من الناس فقال لانسان اعطني كسرة فقال لو قنعت
بالكسرة لما وضع القيد في رجلك وراى رجلا من الحكما ياكل ما تساقط من البقل
على راس ما فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت
لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردنا ان اذكر ههنا
حكاية مناسبة لما نحن فيه ليعرف بها كيف تكون الهمة السنية والادلة
الواضحة في اخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورويه منة
الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة
حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وجه
ومروة فقال من يبغي خادما من يبغي سا قيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها
فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه طينا واثقلت القربة
فوضعها وهو كالمكسور الضاحك ثم قال في ركبتيه لحر فيها قلنا لا والمعنا
قوما باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد ياكله اكل جايع
فادركني عليه الشفقة فقمت له بطعام طيب كان معنا واكثرت له منه فقلت
قد علمت انه لم يقع مثل القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي
وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما اتاني باي شي ردتها عني فرجعت
عنه فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه فقلت لا قال انه رجل من بني هاشم

من ولد العباس بن عبد المطلب هو اخو ولد سليمان بن ابي جعفر المنصور كان
يسكن البصرة فتاب فخرج منها فتفقد فلم يعرف له اثر قال الشافعي قوله ثم جعلته
وانسته وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانك وقد بلغني وقد تعلو منك نحن بالاتصال
بك وهل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت
هذا لكان لي معدا ثم انسر الي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت
اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبطر وبذخ واني امرت خادما لي ان تحشو لي فراشا
من حرير ومخدة بورد نثير فبينما انا نايم اذا بقمع ورد قد اغفلته الخادم فقمت
اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني ات
في منامي في صورة فضيعة فهزني وقال افق من غشيتك وابصر من حيرتك ثم
انشا يقول
باخرانك توسد لينا وسوف بعد الموت صم اجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا اذا لم تفعل
فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري قال الراوي فلما فني
حديثه هذا انخنس عني ويعني من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد
اليه بسلاسل الامتحان النفس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه
ومولاة تفضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان وتنوع المحن
في الاموال والابدان والقيود والسلاسل استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين
سنته عز وجل استدعا العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافات ليرجعوا
اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسرا والضرا لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع
العبد اليه طوعا وكرها من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
شكر النعم موجب لبقايها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها
قال الله تعالى لين شكرتم لازيدنكم وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات هو شكر النعم غير الله تعالى ما منحه
من الاحسان والكرم واجتمعت حكما العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا
الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا رعيت
بالشكر فهي الطراف واذا رعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثة اوجه شكر
بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب ان يعلم النعم كلها
من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثنا

على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها
ولتشكرها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسايط
بالثنا عليهم والدعا لهم وفي حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لا يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن
اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس
وسياتي الكلام على هذا المعنى في اخر الكتاب ان شا الله تعالى عند كلام المولف عليه
وشكر ساير الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا فجعل
العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله
تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسال
رجل ابا حازم وقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت
بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا
سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع
حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما
شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيا غبطته استعملتهما
عمله وان رايت شيا مقتته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه
ولم يشكر بجميع اعضايه فمثله كمثل رجل له كسا فاخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك
من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبادات الشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين
ساله السري رضي الله عنه قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين
وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة خوفي
من وجود احسانه اليك ودوام اسايتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك تستدرج
من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج مع النعم من صفات المومنين وعدم الخوف
منه مع الدوام على الاساة من صفات الكافرين يقال من امارات الاستدراج ركوب
السيات والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة

من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك
وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شي وليسوا كذلك سنستدرجهم في ذلك شيا فشيا
حتى ناخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى معاصيهم وعصيانهم فتحنا
عليهم ابواب كل شي اي فتحنا عليهم اسباب العوافي وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من الحظوظ الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها الينا اخذناهم بغتة اي
فجاة فاذا هم مبلسون اي ايسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها
فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال بعضهم كلما احدثوا خطية جددنا لهم
نعمة وننسيهم الاستغفار من تلك الخطية من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر
العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سو ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد يقطع
المدد عنه وهو من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقوم مقام البعد من حيث
لا يدري ولو لم يكن الا ان تخليه وما تريد هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسو
ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مواجلة
ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية
العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة
بالحجاب لاهل اساة الادب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية
والمواجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية
ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدا وقوع الحجاب الذي
ذكرناه فاذا ابتدا به المريد ولم يتداركه رحمة من الله تعالى في الحال العتيد كان ذلك موجبا
لسقوطه من عين الله تعالى ووقوع الحجاب على قلبه ونزول الانس بالوحشة وانتساخ الصفا
بالظلمة وتمكنه بعد ذلك شيا ودون الحال الاول لانه اذا انقطع عنه الامدادات
المتصلة والواردات المتحصلة تنكشف عنه حينيذ شمس العرفان وتنتزع عنه
الكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد فاذا فقد النصر من الله تعالى
بذلك وقع الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساه الذكر وحاق به سو المكر
ورجع الى متابعة هوا نفسه الامارة وخرج من دايرة الصفوة المختارة نعوذ بالله
من سو المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوايل الامور وما احتج به المريد لنفسه من
الكلام الذي ذكره المولف يقتضي توجه هذه العقوبة اليه فرتبه لا زيادة قوله

لو كان هذا سوء ادب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا
هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا
اليه لازداد عند سابقه منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من
مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدي ابو العباس كل سوء ادب
يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ايضا التخليه بينه وبين ما يريد
الذي اقتضاه اقامته مقام البعد اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن روية نفسه
وكان ساقطا لها عن ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان اقدم على امر بارادته
وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما يريده وسد عليه مسالكها
ولم يخله وما اراد من ذلك وبهذا من علامة التوفيق لان دخول اعمال البر عليك من غير
قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله
تعالى في كل الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال ابو حفص رضي الله
عنه التصوف كله اداب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب
فمن لزم اداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث
يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي
رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء
احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن
المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم
يا سيء الادب فقال لست بسيء الادب فقيل له ومن ادبك قال الصوفية والاداب
اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن واداب الباطن
هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى الا بالرياضة والمجاهدة
قال ابن عطا رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة
الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء
المطالبة فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة
والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص ذكي الفطرة كريم الشيمة سهل المقادة
لا يحتاج في ذلك الى كبير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا

فلاجرم

فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لكي يزول رعونته ونقصان
عن بزمته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب
باادابهم واتباع اوامرهم وتوافيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال
عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد
سئل الدقاق رضي الله عنه بما ذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتادب بامام فمن لم
يتادب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت
اخلاقه وظهر على ظاهره انوار ذلك فيكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام
الاداب حتى تنتهي به الى المحافظة على تجنب امور غير محرمة مستنكرة في ظاهر
العلم ويكون تركها مما يعد عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه ويعاقب
من اجله قال السري رضي الله عنه صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي
في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك
لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد فبقي ستين سنة ما مد رجليه ليلا ولا نهارا وقال
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه لا يستند الى شيء
فكان يوما في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند
فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة
فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا وقال
ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة
اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه
اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان
اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة
وغيره فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك
الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل من لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن
الحال فقلت ما اغتبته انما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك
بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط
من الماء بترداد الماء اوراقا من البقل مما يتساقط من غسيل البقل فسلمت عليه فقال
تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال يغفر الله لنا ولك الى غير ذلك من ادابهم رضي الله عنهم
والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة والاظهار
الدعوى واتصاف العبد بصفة الولي والسلطنة والدلالة في موقف الهيبة والحياء
وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه من نوع الاستدراج والعقوبة ولكن ينبغي للمريد

ان لا يتهاون بشي من الادب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من مباشرة الجهل وعدم المعرفه بالله تعالى وهذا من انواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة ادب فليكن خايفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبه والاعتذار ولا تنفصل منها خشية ان يتوجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر واكثر ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجمله التي ظهر لنا انها مراد المولف رحمه الله من انواع سوء الادب ان يوطن بخاطره على شي من الحقد لفعل الله تعالى وتعاطى التدبير معه والتبرم باحكامه المولمه له في نفسه او غيره وان يصرح بلسانه بالشكوى الى الخلق والعيب بما يوافق هواه او تغض في نظره مما يريده الحق فان خطر بباله او جرى على لسانه شي من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من احسن الحسنات وافضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويوديه الى سخط الاقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك وقد ضاع لبعض الصوفيه ولد صغير لم يعرف له خبر ثلاثة ايام فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشي كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشي قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول ما دخولك بيني وبين ملكي ومن مقتضيات ايضا ان يتعلق بقلبه شي من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم وان لا يفعل اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم لا يفلح قط قال ابو القاسم القشيري من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من اهل السلوك مادام لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه واعتراضه خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض احواله فان الشيوخ بمنزلة السفر للمريدين قال وفي الخبر الشيخ في اهله كالنبي في امته وكذلك من سوء ادبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وتوسعة الجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاوه ان يكرم ويعظم ويتبرك به ويقبل ويسارع في قضاء حوايجه وذلك من اضرار الاشتغال به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه قال ابو عثمان رضي الله عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيا وانما يرى عيوب نفسه من متهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيا من احواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدايه فيروض نفسه ثانيا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول افة المريد رضاه عن نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستيصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه ويرسخ قيد اثار الامور التي ينبغي ان تراعى كثيرا ومن انواع سوء الادب المريد المفضي الى العطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقه الى الرخص الشرعيه وللعلما قالوا اذا رايت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى الرخصة الشرعية فاعلم انه قد نقض عهده مع الله تعالى وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحه وليس شي اضر على المريد من مسامحة النفس في قبول الرخص والتاويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اذا رايت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجي منه شي وقال ابو اسحاق ابراهيم بن شيبان من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخص ها هنا ما كان مضاد الحال المريد من تناول الشهوات والملذات والميل الى الماكولات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب المشتبهات وشبه ذلك ولا خفا ان حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس كان ابراهيم الخواص رضي الله عنه يقول ان هذه الشهوات التي اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفا نورها وفترت ابدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها واطالت امالهم بعد قصرها ونسوا المخلوقين بعد الهرب منهم وتوطوا الفراش بعد التركها فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد الكشف فاموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان انما خلقت الشهوات لضعفا خلقي واياك ان تعلق قلبك منها بشي فايسر ما اعاقبك به ان انزع حلاوة حبي من قلبك وفي اخبار داود عليه السلام ايضا يا داود تمسك

بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها ما تحب محبتي عنك
اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما للاقويا ان
ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني لم ارض الدنيا لحبيبي
ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما سكرا نا بحبها فيحجبك بسكره
عن محبتي اوليك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات
بادمان الصوم يا داود تحبب الي بعداوة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك
وترى الحجب بيني وبينك مرفوعه وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه لن ينال الرجل
درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمه ويفتح باب الشده
والثاني ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل الثالث ان يغلق باب الراحه ويفتح باب
الجهد والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس ان يغلق
باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد
للموت وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فا
شتهيته فدنوت منه فاخذت واحده فشققتها فوجدتها حامضه
فمضيت وتركته او الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من
عرف الله تعالى لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان
يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال لو اراك حالا مع الله تعالى فلو سالته
ان يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخره ولدغ
الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ
ثلاثين سنه او اربعين سنه ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما
كان ترك الشهوات واتباعها من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفا به
وكان عمله على خلافه نقصا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رفع الي الجنيد
درهما وقال اشتري به التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف اما
تستحي شهوة تركتها من اجلي ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم رضي الله
عنهما قال لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو جالس ناحيه من الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له
اي شي هذا البكا يا ابا اسحاق فقال خير وعافيه فعاودته مره واثنتين وثلاثا فلما

اكثرت عليه

اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا اخي قل ما شيت فقال
قال لي اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا
وقد غلبني النعاس واذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلوا منه بخار ورايحة
سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت
ما اكل شيا قد تركته لله تعالى فقال لي اذا اطعمك الله تعالى كل فما كان لي جواب
الا ان بكيت فقال لي يرحمك الله كل فقال ابراهيم فقلت له قد امرنا ان لا
نطرح في وعاينا الا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله فانما اعطيته
وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول
صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملايكه تقول
من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك
لاحل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى اخر ناوله شيا وقال يا خضر
لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق
رضي الله عنه فقلت ارني كفك فاخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم
الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من
يشفي قلوبهم من محبته اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السما
فقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك
الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله
عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال بعضهم اتى غلام لعبد الواحد بن زيد انه
فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها فقال له لا نفعك ان تاكل مع خبزك تمرا وهو لا
يزيد على الخبز شيا فقال ان تركنا اكل التمر عرفت تلك المنزله فانا ادعوه وغيره فاخذه
يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اكلك التمر تبكي فقال العبد الواحد دعه فان
نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو اذا ترك شيا لم يعد ودفعه ابدا وقال
احمد بن الحواري رضي الله عنه اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت
اليه به فعض عليه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي بشهوتي بعد اطالة جهدي
وشهوتي قد عزمت على التوبه فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى
وقال ابو بكر بن الجلا رضي الله عنه اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة
ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام
ولكن اتركي هذه الشهوه وقال ابو سليمان رضي الله عنه ترك شهوه من
الشهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها قال ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول الرايد الاطعمه

ويخوف النفس عليها وقالوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله منه
غاية السعادة حتى روي عن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال
احدهما للاخر من اين فقال امرت ان اسوق حوتا من البحر اشتهاه فلان
اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد فهذا تنبيه
على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال ابو حامد رضي الله عنه
والامر المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسباب
ذلك ويكون ذلك من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه
ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا اتفق نقض عزم فينبغي ان
يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا
لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة ويفسد به الرياضة
عليه بالكلية وهذا كلام الامام ابي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فاتفق
عليه ايها المريد فقد يعجل الله لبعض هولاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال
ابو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة
تمنيت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال ان هذا كان
مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال لهم هذا ابو تراب النخشبي
فاعتذروا الي فحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي كلي بعد
سبعين درة وقال بعضهم تمنى ابو الخير رضي الله عنه العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له
ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليها ليأكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت
في ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده الى حلال فكيف من مد يده بشهوة الى حرام وقال
ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جائعا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي
ان لي بها معارف فاذا دخلتها اضافوني واطعموني فلما دخلت البلد رايت
فيه منكرا احتجت ان امر عليه فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في
نفسي من اين اصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري انما اصابك ذلك
لانك سكنت الى معارفك فيلك وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن
ابراهيم بن شيبان رضي الله عنه انه قال كنت بحلب فاشتهيت شيئا من الخبز
والعدس فاتفق لي ذلك حتى شبعت فرايت على باب المسجد قوارير معلقة
شبه نمودجات فتوهمتها خلا فقال لي قايل اما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمني
فرض فدخلت الحانوت ثم ازل اصب دنانها حتى اتيت على الجميع فاخذوني فضربوني

مائة خشبة

مائة خشبة وطرحوني في السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله
المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شانك قلت شبعة خبز
وعدس وضرب ثمانين خشبة وسجنت اربعة اشهر فقال لي نجوت مجانا ان يردك
عقوبة هذه الاكلة على ظهرك ولم يقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك افضل من الله
بك قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وما اصدق ما قالوا ان من ادب في
دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر الناقد جوهره
ومعناه وحكاية خير النساج المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظر فيها ففيها
عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال
سالت خيرا النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت به
قال عاهدت الله واعتقدت ان لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت
نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا برجل نظر الي فقال يا خير يا ابق هربت مني وكان له
غلام اسمه خير فوقع علي شبهه وصورته فخنقني فاجتمع الناس
فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا اخذت وعرفت جنايتي
وحملني الى حانوته الذي كان فيه ينسج غلمانه وقالوا يا عبد السوء تهرب من مولاك
ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على ان اعمل فاخذت
بيدي الالة كاني كنت اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا انسج له فقمت ليلة
وتمسحت وقمت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت الاهي لا اعود الى ما فعلت فاصبحت
فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها فانطلقت
فثبت علي هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله تعالى ان لا اكلها
فعاقبني بما سمعت وفي بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر
شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وسياتي ان شاء الله تعالى كيفية
مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحققت سير السايرين ولهذا
المعنى كره اهل التزويج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد به لقضا شهوته وبلوغ
نهمته وذلك في الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد قال الواصف وانف شهوته عدم صونه
وقال بعضهم من هو يشتهي بما راحة العلم فليتقلد اعواقب بنسيج العمر وقسوة القلب
وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن
الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا
تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ النساء
لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجال وانا ما بلغت مبلغ الرجال

ثم نبه من مكايدة امر غيره ومراعاة توفيته حقوقه ومناواة اخلاقه واتباع مرضاته
ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له معاناة امر نفسه اعظم
شاغل عن ان ينضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما ينبسط على باطنه من خوف الفقر
ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التاويلات والرخص وذلك كله مفاد
حال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فان ولد له فقد غرقت
السفينة وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان
اكون جلوازا على الجسور وفي الخبر في اخر الزمان قال لا يمكن فيه ذلك الوقت حلت
العزوبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ
قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه اياكم والاستماع الى النساء والميل اليهن فان النساء معدات من الحيلة
قربات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف عليهن بكليته
فقد عطف الى حظ الشيطان ومن عاد عنها ايس منه وما مال الشيطان
الى احد بحيلة الا من استرق بالنساء وان الشر معهن حيث كن فاذا اتيتم
في وقتكم من قد ركن اليهن فايسوا منه قيل له فحديث النبي صلى الله عليه وسلم
معصوم وقد لا يعلم ما كان فيه معهن فالنساء عدو الرجل ظاهرا وباطنا ان اظهرت
له المحبة اهلكته وان اضمرتها له اغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة
فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه
وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي للرجل لو خير بين ان يضرب
عنقه وبين ان يتزوج امراة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزوج امراة
في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤدي اليه امر التزويج من اكتساب الحرام والاثم
الا اثام في زمن الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة من التعرض
لارتكاب شيء من معاصي الله تعالى فان قارف شيا من ذلك المريد فهو داعية
في حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة اقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل
من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته
لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم فعل فاوحى الله اليه ليس الذنب
في القرب كالذنب في البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصي حلاوة الطاعة
فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سواد المريدين ميل الى اهل الدنيا
وان يتقرب منهم او ان يصاحبهم قال الامام القشيري رضي الله عنه ومن شان

المريد المتباعد

المريد المتباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم
قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقد تقدم
من كلام المؤلف نص من لا ينفصل حاله ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والشباب
وقبول الارفاق النسوان فان تعرض لا ستحلاب ذلك منهن فهو اشد قال يوسف بن
الحسين الرازي رضي الله عنه رايت افات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد
ورفق النسوان قال الامام ابو القاسم ومن اصعب الافات في هذه الطريقة صحبة
الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه
الله تعالى وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير
فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان
وبدو حال الهجران ونعوذ بالله من سوء القضاء واداب المريد كثيرة وانما نبهنا
ها هنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والغرر مما حذر منه ائمتنا رضي الله عنهم
وبالغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون مراد المؤلف
رحمه الله في قوله من جهل المريد ان ينسى الادب فرايناه ان لا نخلوا منه هذا
الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله تعالى ولي التوفيق
اذا رايت عبدا اقامه الله تعالى بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول
الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله المخصوصون ينقسمون
الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم واراداتهم
واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون
والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم واراداتهم واقيموا في الاعمال
والطاعات يجعلون عليها برنيح الرجحان في الجنان وهؤلاء هم الزاهدون
والعابدون وكل واحد منهم مجد في مقامه الذي يحقونه بمدد الاهي انتهى سعيهم
القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى
في اعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة
والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه
سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات من بذل
المريد المتباعد ولا بهجة المحبين من انشغفهم فمحوهم و الابتهاج
والدلال بذهب بهم فلولا الوارد الالهي الذي اورده الله تعالى عليه ما استقام
على عمله وورده فهو لم يخرج عن دايرة عنايته وحيطة رعايته فلا يستحقر

حطير ما منحه ونستقل كثير ما رحمه وهل ذلك الا من وجود جهلك وتقصان
عقلك وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لا يستحقر الورد الا جهول قوم اقامهم
الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وما كان
عطا ربك محظورا الحق تعالى له الاختيار التام والمشية النافذة لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فطايفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى ملحوا الجنة وهم
الزاهدون والعابدون كما تقدم وطايفة اختصهم بمحبته حتى ملحوا القربة
والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلما قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد
صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد
الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار
وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى
على قلوب اوليايه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر
الحافظ ابو نعيم في كتاب حلية الاوليا عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه
قال ان الله تعالى يطلع على اهل هذه القرية او بلدة فيريد ان يقسم لهم من نعمه
قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه
فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال ابو العباس الدينوري
ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عباد لم يستصلحهم
لخدمته فاهملهم والاشارة بالاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله يبينه
في هذا المعنى قل ما تكون الواردات الالاهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها
العباد بوجود الاستعداد الواردات الالاهية هدايا من الله تعالى وتحف
وكرامات يكرم بها عباده فلا يكون في الغالب الا بغتة اي فجاة لئلا يدعوها
ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله وهداياه
مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان يقابل باعمال بل هي محض
كرم وفضل من الكريم المتفضل من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا
عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن
كل سوال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود
جهل من اتصف بها كما قال اما الاجابة عن كل سوال فلا اتصافها منه
الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذه الاجابة عن كل سوال لولا وجود
جهله وايضا فانه يجب عليه ان يراعي حال السايل من وجود الاهلية

لما سيل عنه فيمتنع عن اجابة من لا اهلية فيه لذلك بفعل ما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما يروى عنه مع السايل الذي يساله ان يعلمه من غرايب
العلم فانه استفعله وقال له ما فعلت في راس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السايل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعالى حتى اعلمك من غرايب العلم
وكما اخذ الله تعالى على العلما ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ عليهم ان يصونوه
عن غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان
فيه نوعا من افشا السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار
والسر امانة الله تعالى عند العبد فاشهاده بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب
الخاينين وايضا فان الامور المشهورة لا تستعمل فيها الا الاشارة والايما واستعمال
العبارات فيها افتضاح بها واشهار لها وفي ذلك ابتذالها واذ اعتها ثم ان العبارة
عنها لا تزيدها الا خفوما وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراك حقايقها
بالعبارات النطقية فيودي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار
قال ابو علي الروذباري رضي الله عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي
واما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم مختص
به فاذا ذكره لغيره استضر به وان كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات
في ذكرها من وجود جهله انما جعل الدار الاخرة محلا لجزا عباده المومنين
لان هذه الدار لا تتسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم
في دار لا بقا لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الاخرة فيما ظهر لنا لوجهين
احدهما ان الدنيا لا تتسع ما يريد ان يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى
اما الحس فلان الدنيا متناهية المسافات ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لاحاد
المومنين في الدار الاخرة في ملكه احدهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسماية عام
فما ظنك بحوا صهم ينضعف ما له مسافة الدنيا عن كلية حوايجهم واما المعنى فلان
الدنيا موسومة بالدناة والنقص والخساسة والحقارة والاشيا التي يتنعم بها
اهل الجنة امور شريفة رفيعة كما جا في الاخبار ان موضع سوط في الجنة
خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حورا ليطمس نور الشمس وما اشبه
هذا ويكفي من ذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المومنين فلم يجعل لهم الجزا على

لما عاقهم في دار فانية منغصة منصرمة لا بل كلما يفني وان طالت مدته
كلا شي بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقا الدايم في الملك المقيم وناهيك شرفا
تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت الي الحي الذي لا يموت حبا في
التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له
استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل والا فارجع فيستاذن عليه من
سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه
من الحي الذي لا يموت الي الحي الذي لا يموت فاذا فتح الباب وجد مكتوبا فيه
عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول عجلت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق
فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقي البراق الي ان يصل الى بساط اللقا
من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ثمرة العمل وجدان الحلاوة
فيه والنعيم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حسن تلاوة والاشتغال
له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شي من البر الا ودونه عقبة تحتاج
الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوي ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال ثابت
البناني رضي الله عنه كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين
سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت
به عشرين سنة وقال بعض العلما كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة
حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جا الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه
من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة
والنعيم انما ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الريا والدعوى
قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله
واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه
الصفات مقبولة بفضل الله تعالى ورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا
مراي دل ما اخبر به ان العمل السالم من الريا والسمعة مقبول من قوله عز وجل
انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد رضاه به
من قايل وذلك علامة على وجود الجزا عليه
هو ثوابه المعجل كما يقوله المولف بعد هذا

في الدار الآخرة

في الدار الاخرة حسبما ياتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير
العاملين بوجود الجزا عليها اجلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزا في الاخرة فحصل من هذا
وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزا
وكذلك قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة فان وجدتموها
فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق عند
تلاوة القران وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار
وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي
حلاوة الطاعة ولذاذات المناجاة والاستيناس بفنون المكاشفات
وجنة موجلة هي فنون المثابات وعلو الدرجات وتلك هذه الحلاوة
المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية
قيل لبعضهم هل تعرف الله تعصيه فغشي على السايل وقال [illegible]
فقال او نعصي من نعرفه وقيل لبعضهم تعرف انك عرفته قال يا عبد من لا اعرفه
مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال اسماعيل بن جنيد رضي الله عنه فقال لم اقصد
عنه التهاون بالامر من تلك المعرفة بالامر فاذا العصيان في حال العرفان
بعيد فان وقعت منه زلة او هفوة بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا وجد
لها لذلك مرارة والما في قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة
صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال
المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا المقام
فلا يدخله معلومة الا ما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة قال بعض العارفين
اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له ان يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ
فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن اعتناوه بحصولها لتكون
ميزانا للاعمال ومحكا للاحوال فقط قال الواسطي رضي الله عنه احذروا لذة العطايا
فانها لطايف المنن وصدق الواسطي رضي الله عنه ولعل ما اراد بتحذير التلذذ بالطاعات سموم
باب حلاوة الطاعة تصيرها بما فيها متطلبا لحلاوتها فيعوقك صدق الاخلاص
فيها وتجد [illegible] لا فيما ياتونا ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فيكون في الطاعة
فانما الله وفي الباطن انما قنت لحظ نفسك فتخشى عليك ان تكون ممن
تعجلت له في الدنيا فتاتي يوم القيامة ولا اجر لك الا ان اردت ان تعرف حلاوة الطاعة اجرا
فيما ذا اليقين هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله

المذكوره
تعالى ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور
المنسوب الى العبد هو معنى الاقامه المذكوره اذ العبد لا فعل له على التحقيق
قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه
وقال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته
حفظا والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في اخرته لوجهه مكرما
ولشانه حفظا والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه
متهاونا وبامره مستخفا ولشعايره مستصغرا كان الله تعالى له مهينا وبشانه
متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك
وقال وهب بن منبه قرات في بعض الكتب يا ابن ادم اطعني فيما امرتك ولا
تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما اكرم من اكرمني واهين من هان عليه امري
لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي متى ترك الطاعة والتقى
به عنها واعلم انه اسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيان
اقامة الامر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن والاستغنا به عن غيره فاذا رزق الله
تعالى العبد هذين الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهره وباطنه واوصله الى
غاية الامل في الدنيا والاخره سبحانه جل وعلا خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك
ان كان ولا بد من الطلب فالطلب منه ما هو طالبه منك من الاستقامه على سبيل
العبوديه له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لانك حينيذ تكون به
وله وبسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير واما ان طلبت منه حظ نفسك
ونيل مرادك فقد يحصل لك تاخير ومنع ما يفوتك حينيذ من حسن الادب في
الطلب يحكى عن ابي الحسين الديلمي رضي الله عنه قال وصف لي انسان اسود
بانطاكيه يتكلم على القلوب فقصدته فلما رايته رايت معه شيا من المباحات
يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك
جايع حتى نعطيك شيا تشتريه فقعدت وتغافلت عنه وتركته حتى نظر الى غيري
منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك شيا قال فقعدت اليه وقلت له بعد
كان لم اسمع ما قال وتنكرته قال ثم قال اقعد فانك جايع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا
نبيع هذا نعطيك من ثمنه شيا قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك اعطاني منه
شيا ومضى قال فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيا قال فالتفت الي وقال اذا عرضت
لك حاجة فانزلها بالله الا ان تكون لك فيها حظ فتحجب الى الله تعالى ومن
دعا ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سوال سالتك فعن امرك لي بالسوال
فاجعل سوالي

مواضع الحظوظ بل اسال
فاجعل سوالي ابدا سوال محابك ولا تجعلني ممن يتعبد بسواله
القيام بواجب حقك ومن دعايه ايضا اللهم اني اسالك مثل ما هو لك واستعيذك من كل امر
يسخط اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما اراده منك الا ان يكون لك اللهم
اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعلني مقصدي اليك
ما هو لك ولا تجعل تصدي اليك ما اطلبه منك الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض
اليها من علامة الاغترار وهذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكا الكاذب كما
قالوا كم من عين جاريه وقلب قاس وهذا من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه
واعطاه ما يفتر به من الحزن والبكا حكي عن رابعة العدويه رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه ولو كنت محزونا لم يتهيا لك ان تتنفس واما الحزن الصادق
فيخالف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض
الى الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق
الله عز وجل في شهر ما لا يقطع من فقد حزنه في سنين وفي الخبر كل قلب حزين وفي التوراة
اذا احب الله عبدا نصب في قلبه نايحه واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكره وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب
ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العباده فاذا الحزن الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه
على النهوض الا تكميل فهو الاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس مقام السالكين الابرار
ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له
لفنايه في وجوده وانطوايه في شهوده الاشارة الطف من العباره وهي كنايه وتلويح وايماء تفهم
وهي التي يستعملها اهل هذه الطريقه فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند
قوله من رايته مجيبا عن كل ما سال ومعبرا عن كل ما شهد وانما المعبر الا الله تعالى
الملاحظ لاشارته دل وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته فهو غير عارف على التحقيق لانه
يوصف التفرقه بشهوده للاغيار بل العارف الغايب في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب
عن الاشاره والمشير والمشار به سيل الدقاق رضي الله عنه عن المريد فقال حقيقة المريدات يشير
الى الله عز وجل فيجد الله مع نفس الاشاره قيل له فالذي يستوعب حاله قال هو ان يجد الله
باسقاط الاشاره وسيل ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن الاشاره فقال الاشاره الابانة عما
يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقه ان الاشاره تصحبها العلل والعلل بعيده
من عين الحقايق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق الى الحق فهي مردوده
عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال الروذباري رضي الله عنه ابعد
من الله اكثرهم اشارة اليه الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنية الرجا مقام شريف من مقامات

اليقين فهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكره في الحزب لان من رجا شيا طلبه
ومن خاف من شي هرب منه واما الرجا الكاذب الذي يغتر صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي
والذنوب فليس هذا برجا عند العلما ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله تعالى قوما
ظنوا مثل هذا واصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا واخلف الردي
من الناس فقال عز من قايل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى
ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
والرجا الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجا رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد نقل الواعظ
زعم ان الرجا مع الاصرار صحيح فلذلك قليل عمران طلب الربح في الفقر وقد حسن النحو صحيح وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني
المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي لو ربما
احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من
الخاسرين وكان يقول عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكا يحلون فيها والله
ما اتى عبدا بامانية خيرا في الدنيا ولا في الاخره وكتب ابو عمر المنصوري الى بعض اخوانه
اما بعد فانك قد اصبحت تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسو فعلك وانما تضرب
حديدا باردا مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية مطلب
العارفين من ربهم اعلا من مطالب غيرهم سوا كان عابدا او زاهدا او عالما لان مطلب العارفين
انما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقا مع نفس
وكلما عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاعراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله
خير ما يطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي ابو مدين شتان من همته الحور والقصور
ومن همته رفع الستور ودوام الحضور البسط لكي لا يبقا مع القبض والقبض لكي لا يتركك مع
البسط واخرجك عنهما حتى لا تكون لشي دونه القبض والبسط من الحالات التي يتلون
فيهما العارفون وهما بمنزلة الرجا والخوف للمريدين والمبتدين وبينهما الواردات فعرفها
والمقصود هنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما لانهما يقتضيان بقا العبد
ووجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنايه عن نفسه وبقايه
بربه قال فارس رضي الله عنه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط والقبض والبسط يقعان
في الوجود واما مع الفنا والبقا فلا وكان الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجا
يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجا
ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه

وهو في ذلك

فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مونسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد نص صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض
والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ها هنا اختصارا فمن اراده فلينظر هناك العارفون
اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما
اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملايمته لهوى انفسهم
بخلاف القبض كما سيقول المولف الان فيخافون حينيذ من رجوعهم اليه ووقوفهم
لطمع نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد
رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن
ثم يتاكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر
عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المولف رحمه
الله وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله عنه كنت
على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني
على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطة لكني انشدك
ابياتا لبعضهم وانشا يقول قف بالديار فهذه اثارهم تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن اهلها او سايلا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقا
وسيل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال الانبساط مع الحق بغير ادب قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه ومن هذا خشي الاكابر والسادة فالسعي لطايف المقت البسط
مزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجايهم والقبض اقرب الى وجود السلامه
لانه وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة بها ومن اين يكون للعبد
البسط وهذا شانه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار التي هي
وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال واخبرني
بعض الصوفية قال راى شيخنا شيخه في المنام بعدموته مقبوضا فقال له يا استاذ
ما لك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا واما هما في الاخره
قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط انتهى البسط تاخذ النفس منه
حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه في هذا اشارة لما تقدم من ان مراعاة
الادب في البسط امر عسير وذلك لان في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح
بذلك فلا يمكنك حتى تفرح في نسور الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان
اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط
حظ العبد منه ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون لحظك منه ولها الاداب القبض

والبسط فلا اعلم الاقل من استوفى الكلام فيهما من علما الصوفيه ومصنفيهم وانما وجدنا
للقوم من ذلك اشارات الى امور جليه كقول الامام ابى القاسم القشيري بعد ان تكلم
على لفظتي القبض والبسط وتبيين معانيهما الا ان فالقوم قد يكون قبض يشكل
على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما يوجبه وما سببه وسبيل صاحب هذا
القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه
عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سو ادب واذا استسلم لحكم الوقت
فعن قريب يزول القبض فان الله سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط
يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل
صاحبه السكون ومراعات الادب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي
انتهى كلام ابي القاسم رضي الله عنه وقد رايت كلاما مستوفى في ادب القبض والبسط
لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فاحببت ان اذكره هنا لتتم به الفايده
التي تعرض لها المولف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما هو
عند غيره من ايمة الصوفيه قال رحمه الله القبض والبسط قل ما يخلو العبد منهما
وهما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك العبوديه فيهما فمن
كان وقته القبض فلا يخلو من ان يعلم سببه او لا واسباب القبض ثلاثه ذنب احدثته
او دنيا ذهبت عنك او نقصت بك او ظالم يوذيك في نفسك او عرضك او ينسبك
لغير دين او غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبوديه تقتضي ان
ترجع الى العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فالتوبة والانابة وطلب الاقالة واما فيما
ذهب عنك من الدنيا او نقص فالتسليم والرضا والاحتساب واما فيما يوذيك به
ظالم فالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك وظلمك
لنفسك فان فعلت ما التزمت من الصبر والاحتمال اتاك سعة الصدر حتى تعفوا
وتصفح وربما اتاك من برد الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعوا له فتجاب فيه دعوتك
وما احسن حالك اذ رحم الله بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله
ان الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان
ليل ونهار فالقبض اشبه شي بالليل والبسط اشبه شي بالنهار فاذا ورد القبض
بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة اشيا عن الاقوال
والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك
او يبدو نجم تهتدي به او قمر تستضي به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر
التوحيد والشمس شمس المعرفه وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك
واعتبر بقوله تعالى

واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبوديه في القبضين جميعا واما ما كان وقته البسط
فلا يخلوا من ان يعلم له سببا او لا والاسباب ثلاثه السبب الاول زيادة في الطاعه
او نوال من المطاع كالعلم والمعرفه والسبب الثاني زيادة في الدنيا بكسب او كرامة
او هبة او صله والسبب الثالث بالمدح والثنا من الناس واقبالهم عليك وطلب
الدعا منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه الاسباب
فالعبوديه تقتضي ان ترى النعمه والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيا
من ذلك لنفسك وحظها ان يلازمها الخوف خوف السلب بما به انعم عليك
فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة
من الدنيا فهي نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من افاتها واما مدح الناس لك
وثناوهم عليك فالعبوديه تقتضي شكر النعمه بما ستر عليك وخف من الله
ان تظهر ذرة مما بطن فيمقتك اقرب الناس اليك فهذه ادابك في القبض والبسط
في العبوديه واما البسط الذي لا يعلم له سببا فحق العبوديه فيه ترك السوال والادلال
والصولة على النسا والرجال اللهم الا ان يقول سلم سلم الى الممات فهذه اداب القبض
والبسط في العبوديه جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن
وكلامه في ذلك حسن والحمد لله بيده سوابغ النعم ربما اعطاك فمنعك وربما
منعك فاعطاك منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والركون مع
نفسه وعاداته عطا جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن حظوظه واغراضه
وحرزه منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطا في الظاهر
قال الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه اذا منعت فذلك عطاوه واذا اعطيت
فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ قال حسب العبد ان يترك التدبير والاختيار
لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع
هو عين العطا سياتي بيان هذا من كلام المولف بقوله متى اعطاك اشهدك
بره ومتى منعك اشهدك قهره الى اخره الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة
فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان ها هنا
كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رايقة الظاهر
قبيحة الباطن كما قيل على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
وهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر

الى زينتها الظاهره فتغتر بها فتهلك صاحبها والعقلا ينظرون الى قبايحها الباطنه
فيعتبرون بها فيسلم من شرورها وقد وقع في الكتب السالفه ان الحواريين قالوا لعيسى
روح الله صف لنا اوليا الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام
هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب
وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا اجل الدنيا حين
عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان
سيتركهم فصار ذكرهم فيها فواتا وفرحهم فيها حزنا ما عرض لهم منها رفضوه وما
اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما
بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها هدموها وبنوا بها اخرتهم
احيوا ذكر الموتى واماتوا ذكر الحياه يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض العلما
يقول ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف باطنه فظهر لي عوار
عنها قال ابو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من اوليايه المقربين
منه فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر باخره ومن عرف بباطن حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بما تبتغها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه
السلام يقول ويلكم علما السو مثلكم مثل قناه حشي ظاهرها جص وباطنها نتن
ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعززن بعز يفنى العز الذي لا يفنى
هو الغنى عن الاسباب كلها لوجود مسببها الا انه بان لا يفنى فالتعلق به عز
لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها
لانها فانيه فالتعلق بها عز فان لا يبقى وليس لك الا احدهما لانهما ضدان
لا يجتمعان فان العز الباقي بالله تعالى لم يقدر احد ان يذله يحكى ان رجلا امر
بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه هارون وكان ثم بغلة سيئة الخلق
فقال اربطوه معها تقتله برجلها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت
وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فراوه في بستان وباب البيت مسدود فاخبر
هارون بذلك فاتي به فقال من اخرجك من البيت فقال الذي ادخلني البستان
فقال ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه دابه

وطوفوه

وطوفوه في البلد وقولوا الا ان هارون اراد ان يذل عبدا اعزه الله تعالى
فلم يقدر وان اخذت العز بالاسباب خذلتك واسلمتك الى اوحج ما يكون اليها
وكنت في غاية الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت رجلا في الطواف
وبين يديه شاكريته يطردون الناس ثم بعد ذلك بمده رايته يسال الناس يتكفف
الناس على الجسر ويسال شيا فاعتنيت انظر اليه واتشبهه لذلك الرجل
فقال لي مالك تنظر فقلت انت تشبه برجل رايته في الطواف من شانه كذا
وكذا فقال انا ذلك تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع
يرتفع فيه الناس قال بعض الشعر ان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره
فلا بقا لعزك اذ لا بقا لمن انت به معتز قالوا وانشدوا بعض الفضلا لنفسه

ليكن بربك كل عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت

قال دخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شانك قال مات استاذي
فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال اذا اعتززت
بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره فعدمته انظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل
شي علما الطي الحقيقي ان تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخره اقرب اليك منك
طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا اشرق نور اليقين في قلبه فتجتنب فتعدم
الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره وترى الاخره حاضرة لديه موجودة عنده
بل يراها اقرب اليه منه لاددانه فانيه منطويه بهذا الاعتبار في كانت هذه
مشاهدته لا يتصور منه حب العاجلة الفانيه وهي الدنيا والتنبذ الى الحاضر الباقي
وهي الاخره ولذلك كان اصل الرغبه في الدنيا والايثار لها على الاخره ضعف اليقين فمن لم
يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهد هذه احب الدنيا
وهو لا شي فلم يكن ثمنه عند الله شيا وهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا
الذي لم يكرم الحق به اولياه وبه يتحقق بعبوديتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الارض
الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال والصيام وترك الشراب
والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسياتي من كلام المولف رحمه الله لو اشرق نور اليقين
لرايت الاخره اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا
عليها العطا من الخلق حرمان والمنع من الله احسان عطية الخلق لك حرمان

على التخفيف لما فيه من رد ونيل لغير الله ودونه وكل ربح حظوظك و نشهد اثارى منح الله لك
احسان لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان بليت فلست تعظماً لخلق
حوبان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك و تقلد مننهم في اخذ عطيتهم والمنح من الله
احسان فانه حبيبك فكلما يفعل المحبوب محبوب ولله در من قال لا البس النعما وغيرك
ملبسي ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب وفي وصية على رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعماً
واعدد نعمة غيره عليك مغرماً وقال بعض الحكماء حمل المنن من الصبر على العدم وقال الحو
عفى التزاهة اشرف من سرور الفايدة اجل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة
جزا المعامله لا يختص بالدار الاخرة بل ربما اظهر الحق تعالى منه لبعض اوليايه في الدنيا
انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها في ذلك الاحوال
وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا كثير من جزايه على الطاعة ان رضيك لها اهلا
هذا بيان جزايهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريايه ما استحقروا
معه انفسهم ان يكونوا اهلا لان تكلفهم القيام بطاعته وعد في منها بتيسيره وحوته
نسباهم حبيه حبته واستولى عليهم قربه فانخرست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم
وذهب بهم الجايل مذهب وهذا هو غاية الجزا ونهاية العطا عند العلماء العارفين الذين
يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الاجلة كفى العاملين جزا ما هو فاتحه
على قلوبهم في طاعته وما هو موردة عليهم من وجود موانسته هذا بيان اخر لما
يكرمهم به من الجزا المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على
قلوبهم من انواع اللطايف ما يتشمون فيه روح الانس ويتنعمون به في حظيرة
القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى دونه كل جزا
ويستحقر بحسان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجات للقريب في الدنيا
ليس من الدنيا انما هو من الجنة اظهره لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا
يجده سواهم روحاً لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم الجنة
الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات وقال احمد بن ابي الحواري
دخلت على ابي سليمان الداراني يوماً وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا
ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة
اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاربهم اشرف الجليل سبحانه

فنادى يا جبريل

فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع عليهم في
خلواتهم اسمع كلامهم وانينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا
البكا هل رايتم حبيباً يعذب احبابه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم الليل
تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا علي يوم القيامة لاكشفن لهم عن وجهي الكريم
حتى ينظروا الي وانظر اليهم من عبده لشي يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود
العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه عمل العاملين لاجل حصول الجزا او فرارا من
عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن العارفين والمحققين لان قيام
العبد بحق اوصافه ولا يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب او دفع عقاب
لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شي ولا يستحق عليه هو شيا وهذا من اعلام المحبة
لله تعالى لان المحب يتبع السيد بامر محبوبه لا لمراد له الا ما اراد فعلى العبد ان
يعمل لربه عز وجل لجلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشارك
فيها فان خالف فيها وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفاته مولاه وكان ذلك
جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال ابن عبد الله القرشي رضي الله
عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال بالله
تعالى الا من يوثر الله على نفسه وروحه ودنياه واخرته وفي اخبار داود
ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الاود الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية
حقها وفيما نقله وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او نار
لو لم اخلق جنة او لا نارا لم اكن اهلا لان اطاع وكما قال عز وجل وفي اخبار
عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى يشتغل في طلب الرب فقد الهاه ذلك
عما سواه ومر عيسى على طايفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم
الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا نحن عباد فقال لاي شي تعبدتم قالوا
اخوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يومنكم مما خفتم
منه ثم جاوزهم فمر باخرين اشد عبادة منهم فقال لاي شي تعبدتم قالوا
اشوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها لاوليايه فنحن نرجوها فقال حق على الله
ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقالوا ما انتم قالوا نحن
المحبين الله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى
جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم
فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم

وقال للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وهمن روي
عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو
حازم المدني كان يقول اني استحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب
فاكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون
كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ ابو
طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن
احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة
لم يعمل وقال بعض اخوان معروف له اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شي
اهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت
فقال واي شي الموت قلت ذكر القبر قال واي شي القبر فقلت خوف
النار ورجا الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا هذا كله بيده ان
احببته انساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال
ابو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني دخلت
الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه
من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه
قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت
في سرادق العرش رجلا قد شخص ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا قال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا
الى جنته بل حبا له فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر
بن الحارث واحمد بن حنبل قال ابو طالب ورويناه عن رابعة العدوية وكانت احد
المحبين وكان يجلس بين يديها فيقول علمينا مما اتاك الله من طرائف الحكمة
وكانت تقول نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم لقولها
وكان عالما زاهدا الا انه كان يوثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب الدنيا
وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة
ايمانك فقالت ما عبدته خوفا من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا
حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه والاثار

والحكايات

والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا عمل المريد ما ذكرنا وكان عبد الله حقا
فان طلب منه الخوف او استعاذ به من العقاب فانما يطلبه او يستعيذ به انجازا
لموعد ربه وفرارا من دعوى رويته حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من
طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه هو المعنى بالحديث المروي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة
قال اتشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك من النار اما والله ما احسن دندنتك
ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن لانا يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده
باعانته له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون نحله لذا كبير خولا يعلوا هذا
هو مذهب العارفين المحققين وعليه تنبني قواعد التصوف فكلاهما مني اعطال الشهدك
بره ومني منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك
المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى
ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعريفه وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده
عليهم من الاحكام ثم هي على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطا او خالفهما
ويسمى ذلك منعا فبوجود العطا يشهد صفاته العلية من الجود والكرم
والاحسان واللطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبرية
والكبريا والعزة والاستغنا فيسعى لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت
معرفة ربك ولم يستفزك حب حظك اذ المنعه لك عطا على التحقيق فهو في
كلتا الحالتين مانع عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من
قوله في فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم قال سفيان
الثوري رضي الله عنه اتيت ابا حبيب البدوي اسلم عليه ولم اكن رايته
فقال لي انت سفيان الثوري الذي يقال لقلت نعم ابن عبد الله عز وجل بركة
مايقال قال فقال لي يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا قلنا اجل قال فما راينا
نكره لتكن لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك العطا منه لك وذلك
انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان تكلاه
ومعك شغل قال ثم اقبل على غنيمته وتركني انما يوقل المنع لعدم فهمك عن الله فيه
اذ لان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتان عظيمتان كما ذكرناه الان فينبغي
ان يكون في عينيهما قرة عين المريد فان تالم باحدهما وهو المنع ولذ له الاخرة

وهو العطا فذلك لعلم فهمه وتصور عقله بل الاكمل والافضل له ان يولم
بالعطا ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصلح الفقير للفقر
حتى يكون فيه خلتان احدهما الثقة بالله والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه
مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع
افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة
ما لا يجد للعطا لا يعرفه غير ربه الذي خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى
سوى مليكه ولا يملكه الا ما كان من تمليكه وكل شي له تابع وكل شي له خاضع
انتهى ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب
فكان سببا للوصول ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشيا ولينظر الى حقايقها
فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الافات القادحة
في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب
لا تقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله اليه وحصوله
في حضرة قربه كما قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنة وقد جا في الحديث
الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعات ان يعجب
ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه
في الذنب اللجا الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه
وتعظيم من لم يفعله قال ابو حازم ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين
يعملها وما خلق الله من سيئة اضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه
حين يعملها وما خلق الله من حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل
الحسنة تسره فيتجبر فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها او
يحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله
ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق ثم بين

ثم بين المولف رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله معصية اورثت ذلا وانكسارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا لان الذل والافتقار من اوصاف العبودية
والعز والاستكبار ليسا كذلك لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعة
اذا لزم عنها شي مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالاة بالمعصية اذا لازمتها صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالاة بالمعصية اذا لازمتها صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالاة بالمعصية اذا لازمتها صفات العبودية لانها ايضا تمحوها
وتزيلها قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من
صولة المطيع وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجا لعباد
الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم
عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه
عاص فاكرمه لان ذلك الطايع اتاه وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي
دخل عليه بكسرة معصيته وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم
الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله ومن هذا المعنى ما روي
عن ابان بن ابي عياش رضي الله عنه انه قال خرجت يوما من عند انس
بن مالك بالبصرة فرايت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معها رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يتبعها احد فلاكونن
خامسهم فتبعتهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت انتم اولى به
فقالوا كلنا سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا
تلك المراة قال فتبعتهم فدفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المراة وهي
تضحك فدخل قلبي شي فقلت لا يمكنك الصبر فاخبريني ايش القصة فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة ايام فقال لي يا اماه
اذا مت فلا تعلمي بموتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي
واكتبي على خاتمي لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله يرحمني
وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزا من عصى الله واذا دفنتني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما
اوصاني فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي
يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي
من هذا ومن المعنى الاخر ما روي ان رجلا من [illegible] اسرائيل [illegible]
بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال [illegible] فوالله لا يغفر الله
لك فاوحى الله عز وجل ايها المتالي علي بل [illegible] لا يغفر الله لك قال الحارث

المحاسبي رضي الله عنه لانه ابدا لا يجعل الله عز وجل لا يغفر الله له لعظم قدر
نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمه لا يغفر الله عز وجل
لعبادته وسجوده لانه نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا
واغترارا بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روي عن عيسى عليه السلام خرج
ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطي مشهور بالفسق فبقي تقعد
منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح
وقال اللهم لا تجمع بيني وبين ذلك بناحية فاوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد
استجبت دعاءهما جميعا ورددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروي عن الشعبي
وروي ايضا عن الجلد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل
لكثرة فساده مر برجل اخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى راس العابد
غمامة تظله فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست
اليه لعل الله عز وجل ان يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فانف منه وقال قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي
ذلك الزمان ان مرهما يستانفان العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي
حديث اخر فتحولت الغمامه على راس الخليع قال الحارث المحاسبي وانما اراد
الله عز وجل من عباده قلوبهم فيكون حول رحمته تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العابد
او العالم وانف وتواضع الجاهل او العاصي ذلا وهيبة لله عز وجل وفرقا منه
فهو اطوع لله عز وجل من العابد والعالم بعمله نعمتان ما خرج موجود عنهما
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمة الايجاد ونعمة
الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود باق لانه في ذاته معدوم
فلا شيء فنعمة الله الايجاد ازالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما
ونعمة الامداد ازالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني ذلك قال سيدي
ابو مدين الحق تعالى مستقل الوجود مستمد المادة من عين الوجود
فلو انقطعت المادة انهد الوجود وهذا توطية لما يريد بيانه من الفقر الذاتي
نعمة انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد هذا احد جزئي
الكلمة المتقدمه وهو وجودك ومما لا ينبغي ان يتغافل عنه من انواع هذا
الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما ولذلك اكبر نعمة
الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا للوسيلة
اليها ولولا تولي الله تعالى له بتبيين النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات

الضلالة وغرق في بحار الجهالة وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه العزيز فقال عز من قائل
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وان من اكبر
صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة اغاليط الناس في البدع والاهواء وما
يتشعب بكل قوم من مختلف النحل والاراء ثم انك ترى ضعفه ونقصان عقله وكثرة حيرته
في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في احواله وشدة حاجته الى الاستعانة باشكاله
في اعماله ثم ترى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك
وصفاء عين عرفانه عن رهج الجهل علمت ان ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده بل الفضل
من ربه وسابغ طوله قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر نعماؤه
والباطن رحمته عليك منظاهرة والباطن بالاية وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد
ان يعرف قدر هذه النعمه ويتوكل على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد على
ذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده
من النار وعن ذا النون المصري رضي الله عنه ما هو قريب من هذا من كان من توحيده
ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه عز
وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة قال الشيخ ابو طالب المكي فعلمنا ذكر
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله تعالى لما اسدى اليكم
من نعمه ولما يغذوكم به ايضا فمن افضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة
له وعز لوه لنا سنة دولة ذلك ومدده بروح منه وتثبيته علينا في تصريف الاحوال
الذهول من الاهوال التي تكون النوازل تقلب قلوبنا عن التوحيد كما تقلب
حول احنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا
في الاعمال لاي شيء كنا نصنع وعلى اي شيء كنا نقول ولاي شيء كنا نرجو
وترجوا ان هذا من كبائر النعم وحرمته هو شكر نعمة الايمان والحذر بعد هذا
غفلة عن نعمة الايمان يوجب العقوبة وادعاء الايمان ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى ولنا فصل نوع ذلك
وهو حسن في المعنى فانتك لك ذاتيه وورود الاسباب كلام الشيخ ابو طالب
عليك منها والفاقة فيك ذاتيه لا ترفعها العوارض اذ لا بد ان مذكوران تك بما اخذ
لا زمتان لك وانك في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك ولولا اضطرارك
لوجودك وان لتستغني بوجود النعمتين المذكورتين عن الايجاد والامداد
والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية ولما ارشد على الاسباب التي تحاد
وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك فاقة عن ذلك الامر عرضي
تك والاضطرار اللازم لوجودك فقال ثم من ذلك وتفهم تحقق عبوديتك ولا تجاد لم

حركوطوركنا بعضهم انما حمل فرعون على قوله انا ربكم الاعلى طول العوافي
والغنا لبث اربعمايه سنه لم يتصدع راسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبيه ولو اخذته الشقيقه ساعة واحده او المليلة كل يوم لشغله ذلك عن
دعوى الربوبيه فالشي لطايف المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو
ممكن ذو وكل ممكن مضطر ابدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الاخره
ولو دخل الجنه فهو محتاج الى الله تعالى فيما غير انه غمس اضطراره في المنة التي اغرقت
عليه ملابسها هذا هو علم الحقايق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهاده
ولا في الدنيا ولا في الاخره فالعلم صفته الكشف اي علم كان وفي اية فتكان
والارادة صفتها التخصيص اي ارادة كانت وفي اي وقت كانت ومن اتسعت
انواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله تعالى اقواما اضطروا اليه عند وجود
اسباب الجاتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال الله تعالى واذا
مسكم الضر في البحر الايه وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الايه
وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الايتين الى غير ذلك من الايات الوارده
في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقايق وجودهم سلط
الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الالهيه
انتهى خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد الى وجود ذلتك
انما كان هو خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك
عن الوسايط والاسباب الموجبه لبعدك وحجبك قال رحمه الله خير اوقاتك وهي مواسم
ولعيادك حسبما يقول المولف رحمه الله تعالى بعد هذا يحكى عن عطا السلمي رضي
الله عنه انه بقي سبعة ايام لم يذق شيا من الطعام ولم يقدر على شي فسر قلبه
بذلك غاية السرور فقال الهي يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف
ركعه وقيل ان فتح الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشا ولا سراجا
ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهي لاي سبب وباي
وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به اوليايك وقال بشر بن الحارث الحافي
رضي الله عنه بلغني ان بنتا لفتح الموصلي عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها
فقال لا اكسوها حتى يرى الله عريها ويصبر عليها قال وكان اذا كان ليالي
الشتا جمع عياله وقال بكسا به عليهم ثم قال اللهم افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني
وجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل
هذا باوليايك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه
بكى في ليلة شتوة ثم قال الاهي اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي واعدمتني

واقعدتني

واقعدتني عيالي بالليل ليس فيه مصباح وقد كنت تفعل هذا باوليايك فباي عمل الاهي باي
عمل استحقيت هذا منك حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه
قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه متى اوحشك
من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك باب الانس به باب الانس بالله تعالى
الا استيحاشك من الناس ولذلك قال من علامات الافلاس الاستيناس بالناس
فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت انسك
بربك ومعنى الوحشه منها ان تنتهي منها نفرتك وتنقبض عنها بسرك
ولا يكون لاشيا موقع عندك ولا تجد فيها متعه الكما جا في ابي يزيد
رضي الله عنه حين اطلع على انواع من الحقايق ودعي بسني الرغايب وكشف
له عن الملك الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيا فقال لا لم ار فيها
استحسنه فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس وبيان هذا
المعنى في قوله في ما جاء به انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم
ومتى اطلق لسانك بالطلب منه فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان
بالطلب هو ان تحل عنه عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغنا بالاغيار وعدم
رويه الفاقة والافتقار فاذا احل منه هذه العقده بشهود فقره وفاقته
وانطلق لسانه بالطلب كان ذلك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب
الدعوه لصدق الموعود باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وانشد

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ... من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب الرحمه وما سئل الله شيا احب
اليه من ان يسئل العفو والعافيه في الدنيا والاخره وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابه قال الشيخ ابو بكر الخفاف رضي الله عنه
وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له الدعا وعن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا صب عليه البلا
صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملايكه صوت معروف وقال جبريل
عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني
احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك
لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني عن شي الا اعطيتك اما ان اعجل
لك ما سالت واما ان اوخره لك عندي افضل منه واما ان ادفع عنك به مثله

ما هو اعظم من ذلك العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله
قراره معرفة العارفين هي معرفتهم بانفسهم وبما هي عليها من الفاقة
والافتقار الى العزيز الحميد وبقدر ما يتحققون بذلك في انفسهم تكون معرفتهم
بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف
لا يفارقه الاضطرار قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله
تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطا الله رحمه
الله يعني كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا
زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دايرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا
قبضة الله الناشطة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دايم وانما لم يكن له
مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشيا ونفوره بقلبه عنها كما
تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد بها ان يعلمك ان ما تقدم له من الاستيحاش
من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين
انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار اوصافه لاجل ذلك افلت انوار
الظواهر ولم تافل انوار القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس النهار تغرب
بالليل وشمس القلوب ليس تغيب انوار الظواهر التي بها اثارها الحق تعالى
هي الادراكات والاحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد
وانوار السرائر التي بها اثارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطايف الادراكات
والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره وانوار الظواهر متعلقة بانوار الصفات
الازلية فلاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا كان ما ذكره
المولف رحمه الله من افول انوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم افول انوار
ما تعلق بالقديم الباقي ثم انشد المولف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره
ومعناه بين وقبله طلعت شمس من احب بليل فاستضات فما لها من غروب
وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط بها ويفرح عموما
ويعتني بتحصيلها ومراعات حالها بخلاف الامور الفانية الزايلة وحينئذ
يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين
ويروى ان رجلا سال سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال
هو الحي الذي لا يموت فقال انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل
سالناك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر قيل انما سالناك عن طعم الجسد

فقال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت علة رده الى صانعه
اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه انشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل … والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا … هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة … ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى وتبقى دايما في غبطة … او شقوة وندامة لا تنجلي
اعطيك جسمك خادما فخدمته … اتملك المفضول رتبة الافضل
شركتك انت في حبالته … ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلا منزل … ما باله يرضى بادنى منزل
يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته … وتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس فاستكمل فضائلها … فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وقيل في هذا ايضا ليخفف الم البلا عنك علمك بانه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك
منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به
ومتعطف عليه وناظر اليه فضلا عما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي له ان لا يتلقى
ذلك الا بالرضى فانه لم يتعود منه الا الخير فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار الله
واراد له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم
قال ابو طالب المكي في هذه الاية فالعبد يكره الحيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الاخرة
وقد يحب الغنا والعوافي والشهوة وهو شر له عند الله تعالى واسوا في معنا قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة البلا لانها نعمة في الاخرة فاذا كان ما يصيب
المومن فهو نعمة كانما كان لله الحمد على نعمه فالشيء السوي انما يقويه
على حمل اقداره شهود حسن اختياره وانشد فيه لنفسه يقول

وخفف عني ما الاقي من العنا … بانك انت المبلي المقدر
وما لامرى عما قضى الله معدل … وليس له منه الذي يتخير

وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه يقول حببت مرة وكنت بغور وحشه
من ذلك فدخلت الحمام فنفخ على قلبي بشي من الرضا فلست النجم كل عرق في واحدة من تلك
العروق تجد حتى لم يبق منها اثر قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في اخر عمره وقد اشتد به علته
قال من امارات التاييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا

البلا كان فيه من حاله هو ان يفرق كل عضو بمقاريض القدرة في امضا الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن حامد وقال الجنيد كنت نايما عند سري السقطي رضي الله عنهما فانبهني وقال يا جنيد رايت كاني قد وقفت بين يديه وقال يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر فسلطت عليهم ذرة من البلا فهرب مني تسعة اعشار العشر فقلت للباقين لا للدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شئت فهولاء عبادي حقا من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره تصور النظر في روية اللطف في القدر من ضعف اليقين وسو الظن بالمقدر الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراى في ذلك من الفوايد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر وقد كان كما روي عن بعض الصالحين العارفين انه قال لقد مرضت مرضة فاحببت ان لا تزول وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سبعا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على جريد وكان تحته ثقب لغايطه وبوله فدخل عليه مطرف او اخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما راه من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الي احبه الله سبحانه وتعالى ثم قال احدثك بشي لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملايكة تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال دخلنا على سويد بن منعة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيا حتى كشف فقالت له امراته اهلي فدى اذكر ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت لا اسيغ طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا وكذا وذكر اياما ثم قال ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهولاء شهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنه منحه ولطفه فاوجب لهم ذلك من اللطف

بما هو فيه الرضا والتنعم به والتلذذ والحمد وعلى ان لا يحبوا انزاله عنهم ولا انقضاه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ها هنا ما يزداد به المريد قوة في حسن ظنه بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى بها عباده مناقضة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم ولما انزع النفس ونقصها والمها فهو مجهود العافية من قبل ان ذلك ادل له الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو اعظم فوايد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا محو النفس وذهاب نفوسها وبطلان صفاتها اذ يوجد ذلك بنفع العبد في الذنوب والمعاصي وتتاكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقل ما لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس بذلك من احببت من عبادي وفيها ايضا يحصل له طاعة القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحسن الظن بالله تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي رضي الله عنه اراد بذلك انه لم يقربك باعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجيد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس مقام الحب والرضا وصف المتوكل يعني انما انت عنده من طبقة اصحاب اليمين مزيدك منه مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشارة الى ما قلناه من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة فقد حصل على كنوز البر ذكر ابو ابراهيم اسحاق ابن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله تعالى في كتاب النصايح له ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة في ساقه فلقت الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحاح منها فقال له

الاطبا الا نسقيك مرقدا لئلا تحس بما يصنع بك فقال لا ولكن شانكم بها
فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا انكروا منه حتى مسته
النار فما زاد على ان قال حس واصيب حينيذ بابنه محمد وكان من احب ولده
اليه فلما راى القدم بيد بعضهم قال اما والله تعالى يعلم اني لم امش بها الى معصية
قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول
لعمرك لين اخذت لقد ابقيت ولين ابليت لقد عافيت ولين اخذت
قليلا ما اعطيت وذكر بن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدايني
قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فساله عن سبب
ضرره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا
يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فاذهب ما كان لي من اهل ومال وولد الا صبيا
رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه
فما جاوزت الا وراس الذيب في بطنه قد اكله واتبعت البعير فاستدار
فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا
اهل ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس
من هو اعظم بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد انه خرج مع بعض
اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فاداهم السيل الى سفح جبل فاذا فيه عبد
مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت
البصرة فتعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السما وقال يا سيدي
باي ذنب سلطت علي هولا يسخطوني عليك ويكرهوك الي سيدي
العتبى من ذلك الذنب واستغفرك منه لا اعود فيه ابدا ثم اعرض عنا بوجهه
فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر الحارث الحافي رضي الله عنه انه قال رايت
بعبادان رجلا قد قطعه البلا وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك
كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مصروع من جنبه قال
فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما
به وانعوا فافاق فقال من هذا الفضولي الذي يدخل
بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته علي وما ... من حجري
قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض عليه في نعمة اراها عليه من البلا

وقد روي

وقد روي عن بعض الاخبار ان يونس وجبريل التقيا فقال يونس لجبريل
عليهما السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه واذا هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما
حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل
انما سالتك ان تريني صواما قواما فقال ان هذا كان قبل البلا هكذا وقد
امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما
حيث شئت وسلبتهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا
وصول فقال جبريل عليه السلام هلم تدعوا وندعوا معك ان يرد عليك
يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك
قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس
يا جبريل ما رايت احدا اعبد لله من هذا قال يا يونس ان هذا طريق ليس
يوصل الى رضاه بشي افضل منه وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر
اجتباه وان رضي اصطفاه وفيها ايضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا
ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك
الا بما يرد عليه من انواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظايف
الطاعات ويتكاسل عن ابواب فضله على نوافل الخيرات فيكون
حينيذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سياته بها وان قدر
عليها ولم يتكاسل عنها من له بتخليصها عن الشوايب وتسلمها
من الافات والمصايب وحينيذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه
به لعله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم انما يختاره له خير مما يختاره
لنفسه بشهوته وهواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال للرجل الذي قال له اوصني قال لا تتهم الله في شي قضاه عليك
وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير وليس ذلك
لاحد الا للمومن ان اصابته سرا شكر فكان خيرا له وان اصابته
ضرا صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث
ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم
ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سياته وذكروا ايضا من حديث عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم

يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عايشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري ايضا
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد
الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل
البردة تقع من السما في صفايها ولونها وروي عن علي عليه السلام
انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده
وماله لما يرجوا بذلك من كفارة خطاياه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبار
كثيرة في الحمى والغم وغير ذلك وذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه
حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول الله فقال
انا كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله اي الناس اشد
بلا قال الانبيا ثم الصالحين ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد العباءة
يحويها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح
بالبلا كما يفرح احدكم بالرخا وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين اي من الاثام والذنوب بالحمى والامراض لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في الحمى اذهبي الى اهل قبا وقد دعت
في بعض الاخبار بدلا من اهل قبا الانصار وفيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت قال ام ملدم صورة الحمى فقال عليه
السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم
فلم ير احدا من الانصار يحضر الصلاة فطلبهم فقال اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا
نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى تزيد
منها وذكر مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على ام السايب او ام المسيب فقال ما لك يا ام السايب او يا ام المسيب
تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا
بني ادم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المؤمن
بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال في اخر الحديث
من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان ايضا وذكر
ان انس بن مالك وابا ظلال كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال
متى فقدت بصرك قال وانا صبي لا اعقل قال الا احدثك حديثا حدثنيه
حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل عن ربه عز وجل قال
يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال
جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو
ابن ابي ظلال المذكور انه سمع انسا يقول لعمرو بن ام مكتوم فسلم فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عليه السلام
عن هذا وضربائه الذين ذهبت ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل
عليه السلام ان الله عز وجل يقول حق علي من اخذت كريمتيه ليس له
جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصيب
عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد
فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما
من حديث ابن العباس رضي الله عنه ان امراة سودا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي قال ان شئت
صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت اصبر
قالت فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها الى غير ذلك مما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها
ايضا يحصل له تجديد التوبة باداء الحقوق والتبعات والظلامات
وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك ابلغ ما
يذكر به فقد قيل في الحمى بريد الموت وقد قيل في قوله تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي يختبرون
بها وفي حديث عايشة وانس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون
مع الشهدا يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة
وفي لفظ الحديث الاخر يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف يستوحشون
اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال فيا لله العجب والموت
في كل يوم اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون

فقد ذلك في هذا العدد من غير ان يصابر امنه بشي وفيها ايضا نفع له
خلف ما كان يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه
مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك ابلغ في الوصول الي غرضه لانه
من اختيار الله له وهو خير له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالي بلائي
اكتبوا العبدي صالح ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته فالي رحمتي وفي الحديث الصحيح
من حديث ابي موسي الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ذلك ما كان يعمل صحيحا مقيما
الي غير ذلك من الالطاف التي لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني ها هنا لانها
لايقة بكلام المولف رحمه الله وكانها مفسرة له وايضا فان العبد محتاج اليها
غاية الاحتياج فانه في حال نزول البلايا به يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه
ويتزلزل ايضا به فيحتاج الي مذكر يذكره بامثال هذه المعاني ليحمله بذلك
من الرضا وحسن الظن بالله تعالي والاعمال بخواتيمها وبهذا الغرض هو
الذي اوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر الاحاديث
فيه ابوالقاسم الثقات لتطمين قلوب اهل البلا بذلك ونسال الله تعالي
اصحاب ذلك المسالك والله ولي التوفيق لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق
عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوي عليك الطرق الي الله تعالي واضحة
لايحة لان الحق تعالي هو الذي تولي ذلك وبه انزل الكتب وارسل
الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف علي العبد من التباسها
عليه وانما يخاف من غلبة الهوي عليه حتي يعميه ذلك عن رويتها قال احمد
بن خضرويه البلخي الطريق واضح والحق لايح والداعي قد اسمع فما التحير
بعد هذا الا من العمى سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة الحرية
التي اختص بها ولاية الله فيشلا يبقي معها وجود لغير ولا كون وذلك بما
حصل فيهم من التحقق والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالي ان ستر ذلك
بما اظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا

هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطايف المنن لابد للشمس
من سحاب وللحسناء من نقاب ثم ان حقيقة البشرية الاتصاف بصفة
الافتقار والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة النعت
والفناء فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هي عظمة الربوبية التي
ظهرت لنا من ورا حجاب العبودية ولولا ذلك لكان حكمها باطنا لا يظهر كما قال
سيدي ابوالحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة ظاهرها الربوبية
فسبحان اللطيف الخبير من هو على كل شي قدير والتسبيح الذي ذكره المولف
ها هنا في غاية الملايمة بما ذكره من المعاني لا تطالب ربك بتاخير مطلبك
ولكن طالب نفسك بتاخير ادبك اذا دعوت ربك وسالته منه مطلبا
من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفا بذلك
فانه يفعل ما يشا لا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخير ادبك
فانها اهل للمطالبة وسو ادبها من وجوه احدها انك دعوت للتجاب
في دعايك فيحصل لك بذلك غرض وهو ما يقدح في كمال العبودية وسياتي
هذا المعني في عند قوله لا يكن طلبك تسببا الي العطا منه فيقل فهمك
عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية والثاني اعتقادك
انه لم يستجب لك اذا ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة
ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه لم يفعلها
يجعلها متي شا بما تعلمه او تجهله وقد تقدم هذا المعني عند قوله لا يكن
تاخر امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا ليأسك الي اخره والثالث
وهو اشدها اعتراضك علي ربك في حكمه وسخطك لنازلة اذا تاخرت اجابته
دعايك ثم ذكر المولف رحمه الله تعالي الحالة التي اذا كان عليها العبد كان محقق
الادب ووصل الي غاية الادب فقال متي جعلك في الظاهر ممتثلا لامره
ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك هذان
الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فمتي يسرها
الله تعالي لك واقامك في مراعاتها احكاما وفقك لذلك فقد اعظم المنة
عليك فلا تتشوف الي ما سواها بعدها ان كنت عبدا محققا
قال سيدي ابوالحسن صحبت شابا في الله تعالي في البداية واعتزلنا

في مغارة عجمي ان يكون من اوليا الله تعالى ولان يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم
فاقمنا اياما نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن
كذلك واذ انشيخ على باب المغاره يستاذننا فاذنا له فدخل وسلم ووقف فقلنا له من
انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اوليا الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال
من يقول لنفسه في هذه الجمعة
اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا اخره يا نفس لم لا تعبد الله
كما امرك مخلصه لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا
ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وللنفس يا نفس من انت حتى
عملك وما خطورك انجلا شي وتبنا واستغفرنا الله تعالى فافتح الله علينا
بجوده وفضله ليس كل من تنبت تخصيصه كملت خصوصيته التخصيص هاهنا
هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده اثرته وعنايته وتوليه ولطفه
ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن روية
الاغيار والاكوان وهاولاء هم خواص المقربين اهل العلم بالله والخشية
ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال وبريه في حاله بما يليق به من
علوم واعمال وهولا عامة المقربين وخاصة اهل اليمين العباد والزهاد
واهل المجاهدة والاوراد وهولاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى
من لطائف الكرامات وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات
والعبادات فلم يتخلصوا عن روية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعات
حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب محتبطون بوجود الحجاب
وقد يختص الحق تعالى هولاء باظهار الكرامات على ايديهم تسكينا
لانفسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون
اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب
كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشي من خوارق العادات
افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفه فالقدرة

ابشر من القادر دون اهل يقرب القادر ولا يستغرب ولا يستكثر شيا من القدره
ويري القدره تتجلى له من سجف اجزا عالم الحكمه وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له
ان ابا تراب ذكروا انه جاع في البادية فراي البادية كلها طعام فقال عبد رفق به ولو بلغ
الي محل التحقيق لكان كمن قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني قال في لطائف
المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان
ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفردانيته واحديته وان قدرته
لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل
العوائد والاسباب والوسائط حجب قدرته وسجف شمس حكمته فوا اتفق عندها
محدود وما قدمها اليه بالعناية موصول قال وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
فايدة الكرامه تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادات والصفات
الازلية بحيث لا ينخرق والكرامة ينفقد كانها صفة واحدة قايمة بذات الواحد ليست
من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبت لمن
ظهرت له ربما وجدها اهل البدايات في بداياتهم وفقدها اهل النهايات
في نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين
لا يحتاجون معه الى تثبيت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم
الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف
الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الى رسالة فالكرامة دافعة لتزلزل
الشك في المنة وتعرفه بفضل الله تعالى فيمن اظهرت عليه وتخلصه له
بالاستقامة مع الله تعالى والناس في الكرامات على ثلاثة اقسام قوم
يجعلونها غاية الاصرفان وجدوها عظموا من اظهرت عليه وان فقدوها
لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع تخدع اهل
الارادة ليقفوا على حدودهم وحتى لا يلحوا منها ما ليس هو لهم حتى قال ابو
تراب النخشبي لابي العباس الرقي رحمة الله عليهما ما تقول اصحابك
في هذا الامور التي تكرم الله بها على عباده فقال لما رايت احدا الا وهو يومن
بها فقال ابو تراب من لم يومن بها فقد كفر انما سالتك عن طريق
الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا فقال بلى قد زعم اصحابك انها خدع
من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم
يقترح ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين كان هذا من ابي تراب
رضي الله عنه بعد ان عطش القوم وهم اصحابه فضرب بيده الارض فنبع
الما فقال الفتى اريد اشربه في قدح فضرب بيده الارض فنا وله قدحا

من زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الدقي وما زال القدح معنا الي انه
قال الشيخ ابو الحسن والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله تعالى
ومن اظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال الي
الكرامات والقسم الثاني وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف
ذلك العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة
اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او شاكا
في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع
الاحسان انتهى وقال ابو نصر السراج سالت ابا الحسن بن سالم فقلت له
ما معنى الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان
تحصل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم
ذلك حتى يحتجوا بذلك على انفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق
الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على ان يصير الحجارة ذهبا كما شاهدتموه
اليه اليس بقادر ان يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا
بذلك على صحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعون بذلك جزع نفوسهم فيكون
ذلك سببا لرياضتها وتاديبها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية
عن سهل بن عبد الله انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحاق بن احمد وكان من ابناء
الدنيا فخرج عن الدنيا اعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل
يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت
القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل الله ان يصيره لك طعاما
تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال سهل امامك ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك
فقال ابراهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي فاني موقن بذلك والنفس لا تطمئن
الا برؤية العين فانا كذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم
وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه
الكرامات الا على ايدي البله من الصديقين وكان رجل يصحب سهل

ابن عبد الله

ابن عبد الله فقال له يوما ربما اتوضا للصلاة فيسيل الماء من بين يدي
قضبان ذهب وقضبان فضة فقال له سهل اما علمت ان الصبيان
اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي
عن الجنيد قال جاءني ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي
وجماعة وكان فيهم رجل اصلع كثير الكلام فقال يوما لابي حفص قد كان
فيمن مضى لهم الايات الظاهرة يعني بها الكرامات وليس شيء عندك
فقال له ابو حفص رضي الله عنه ثم جاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم
فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فاخذ الحديدة المحماة فاخرجها
فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهاره ذلك
من نفسه فقال لما كان مشرفا على حاله يخشى على حاله ان يتغير عليه
ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وديانة لحاله وزيادة لايمانه
بل ربما يتغير عندها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف
اللطف ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات وذكر عن ابي حفص
او غيره انه كان جالسا وحوله اصحابه فنزل ظبي من الجبل فبرك
عندهم قال فبكى ابو حفص فسئل عن بكائه فقال لما كنتم حولي
وقع في قلبي ان لو كانت لي شاة لذبحتها لكم فلما برك هذا الظبي
عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سال الله تعالى ان يجري معه
النيل فاجراه معه فيكتب وسال الله الا اجابه مما تمنيت وبنيت الظبي
ويحكى ان بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين ما بالنا
لا نعتاض علينا شيء وهو يعتاض عليه اثقل الامور مع انا نتمنى مقامه ولا
نتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين فقال قل له لو كنا نزداد لم نزد
وعن بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى الى سباخ فاراد ان يرتفع
الى راس البئر فقال انا اعلم انك قادر على هذا لكن لا اطيقه فلو بعثت
لي بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ما كان اسلم
لي ثم قال الا اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله
عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات فطريقه طريق الابدال
واذا رايته يشير الى الالاء والنعماء فطريقه طريق المحبة وهي اعلى من الذي
قبله واذا رايته يشير الى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه

طريق العارفين وهو اعلا درجه من جميع الاحوال وقال ابو يزيد كلنت وبدايتي يريني الحق تعالى بالايات والكرامات ولا التفت اليها فلما رأى ذلك جعل لي الي معرفته سبيلا وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الاخره والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنا به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما انت طالبه منه الورد عبارة عما يقع بكسب العبد والوارد انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما انت طالبه منه من عبادة ظاهره او باطنه والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطايف والانوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وبصره فالوارد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبوديه والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد احق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدها ان الورد منتهى بفنا الدار لا ينفع الا فيها وهو منقطع بانقطاعها ... بقايها فينبغي للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثاني ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولي وابقى بالعبوديه من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطايف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت في اصناف الطاعات فاي من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقه جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيا من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون اجروا الحقايق على السنتهم وخلت انوارها من قلوبهم وان الحق بحكمته جعل الطاعة الجاريه على العباد مفرحة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعامله بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه واستظهر من الغيب بفتح له ... ولا تكن ممن يبطل الله نعمته ولا يطالب نفسه به نذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله

والمؤمن



والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لمولاه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف المدد عليه انبسط ادبه ولا يستبطي مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تنبيه على تاكد امر الاوراد وعظم موقعها من الدين وان سواها فمن احسن سيرة العارفين وقد روي ان الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب به وصلنا اليه ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعه ثم يعود الي بيته ورؤي بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبادات وابيدت تلك الرسوم ونفدت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعه ويوم نيروز وهو يقرا القران فقيل له ختم هذه الحاله يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي قال ابو الحسن السراج ذكر الجنيد رضي الله عنه اهل المعرفة بالله وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعدما اطلعهم الله به من الكرامات فقال الجنيد العباده على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال ابو بكر العطار حضرت الجنيد رضي الله عنه عند الموت في جماعة من اصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجليه اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض اصحابه ممن حضر ... رجلا ابي القاسم تورمتا فقال ما هذا يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته رضي الله عنه قال له ابو محمد الجريري يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد هذا وقت منة الله فلم يزل كذلك حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه وقال الحصري رضي الله عنه يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني لما حضرته الوفاة جعلنا نلقنه الشهاده فقال يا بني دعني فاني في وردي السادس قال ابو طالب المكي ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان في خبر ان عايشة رضي الله عنها سيلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمه وفي لفظ اخر كان اذا عمل عملا اثبته وفي الخبر

المشهور احب الاعمال الي الله تعالي ادومها وان قل وجاي الاثر كلام تارة يروي عن حسن
بن علي وتارة عن البصري ومرة عن عايشه رضي الله عنهم وبعضهم يحكيه عن النبي
صلي الله عليه وسلم في المنام من استوي يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شر من
امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت
خير له وقد يكون استحقارا لورد من الكبر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذلك
ان تكون له خيالات تظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار
بطالته وفي ذلك نقض العبوديه بالكليه وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ
بالله وصاحب هذا عظيم الجهاله شديد الضلاله والغلاله وقد قال الجنيد رضي الله
عنه لرجل ذكر المعرفه فقال الرجل اهل المعرفه بالله يصلون الي ترك سقوط
الحركات من باب البر والتقرب الي الله فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط
الاعمال وهذه عندي عظيمه والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا
وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام
لم انتقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي واحد في
حالي قال الشيخ شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف نراما من
نفسه فتخيل الوقت بما لو لم يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوه بالزور
ويخرج بالغرور ربما نقض العبادات ويستحقرها ويسلب لذة المعامله ويذهب
عن قلبه هيبة الشريعه ويفتضح في الدنيا والاخرة فيعلم الصادق ان المقصود
من الخلوه التعبد الي الله تعالي بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات
فيصلح لقوم من ارباب الخلوه مداومة الاوراد وتوزيعها علي الاوقات ويصلح لاخرين
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبه ويصلح لقوم الانتقال من ال...
ولقوم الانتقال من الاوراد الي الذكر انتهي ما يتعلق بغرضنا من كلا...
وهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله تعالي وليس من هذا المعني
ابي سليمان الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله عنهما انهما
صارت المعامله الي القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما
الانهي الاستراح فسره بعدما حكاه عن ابي سليمان الداراني فقال ان
الذي قاله ابو سليمان يحمل معنيين احدهما انه اذا ... ذكر الاوراد
الجوارح من المجاهدات والمكايد لنفسه من الاعمال اذا اشتغل حفظ قلبه



ان ... ه من الخواطر المشغله والعوارض المذمومه التي تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل انها
... يان ... من الخواطر المشغله والعوارض المذمومه وتصير دلاله ومشتغل بها قلبه
اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدات والاعمال والعباده وتصير ... الي
... يجد حلاوتها وبسقط عنه التعب ووجود الالام التي كان يجدها قبل ذلك تنفي الالام
... مرو بحناه صحاح والله اعلم وبه التوفيق ... ... الامداد به من الله
تعالي علي عبده بحسب القوة الاستعداديه المجعوله فيه وشروق الانوار اليقينيه
علي حسب صفاء سره ... التعلق بالاثار والركون الي الاغيار الغافل اذا اصبح
... ماذا يفعل والعاقل اذا اصبح ينظر ماذا يفعل الله به اول خاطر يرد علي العبد هو ميزان
... ماذا يفعل ... الي نفسه فيقول ماذا افعل
... فالعاقل اذا اصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الي ... ولاه وذلك لوجود
... فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الي مولاه وذلك لوجود
غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله تعالي الي نفسه فيتشتت عليه قلبه
وينتقض عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الي الله تعالي
... اراد له فعل الله به فهو ناظر الي الله تعالي والي ما يرد عليه منه وذلك لوجود
عقله ودوام يقظته فلاجرم يكفيه الله تعالي تعلقات الامداد ويفرغه من جميع
الاشتغال ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه من اعمال او يورده عليه من احوال
... تعالي لمن هو وليه من ... علي عارة جسيمة
وهذه سعادة عظيمه ومنة من الله الكريم وما في معني الامور تبع الاقدار وقال ابو
قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القدر وقال ابو
عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنه ما اقامني الله تعالي في حال فكرهته
ولا نقلني الي غيره فسخطته ومن احسن ما رايت في هذا المعني الذي ذكره المولف
مما يجب ان يحذر علي مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن
الصقلي في كتاب صفة الاوليا ومراتب احوال الاصفيا بسنده الي ابي يوسف
ابن يعقوب الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت رجلا في مسجد الحجاج
ليس معه شي فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله
ابن تريد قال لا ادري قلت رايت احدا يريد مكانا لا يدري اين يذهب
فقال انا واحد فقلت ابن تنوي قال الي مكه قلت تنوي مكة ولا
تدري ... قال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب الي مكه فيرد بي
الي طرسوس وكم مرة اردت طرسوس فيردني الي عبادان فقيقني الي مكه ولا
ادري قلت فمن ابن المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك

قال من حيث يوبخني مرة ويشتمني مرة ويكرمني مرة ويهينني مرة ومرة يقول
لي ما على الرجل ازهدي منك ومرة يقول لي انت لص ومرة يطردني الطرد العنيف ولا
يؤويني [illegible] النواحي فلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال
فالقاني في بعض قلت نعم قلت يرحمك الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري نادي
ماجن الي الليل فربما يؤويني الليل الي قرية فاذا صلينا العشا الاخيرة يدخل
المسجد رجل فيقول يا ايها القوم اليك فيقول لي بالعنف قم من ها هنا ليس لك ها هنا
موضع قانقول [illegible] فاين ابيت الليلة فيقول خارج النواويس فانام اخرج الى مكان
يكون فيه ما في الاعداء النواويس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فيؤويني الليل
الي قرية فاذا رآني اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد علينا الليلة رجل فاهل
فاقبل يقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت فاذا صلينا العشا
الاخيرة فيقول الرجل منهم قم بنا الي البيت فاقول وكرامة فامضي معه الي المنزل
فياتيني بالطعام الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ويأتيني الفراش اللين
فيبيتني عليه ولا يدع شيئا من البر الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي مع سيدي
فقلت رحمك الله متى قدر لك ان تدخل بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا
قال فانا قد علمت اذا انسان يدق الباب فخرجت فاذا بصاحبي فسلمت عليه
ولدخلته البيت فقلت اي شيء منع بك مولاك قال اخرجه نعلي ضربني ضربا
شديدا وقال لي يا لص ثم اراني ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلنا بئس النعمة
قال كان احاعني جوعا شديدا انما يلغت الانبار جئت الى بيات قد نبل المدد
والمود فقعدت اكل منه فنظر الي صاحب الغنا فاقبل الي بعصاه فجعل يضرب ظهري
ويقول لي يا لص يا اخرب مفتاني غير كم لكم اقصدك حتى وقفت عليك قال فاذا
بفارس قد اقبل مسرعا اليه فقلب السوط في راسه وقال تعمد الي رجل لاهل
نضرب به وبنا المثل هذا بالصبر فقلنا كان بيني ان كنت عنده لما اذ صرف
ابقى من الكرامه شيئا واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقيل
يكون من معنا نظرة الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من اشارة
من قبله فيكون اقدامه واحجامه بوجود تصحيح وحسن توفيق وهذا

ميراث شريف اقتضاه دوام التجارب وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين
احرص ان تصبح وتمسي مفوضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك قال بعضهم
من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد
الى الله فانظروا اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اوله فهلا الى حولك وقوتك
فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم
في قبضته وتحقيق اهل الوصلة بالله في كشف اوليائه لا يكلهم الى غيره واعتبر
هذا الحق بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون
فيها عن مكه ومنعوه ان يتم بهن الطهر في نسكه رجع الى الحال عن تلك
العمرة ولم يتعوض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة او نصرة بعد ما كان دعا اليه
من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حادة من الكفرة
وعمل في ذلك على ما اظهره الله عليه له من اياته العظام عند نزول ناقته لما اراد
توجهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده وسفر ابما اعتمده
انما حبسها حابس الفيل لا تدعوني اليوم قريش الى خطة فيها صلة الرحم
الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ما ختم على
وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا في الارض امنين فلما اتت
بينهم الصلح وانزل الله سورة الفتح ظهرت الفوايد التي تضمنها ذلك التدبير
الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله عنهم بما ابرزه لهم من الطاف ومنن
وقد جمع جميع ما ذكرناه الخبر نقله الينا علما الحديث والسير ليكون من دعا
صاحب هذا المقام ومنا جاته بتوفيق عقده وقوله في جميع تصرفاته اللهم
ان نفسي لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع
ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحبه وترضاه من
القول والعمل في عافيتك انك ذو الفضل العظيم وليقل ايضا ما رايته لسيدي ابي
الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني وما اعلم
امرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجمل الامور عندك
واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير انما السوحش
العباد والزهاد من كل شيء [illegible]

لنفوسهم وسرعات حظوظهم يفرون من الاسباب ويستوحشون منها
لانها موجودة في نظرهم والزهاد في الزهود يشاهدون له الوجود كما قال
سيدي ابو الحسن رضي الله عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون
منها ان يعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم بميلهم اليها واشتغالهم
بها ولو كانوا اهل العلم بالله والمحبة له لم يروا ظاهرا في الاشيا كلها ولكان
لهم في ذلك من قرة اعينهم ما يشغلهم عن رويتهم لنفوسهم فلا يكون
لهم من الاشيا وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية مثلا تشبيه
بهذا الاعتبار الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب كما روي في
الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل
الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يتقحم فيه كل يوم خمس مرات فما
ترون ذلك يبقي من درنه والاستفتاح لباب الغيوب لان القلوب اذا طهرت
وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرات ما غاب عنها من الاسرار الصلاة
محل المناجات لان يكون فيها الثنا والدعا والمناجات مخاطبة الاسرار عند
خفا الاكدار للملك الجبار ويعدن المصافات وهي زوال الاكدار الملكوتية
بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصير كالحبيب شهوده
ونحو ذلك وجوده تتسع فيها ميادين الاسرار حتى تتكاثر عليك
في الظهور وتشرق فيها شوارق الانوار فيكون قلبك نورا على نور
وهذه العبارات السبعة معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال
التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى لها كالدليل على ما قاله من ان المقصود
انما هو … الصلاة لا وجود الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة
الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية
ولذلك كانت الصلاة ام العبادات واساس الخيرات قال الله تعالى اقم الصلاة
لذكري فاخبر ان الصلاة المراد منها الذكر وقد روي معنا ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة والمرابح والطوافات واشعرت المناسك
لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم كما
سياتي الكلام عليه حيث تعرض المولف رحمه الله … بعض الاخبار ان العبد
اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه

وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلاته ويومنون على
دعايه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه ويناديه
مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما التفت وان ابواب السما تفتح للمصلي وان الله
تعالى يباهي ملايكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم
بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت
نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة والبكا وتلك الفتوح التي يجدها المصلي
في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله
تعالى … الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيا لهم فيها
الوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيا من عطاياه فالافعال
كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هياتها … مضيف
رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا
غبار وقال ابو طالب المكي حدثنا ان المومن اذا قام الى الصلاة تباعدت عنه
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك
واذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبين سرادق لا ينظر اليه وواجهه
الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله
فيقول الملك صدق الله في قلبه كما يقول لسانه فيتشعشع في قلبه نور
يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السماوات والارض
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام
الى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شي في قلبه اكبر من الله عنده فيقول الملك
كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق
بعنان السما فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيزيد ذلك الحجاب
صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس
وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه
الاخبار والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المولف رحمه الله تعالى ودالة عليه
فلذلك اوردناها هنا والله ولي التوفيق بمنه … هذه الدار الاكبر
في مكوناته … عن كمال ذاته رؤية العباد …

عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات
بانوار ابصارهم لما تجلى للمومنين وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الاخرة
يرونه معاينة بانوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذه غاية الظهور والكشف
علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه عدم الصبر عن الله من وجود
الاختصاص بمعرفته وهو حال شريف يقتضي وجود المعية الاختصاصية والمعية
الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة
في هذه الدار لما هي عليه من الزيادة والنقص والغنا والذهاب فمن كرم الله تعالى
عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار والاكوان تسلية
له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا
انعقد في مقعد الصدق وحصلت له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب
والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة
السرمدية وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات
وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة
الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها
في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره
آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل كراهة تعرض للانسان
من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسام
فيترك ذلك العمل ويرفضه اشتغالا وهو يعرض بالطبع بعد ايثاره للشي ومحبته له
والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود
الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسامها النفس وتستثقلها
فاذا لون عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعرا
لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال
والموجب لوجود الشره وصلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة
الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها ولذلك عين لها
اوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات فان كان الملك الشره واقعي
في الصلاة لم يكن الا في بدها ... لوقوع التقصير منه فيها ولم يوصل الا بالاقامة
الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدنا ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع

ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جا على اتم الصلاة انما بلفظ الاقامة او بمعنى
يرجع اليها قال الله سبحانه الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي ام الصلاة واقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة اذا اهل المحل صلاة فقيل
خلق الله من صلاته صوره في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحبها
الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطا اقامة الصلاة حفظ حدودها
مع حفظ السر مع الله عز وجل ولا يختلج بسرك سواه قال الامام ابو القاسم القشيري
عنه وهو القايم باركانها وسننها والغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ
عليه احكام الامر فيما يجري عليه منه وعن ملاحظتها محو نفوسهم منه
مستقبلة القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقايق الوصلة وتمثيل المولف بالصلاة دون
ساير العبادات حسن لان ذلك اكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على
الصلاة وحسبما يقوله اثرها الصلاة طهرة للقلوب علم وجود الضعف فقلل
اعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها هذا من فضل الله تعالى الكريم عوده
عبده فتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما علم من
وجوده ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب الخمسين وذلك فضل منه عليه
اذ كان محتاج اليه فلله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث
الاسرا متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة تقدم ان العمل لاجل حصول الجزا مدخول معلول وحكينا
هنالك من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع
وقد كرر المولف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره
هاهنا تقبيح بحال طالب الجزا على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا الوجه
معترض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزا على عمله طالبه ربه بوجود الصدق
فيه والصدق لو يحققه في العمل وانى له توفيته ذلك مع كونه طالبا لحظ من ربه
فهو لا محالة مريب في كيفية وجدان السلامة من ... قال الواسطي
رضي الله عنه العبادات الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض
بحفظها او قريب من هذا قول ابي النصر اباذي رضي الله عنه العبادات الى طلب الصفح
والعفو عن تقصيرها اقرب منها الى طلب الاعواض والجزا عليها ...

النساج منوا انسا عما لكن ما يليق بما فعلك فاطلب منه ان يفضله ولا من طلب حيوات
الى عمله فانه انعم واحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون ثم تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يا لغي من الجزا عن الجا
ان كان له قابلا المنفرد بخلق اعمال العبا لو اخترعها هو الله عز وجل فكيف يطلب
العبد الجزا على عمل لا يدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزا انك تقدم اذا اراد
ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك فضل الله تعالى عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك
خلقهم لك الطاعة وحلا لك بها ونسبها اليك عرفا لك يا عبدي انت مطيع ومتقرب
وعامل ونسا لك بل على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل
والحيا من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذه الحالة بالدعا والسوال وقال يا رب
كما تفضلت على بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة انا خلي
عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني
عملي وانجز لي ما وعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا نحو العبد ان لا ينسب لنفسه
شيا من محامد الصفات ومحاسن الاعمال اذ لا اهلية فيه [illegible] وانما مدام انفعالات
والاعمال ومساويها ومقتضى الادب ان يضف ذلك الى نفسه [illegible] بعد [illegible] ذلك
من ظلمه وجهله قال سهل بن عبد الله اذا عمل العبد حسنة وقال اي يا رب
بفضلك استعملتني وانت اعنتني وانت سهلت شكر الله له ذلك وقال له يا عبدي
بل انت اطعت وانت تقربت واذا انظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا
تقربت اعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت
واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت وانت قضيت وانت حكمت غضب
المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل انت اسات وانت جهلت
وانت عصيت واذا قال يا رب انا ظلمت وانا اسات وانا جهلت اقبل المولى جلت
قدرته عليه وقال له يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت
لا نهاية لما لا يؤمل ان رجعك اليك ولا تفرح بما لا يمكن ان اظهر جوده عليك من ارجوه
الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد طرده عن بابه وابعده عن جنابه
وكانت احواله مدخولة معلومة واعماله مستقبحة مرذولة ومن اواه اليه واظهر
جوده عليه فقد اصطفاه لنفسه ودفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله حسنة
جميلة واعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قال [illegible] الى حال تعرفه

ذاتي بضرب انا والامن انا كلف باوصاف ربوبيته ستعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا الا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجود كرمه لولاه وجود كلا شي من
جميع ذلك لك ولا منك وانما هو عوارض عندك ولا ترى وجودك الا بوجوده ولا تعالى
الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك
من الاوصاف ولا ينبغي لك ذلك الا باذن يتحقق باوصاف عبوديتك من عدمك
وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شي واحد
لا يتعدد فيهما على التحقيق يشغل ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين فما يحل ان تدعي
وصفه وهو رب العالمين اذ ذكرها كالدليل على ما ذكره انه امر لا يحل للعبد من صفات
مولاه الا التعلق بها فقط دون ادعاء شي منها كسائر المعاني التي يستوي مشاركة
المربوب للرب ومن سفه العبد التي تصفها واعلمنا بشانها على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا احد اغير من الله ومن غيرته انه حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد
ومن افحش الفواحش عند العارفين وجود شي من الشرك في قلب العبد با دعا
شي من اوصاف [illegible] الربوبية لنفسه عقدا او قولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما القيته في
النار ومعنى المنازعة الرعوي قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى
الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات
الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى ما تحمالك
ومحرما عليك ان تدعي ما ليس لك مما اعطى للمخلوقين من الاموال [illegible]
لك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له
في ذلك الا انت ولا غيرك فهو اذا من اعظم الظلم واشد العدوان [illegible] فانا
انه من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله هذه المسألة
هو الغرض الاقصى الذي هو سر [illegible] نظر الصوفية وكلما صنفوه ودونوه
وامروا به ونهوا عنه من افعال واقوال واحوال انما هي وسائل الى هذا
المقصد الشريف والمقام المنيف وشانهم ابدا انما هو الجد في [illegible] نفوسهم
واسقاط حظوظهم بالكلية كما قال الصوفي دمه هدر وملكه مباح [illegible] وليس
ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من [illegible]

تعالي عنهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادان لا يشاركونه في شي منها
البته كما ذكرنا انفا وهذا هو كيميا السعادة الذي اعوز اكثر الناس ولم يحظوا
منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المؤ عبودية الله عز وجل الذي لا مقام للعبد
اشرف منه كما قال الشاعر انكنت لي خلوا مني كفا نشوفا وراكي
فصله ومطلوب ولهذا المعنى كانت عندهم دنايق خطرات الخطوط وخفيات
هواجس الهوى وكلما يقتضي بقا النفس وثبوتها من محبة المقامات واثار
الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمه واخلاقا ذميمة قادحة في صدق العبودية والاخلاص
للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من نشرهم ويخافون من
مسالبته وملاحظته غاية البعد ونهاية الطرد والمكر كما قيل اذا قلت ما اذنبت
قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ذكر انه كان لبعض
الملوك عبد يميزه على اشكاله واقرانه فشكى اهل اقليم عاملهم الى الملك فقال
تخيروا من شيتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما راوا ميل الملك اليه فقال
الملك اجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فامر بكتب
المنشور وامر باستقباله اذا اتى بمحل ولايته والمبالغة في القائه بانواع الكرامات
والمبارودس من يرش عليه ما وردية ثم امر من يقول انا الشوف على الموت
هذا جزا من اختار الولايه على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة
لاولي الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المودي الى سوا السبيل يشير الحكاية المشهورة
المروية عن ابي يزيد رضي الله عنه حدث يحيى بن معاذ رضي الله عنه انه راه
في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على
صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره
شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم
ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الما والمشي في الهوى فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاوليا ثم
التفت فراني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متي انت هاهنا فقلت
منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت الاسفل واراني الارضين

وما تحتها

وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي
رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنه فاسالك
اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن
بك ولافعلن وذكر اشيا فقال يحيى بن معاذ فهالني ذلك وامتلات به
وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك
سلني ما شيت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غيرة عليه مني لا احب
ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية
فبدا حال العبد عن نفسه ماخوذا كان ربه عز وجل له موجودا طالت
مقاماته في المقامات فقصر فقعن وصفه الصفات وحقت له اذ لنظر الى
الحسن الذي حسنت المحاسن به ~~[illegible]~~
~~مطلوب~~ بمعنى ما طلب كلها عن حسنه وتنشا نشا الزينا ذجمعها
بعدا النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل المتجملون بجماله ان لا يستحسن
سواه وكيف يحب غير ما استحسن او تزين في عينه الا اياه اكيف
ينظر غير اياه ام كيف يطلب غير ما احب او يصنع غير ما طلب بل كيف
يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلبه ووصف
شخص مخصوص بمعنى ما احب الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس
انتهى وفي الاشارات عن الله تعالى يا عبدي اعزل نفسك يعزلك عن
الملك والملكوت فيلحق الداريين بالملك ويلحق العلوم بالملكوت فتكون عبدي
من دون اما الذي فلا تستطيع ما الذي لا تك عندي واذا كنت عندي
كنت عبدي واذا كنت عبدي كان عليك نوري ولا يستطيع ما الذي ولن
ارسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري عليه فاذا جاكم يعقلوا وذلك
به فتاذن له وانعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما يسماه
منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من ان يتناولها
كلام المولف رحمه الله تعالى لان مرجع امره اليها اذ دققنا فيه النظر
وتصرفنا فيه بوجوه العبرة وكان باطنه هو المقصود المعتبر كلام الصوفيه
كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا باتباعهم

عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغا اليهم ويشرح صدورنا بانتجان
ما يرد منهم او يتلو عليهم بمنه وفضله كيف تخرق لك العوايد وانت لم تخرق
من نفسك العوايد خرق العوايد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق
تعالى به الا من خرق عوايد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل
الى هذا المقام لا يطمع فيها وان ظهر لها صورته صورة الكرامة ينبغي له
ان يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر ولا يحزن لكونه لا يطلبه فان طلبه
او احبه فهو دليل على بقايه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق
العوايد لمن هذه صفته على سبيل الكرامه وهل هذا الا محال لا يستقيم
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الاسرار من الغيوب التي
تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا
وهو عن نفسه مسلوب فمن بقي عليه من نفسه بقيه ونظر الى حركته
وسكونه بعينه نظرة خفيه فيستروها عليه رحمة له لانه لو كشف بها
هلك في حيرة الهوى وغرق في بحار الدنيا ونفس حبه رعين طلبه ايا ما هو
حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيه لظهور
الخلق عن معصيته وخايفا منها تخوفه على نفسه في تظاهرها عليه
بملكته فهنالك حين يبالي بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله
القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الايات وخوارق العادات
من كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمه
واذا من خرق عوايد نفسه لا يريد ظهور شي من الايات وخوارق
العادات له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا افني عن ارادته
جملة وكان له تحقيق في رويته نفسه بعين الحقارة والذله حصلت له
اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقيه
المنبع النافح وضرب مع اهل الارادة بالقدح القالح قال الشيخ ابو العباس
ابن العريف البهيه بوعنا سهوبيا فقلت للشيخ ابو القاسم ابن رويل حرثني
بحكايه عسى الله ان يفتح بابي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل
يعرف بابي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست
فلم يكلمني ولم التفت اليه حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاوديه يتعرفون
واجتمعوا اليه وتقدم فصلي بهم ثم افترقوا وبقيت انا منهم وجلس

الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاه اقبل النفر وصلوا ثم انصرفوا
حتى حان وقت الصلاة لا احصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا في سير
الصالحين ومقامات الاوليا الى قرب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا الى الغروب
ثم تفرقوا فجلست عنده ثلاثة ايام وهو على ذلك ثم وقع في نفسي ان اساله عن
مسله استفيدها فتفكرت متى اساله فقلت له ايها الشيخ مسلة اسل عنها فقال
فقل ننتظر الجماعه الى ان يحضر حتى يحضر فقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد
انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون اغضبته فقمت عنه
فلما كان في اليوم الثاني فقلت لا بد ان اساله عن المسله وعزمت على ذلك
فتقدمت اليه وقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني
كالاول ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثه وسالته عن المسله بعينها
فاجتمع وقال لا تقل هكذا الا لمن تريد ان تسل عنه ولقدم بقدمه المريد
في الارادة فقلت نعم فقال اذا اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى
له الارض ويكون عنده التقدم والحدوان يمشي على الماء وان ياكل من الكون
متى اراد وان لا ترد له دعوه فعند ذلك يصح او لقدم في الارادة
واما متى ما علم المريد عندنا انه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ ابو
العباس ابن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له ايسستنا من الارادة يا ابا القاسم وتعجبت من علو
همة هذا الشيخ الشاهد واعلم ان اول ما تعرف له من عادة تسميته باسم
مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن ما قال الشاعر
تكون مريدا ثم فيك ارادة
اذا لم ترد شيا فانت مريد
والتحقيق في هذا ان من قد تحضر ارادته لعبودية الله عز وجل في اقامة حقوقه
لاجلها وجب عليه من ذلك لا يتوصل به نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم
بذلك الا لانه متصف بالارادة الحقيقيه المتعلقه باشرف المطالب ونهاية المارب
والمارب وذلك من وجوه نصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لانه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازيه المتعلقة بحظوظه لكن
لما كان سلبها عن الها بقتضي وجود الاخرى لا اقتضا الواجب صح لذلك
الشاعر ان يطلق اسم الارادة عليها

رشاشته وبلاخه وجمه وبهذا تشف لك صحة كلام ابي يزيد واستقامته
حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد وانه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم
فقال في التوبه واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد رضي الله عنه لما اراد ان لا يريد
فقد اراد فهو نوع من الا معرفة عنده وذلك ان ابا يزيد انما اراد ان لا يريد لان
الله تعالى اختاره له وللعباد اجمع عدم الارادة معه فهو في ارادته ان لا يريد موافق
لارادة الله ولذلك قال الشيخ ليس فيك مختار الشرع ومرتبته هو مختار لله
ليس لك منه شي واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض
تنشر لعلم الحقيقة المأخوذ عن الله قال قال الشيخ رضي الله عنه الكلام ان كل مختار
للشرع لا ينافي فضل اختياره مقام العبوديه المبني على ترك الاختيار بلا تحقيق
عقل فاصبر عن درك الحقيقة بذلك فيخص ان الاول ابي يزيد ولا يزال النفس
ارادته انما تخرج ان احد عن صرح العبوديه لانه قد اختار فيها الشيخ رحمه
الله ان المختار للشرع وترتيباته ليس منه شي فانما انت مخاطب ان
تخرج من تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله ورسوله لك
فافهم فقد علمنا اذا ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد الا لان الله تعالى اراد
منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبوديه المقتضى منه انتهى وقد طال
بنا الكلام في هذا المعنى حتى لا يبعد المناسبه بينه وبين المسئلة المنبه
عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما ان
مقصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد في هذا منها ومظانها لنفع
مسائل بهذا الفن لتعرب اسماع من ارادته توقفه على اوضح المسالك
وبالله تعالى التوفيق ما الشان وجود الطلب انما الشان ان ترزق
حسن الادب انما التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه لم يطلب
ذلك من غيره فلا يطلب انه وانما يجب عليه من حق الربوبيه
فليس ذلك بالشان المعتبر عند المحققين وانما الشان ان يتادب
العبد بين يدي مولاه اذا احس ان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له
ولا يطلب له كما سيقوله المولف بعد هذا او يطلب منه عبوديه منه
له لا لقصد نيل حظه فيهدي الوجه عن حسن ادبه ويصح سواله
وطلبه وذلك هو ادا على التحقيق ما طلب لك مثل الاضطرار ولا اسرع
بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار الاضطرار العبد هو اخص اوصاف عبوديته

ولذلك لم يطلب من العبد شي اجل منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل العبوديه
الرجوع في كل شي الى الله تعالى على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصيه اجابة الدعا
قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه
ان لا يتولى العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه
شيئا من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة
الغريق في البحر او الضال في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا رجا
لنجاته من هلكته احدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله
حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شي والذلة
والافتقار لا زمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق
تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فلو ذلوا وجب لهم عزته ونصرته كما قيل
ولذا الذلة لنا الوهاب تعرضا منها اليك نعزها في ذلها
وقيل حين اسلمتني الى الذل والالم تلقيتني بعين ورائي قال في لطائف المنن
والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع الى الله في اول كل فعل وترك
بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك بدا وقد قال سبحانه وتعالى ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه انما الصدقات للفقرا والمساكين فلا يدخل
جنته بحالك وعملك وما اعطيت من نور وفتح تنقول كما قال من خذله
فاخبر الله عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا ولكن ادخلها كما يليق وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شا الله لا قوة الا بالله وافهم هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنه وفي رواية اخرى كنز من كنوز العرش
فالرحمة ظاهرا لكنز والمكنوز فيها صدق التبري من الحول والقوة
والرجوع الى حول الله وقوته لو انك لا تصل اليه الا بعد فنا مساويك ومحو
دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه غطا وصفك بوصفه
ونعتك بنعته فوصلت اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله
تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب بشي من ذلك

العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا لارادته وعمله في تحصيل هذا
العوض بنفسه وهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الي محوهما قال سيدي ابو
العباس رضي الله عنه لن يصل الولي الي الله حتي ينقطع عنه شهوة الوصول الي الله
يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه ولن يصل
الولي الي الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته
فلو خلق الله عبده وذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله ان يوصل عبده اليه تولى ذلك
له بان يظهره من صفاته العلية ونعوته القدسية ما تغيب لذلك صفات عبده
ويفنونه عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث
الصحيح قال اذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره
مولاه واراده فيكون حينئذ دائما من الله اليه من التفضل والكرم لا بما من
العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء وقال
رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد يستدل بنظره الي نفسه
وترجحه بعلمه من حيث نسبته اليه وشهوده حوله وقوته عليه وهذا لا
يحصل عنه الا بما شاربه وقد يكشف حجابه فيري به ويبطل حمد الناس
له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول
الاعمال كما تقدم وقال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب
وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد اذا كان
بهذه المثابة لم تكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى عليهم
حلمه وستره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو
عبد الله القرشي رضي الله عنه واذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت
اعمالهم ادفعوهم وافتقروا تبرءوا من كل شي ومن كل شي لهم وسلموا انت الي حلمه
اذا المعصية احوج منك الي حلمه اذا اعصيته تشوف العبد لنفعه قدره انما
يكون بنظره الي ربه عز وجل وافتقاره له عليه وسكونه اليه واعتماده وذلته وخشيته
وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الي نفسه واقباله على غيره واستناده
الي سواه فالعبد بعمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه
واستعظام عمله وتحيه بطاعته وسكونه الي معاملته وليته يسلم فيه من دنايف
الريا والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشيا فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه
وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد اذا عمل الطاعة

اذا الطاعه احوج منه الي حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الي نبي من الانبيا قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني
ان اقم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطيين لا ييأسوا
من رحمتي فاني لا يكبر علي ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه
توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة الستر على قسمين ستر عن
المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوطهم
من مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر
الملك الحق العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة
حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله
عليهم فيها اي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم ولا
اشكالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ
يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في هذه الاية اشتغاله
على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله
قلوبهم بوسم الفرقة روي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤمر يوم القيامة
بناس من الناس الي الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها
وما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون
بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناه
ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذاك الذي اردت
بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون
الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني
وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب وفي
بعض الكتب لمنزلة ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني
اراكم فلم تجعلوني اهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس في قوله تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراة فيريهم انه يغض بصره عنها
في رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراة فيريهم انه يغض بصره عنها
فاذا رأى منهم غفلة لحظ اليها فاذا خاف ان يفطنوا اغض بصره وقد
اطلع الله عز وجل من قلبه كذا انه يود لو انه نظر الي عورتها وهذا كله شأن
المرائين الذين يستخفون بنظر الحيا ربهم دون الناس ان يطلعوا على انوار اليقين

فيا يكونونها من الاوزار والخاصه من اهل الايمان واليقين سر اسى لهذا
الوصف الذيهم لا التفات لهم الي الخلق مدحا ولا ذما و همتهم مقصورة عن
النظر اليهم ولا اعتماد عليهم في نفع او دفع وحالهم القناعه بعلم الله تعالى ومراقبة
نظره فيهم يطلبون الستر من الله تعالى عندها اي ان يغيبها عن نظره ولا
يحظوها يفعلون نتعبل اليها النفسهم فيعلمون بها فيقعوا في المخالفة لربها والتعرض
لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالتين والى هذا اشار سيدي
ابو الحسن في دعايه بقوله اللهم انا نسالك التوبه ودوامها ونعوذ بك من
المعصيه واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على
النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها
واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها حتى الكريم تاتما الكريم
فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اوسعك وشكرك العبد محل الافات
والعيوب وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس الي الناس فاذا اثنى عليك احد فلا يذهب
بك ان ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك
ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بك الى ان تحمدهم عليه
دون ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك
فتكون بذلك كافرا لنعمه من ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه ما صحبك
الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من
يطلبك لك لا لشيء يعود منك اليه الصاحب على الحقيقه هو من بذل احسانه
لك واسبغ نعمه عليك لم يمنعه من ذلك ما يعلم من عيوبك التي تكرهها
منك وليس ذلك الا مولاك كما ان خير صاحب لك ايضا من اعتنا بك واتوك
ولوداد من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه
صاحبا ودع الناس جانبا لو اشرق نور اليقين لرايت الاخرة اقرب
من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا عليها
نور اليقين تتراءى به الحقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل
والاخرة حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الاخرة
التي هي ~~ت~~ غايبة عنه حاضرة لديه حتى ~~كانها~~ ~~لم~~ ~~تزل~~ تلك لا تشرح رها
انتها ليترحل فكانت اقرب اليه من ان يرحل اليها فيحق بذلك حقها عنده وابصر
ايضا الحاضرة لديه قد انكشف نورها واسرع اليها الفنا والذهاب ففانتعن
نظره

نظره بعد ان كانت حاضره فظهر له بطلانها حتى كانها لم تكن فيوجب له هذا
النظر ابتغي الزهاده في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الاخره والتهبوا
لحضورها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل
يارسول الله هل لذلك من علامه يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته
وتذهب دواعي نفسه فلا تامره ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون له همه الا المسارعه
في الخيرات والمبادره لاغتنام الساعات والاوقات خوفا لذلك من شعاره حلول الاجل وفوات
صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثه ومعاذ روى انس بن مالك رضي الله عنه
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثه فقال اصبحت مومنا بالله حقا قال انظر ما تقول
فان لكل قول حقيقه فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت
ليلي واظمات نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنه يتزاورون
فيها وكاني انظر الى اهل النار يتعاوون فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله
الايمان في قلبه فقال يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد
فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني
عن ابني فان يك في الجنه فلن ابكي ولن اجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت
في الدنيا فقال يا ام حارثه انها ليست بجنه ولكنها جنة في جنان وحارثه في
الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثه وروى انس ايضا ان معاذ
بن جبل رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال كيف اصبحت
يا معاذ قال اصبحت بالله مومنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا
ولكل حق حقيقه فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط
الا ظننت ان لا امسي وما امسيت مسا قط الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت
خطوة قط الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى
كتابها معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الى عقوبة
اهل النار وثواب اهل الجنه قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان
الفاضلان حارثه ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله عنهما لما اشرق عليهم انوار اليقين

ويمكن لمن تلوبها اي تمكين صدر منها ما صدر مما ذكرناه من فنون التعبد
ونشاهدها بالدارين بمنزلة رأي العين مسلمة اعمالها من العيوب والآفات
وحفظا من الصافات والنسيا فظهرت منها الاسرار والقلوب وساعا في كل امر
محبوب وطارت ارواحها الى البقا لواحد الفرد وطابت نفسها
بالموت حتى صارت عندها احلا من الشهد حبيب جاء على فاقه لا افلح من
تدم وكذلك غيرهما من الصحابه وكبار التابعين وايمة الدين رضي الله عنهم اجمعين

ولقد امار معبر عن حالهم ... فاسمع مقالا مادقا مقبولا
ان الاولى ماتوا على دين الهوى ... وجدوا المنية منهلا معسولا

روي انس ابن مالك رضي الله عنه ان حرام ابن ملحان وهو خال انس طعن يوم بير
معونة في راسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب
الكعبة وكان جبار بن سلمى ممن حضر بير معونة مع عامر بن الطفيل ثم
اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم فسمعته
يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز اليس قد قتلته حتى سالت
عن قوله فقالوا الشهادة بعد ذلك فقلت فاز لعمر الله والمطعون هاهنا
والله اعلم هو عامر بن فهيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان الامرا
الثلاثة يوم موته اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها
ابن رواحة فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه الى ان
قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا انهم عندنا او قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه
تذرفان فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفه ومنزلة عالية منيفه وتبا
لامثالنا الذين عميت بصايرهم واظلمت سرايرهم فحجب عنا شموس المعارف
ووقعنا في اودية المهالك والمتالف ولغرتنا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة
فتشبثت قلوبنا بشباكها وانكبنا في مصايدها واشراكها من غير شعور
منا بحالها وتزويرها فصارت قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن
لاح له سراب حسبه ما حتى اذا جاه لم يجد فيه ريا ولا غنا ثم مع هذا كله تثبطنا
الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والاخوة في جوار اوليا الله المتقين مع ان اخترنا
لو خيرنا بين حلول الحين او البقا في الدنيا بعلقها باشغارا لتعين لاخترنا البقا فيها
على بعده من الله مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال
وهذه كلها اخلاق يهودية لا تليق بمنتسب الى الملة المحمدية قال الله تعالى مخبرا

عن حال اليهود

عن حال اليهود وكشفا لاسرارهم وهتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص الناس على
حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من
العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون فكل من يتبع الغافل عن محبة البقا في هذا
الدار ويلامره بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين العهود المتظاهرين
بالامر المعبود فكان ذلك ابلغ ناه وامر فضلا عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر
نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور
وحبب الينا لقاه ورزقنا ما رزق اصفياه واحباه بمنه وكرمه امين بجاه محمد عليه السلام
وجود موجود معه اذ لا شي معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه وقد
تقدم ان لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو
وهم محض فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المولف رحمه الله تعالى
ذكر جميع انواع اعتبارات هذا الحكم قبل هذا في قوله لطايف المنن وانت
شي بوجود الكاينات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظلا
لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معلوم باعتبار جميع مراتب العدم واذ
ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احدية المؤثر لان الشي انما ينفع بمثله ويضم الى شكله
كذلك ايضا من شهد ظلية الاثار لم تعوقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار في الانهار
لا تعوق السفن عن التسيار وهاهنا ينبين لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا
بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك
منه ولا شي اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فيما تجد
وجود بوجود معه وذلك كرجل بات في مكان واراد البراز فسمع صوت الرياح
هناك فظنه زئير اسد فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح
انقطعت في تلك الكوة فما حجبه وجود الاسد وانما حجبه توهم الاسد لولا ظهوره في
المكونات لما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته
ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذي وجب ظهورها ووقوع
الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولولا ثبت
لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته
لكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في حديث حجابه النار وفي رواية
النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره
اظهر كل شي بانه الباطن وطوى وجود كل شي لانه الظاهر من رب ...

الظاهر والباطن فباسمه الظاهر يقتضي بطون كل شي حتى لا ظاهر معه فينطوي
حينئذ وجود كل شي وباسمه الباطن يقتضي ظهور كل شي حتى لا باطن معه فيظهر
اذ ذاك وجود كل شي فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله
ان تنظر في المكونات قل انظروا ماذا في السموات والارض وكم يقل انظروا السموات
ليلا يدلك على وجود الاجرام امر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها لان ذلك
انجمعت الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم
فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بقوله تعالى قل
انظروا ماذا في السموات والارض
وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام والمعنى المقصود في وجود الظرفية ومنها يستفاد
لكان منه دلالة على وجود الاجرام فلو اسقطها وقال انظروا السموات
على ذلك وهو لم يأذن فيه فالغرض لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات
لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها
تراها من حيث ظهوره فيها ولا يراها من حيث كونيتها قال الرسول في هذا المعنى
بينت لك العوالم الا تراها بعين من لا يراها بارز عنها رق من ليس يرضى
حالة دون السوى مولاها الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته الاكوان
من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها
وجعلها اكوانا بالثبوت لها امر عرضي والحق اللازم هو وجود احدية الله تعالى
والاحدية مبالغة في الوحدية ولا يتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان تكون
اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو
وجدت لم تكن احدية ولكان في ذلك تعدد او تثنية كما قيل رب وعبد لو تنوع فكذا
قلت له ليس عندي مثال لما عندكم قلنا وجود نقد وفقد وجدي
توحيد حق بترك حق ولبس حق سوى تحذي والشــــــاوا
سوى سوى من جانب القدس اني لكن بذا كل النفي عني فدا حياني
وركني فيقا حتى اعبر عن حال حضرته لكل هماني
وطرفي ملوك من محابيه الا غير وجود ماله ثاني
وانتفعا المولف نفسه في لطائف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن
ثنا يا حسن وان تدع الوجود باسره حسن ولا يشغلك عنه شاغل
ولا فيه ... يقلن انه لاترك الا للذي هو حاصل
... سواه فاعلم انه من وهم الادنى وتلك داهل

حسب الاله شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القايل
ولقد اشرت الى الصحيح من الهدى دلت عليه ان فهمت دلايل
وحديث كان وليس شي غيره يقضي به الا ان اللبيب القايل
لا عن والانسة متشوقة لعيذ قوم ذو ترك وتحد فاعل
الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها
ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحقق من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان
ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله
والا فسدت عليه واختلت لدخول الآفات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء
الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم
قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغي ايضا ان يقوم
هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم
من فرح بمدح فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه وقال اخر اذا قيل لك
نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله
بيس الرجل وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله
وقال الاخر لا احسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك يتقرب الي بمقتك
فاشهدك على مقته وقال الاخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وقال الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق
فكان اشتغالهم قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله
تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل
النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان
يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم
ان الارزاق والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابي حامد
رضي الله عنه الحقيقي المومن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف
لا يشهده من نفسه المومن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه
صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه
عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيى من الله تعالى استحياء تعظيم

واجلا ان يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا
لها ونفورا عنها وتقوى عنده روية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله
في الهامها الا المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون
الى ثناء العبيد واجهل الناس من ترك يقين ما عنده بظن ما عند الناس للاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت
المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال اعلم بنفسه وقد
مثله الحارث المحاسبي الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة
التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به
قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر
من العذرة التي تخرج من جوفك ولا فرق بين الحالتين الا انه في حال المدح يعلم
ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ للمستهزأ به
في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته رضي بان يكون له في
قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاته بسقوطه من عين
مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها
ولم يقابل ذلك بالاباية والكراهة هذا اذا كان المادح من اهل العلم والدين واما ان كان جاهلا
او فاسقا فما يجلبه اعظم من الافات بمدحهم والفرح به قال بعض الحكماء ان العامة
يثنون عليك بما ظهر او حسنه من ذلك فقال بعضهم راوا شيئا فحمدوا ولا خير في شيء
يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى
فقال له تلميذه اتبكي وقد مدحك فقال انه ما مدحني حتى وافق بعض خلقي
خلقه فلذلك بكيت فانظر فقد نبهك هذا الحليم على العلة في ذلك اذا اطلق الناس
عليك ولست باهل ما اثنوا عليه بما هو اهله المؤمن هو الذي لا يرى نفسه
اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم فاذا اطلق
الله تعالى السنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي ان يعرف الحق
لاهله فيشتغل نفسه بالثناء على الله بما هو اهله فيكون ذلك شكر النعمة اطلاق
الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق فلذلك لا يثبت اهل الزهد اذا مدحوا انقبضوا
لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك
الحق وهم ابدا الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشهدون الا الخلق فاذا مدحوا
او اثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون من فوت نصيبهم
من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشهدون

سمعه غيره

سمعه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك لان ذلك مزيدا في حالهم
ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال ومالي
وذلك ولست اغلط في نفسي بل لست في البين والمحرك والمنشي هو الله عز وجل وقيل
هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه قال ابو طالب المكي وفيه
طريق العارفين بان يعلو الايمان العالي في المولى الاعلى فيفرح بذكر مولاه ويضيفه
الى سيده الذي تولاه فيرى الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك
مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى صفة ولا يعجب بنفسه انتهى قلت
وللمؤلف رحمه الله قصايد في مدح شيخه ابي العباس المرسي وكان ينشدها بين يديه
ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيده بعضها ويقول له في بعضها ايدك الله
بروح القدس نحو ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان ابن ثابت
مع ان حب المدح عندهم من الرذايل التي تشبه الفضايل ولهذا لنظرهم والشهود الجمعي
استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنايهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم
وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي ابي الحسن الشاذلي وسيدي
ابي العباس المرسي رضي الله عنهم غير شيء مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق بالنعم
وما ذلك الا لما ذكرنا ولاهمنا ولما وقع لهم من ذلك انما له على الظاهر مدح يوصف العبد
لنفسه وثنائه عليها بغاية الخطر وانهم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام والله تعالى اعلم
وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة الا كراهة ان يغيب
الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصرفون في قبضة القدرة فيسمح لهم
ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يبعد شيء من الاذى اليهم كما قيل

رب لم لي باحجار الاذى ... لم اجد ابدا من العطف عليه
فعسى ان يطلع الله على ... فرح القوم فيدنيني اليه

متى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك
على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك القبض عند المنع والبسط عند العطا
من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد
ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وانه طفيلي من اهل الله تعالى في دعاويهم مقاماتهم
وتعلقهم باهلها والطفيلي هو الذي ياتي الى الولائم والاعياد فيدخل مع اهلها من غير
دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له
طفيل الاعراس وطفيل العرايس وكان ياتي الولائم من غير ان يدعى فنسب هذا صاحب الحكمة
قال الشيخ عبد الرحمن السلمي انس الخلق مع الله في احوالهم وارادتهم على الظن بما يحقق

قوله

ومن الاملين الاثرة تعالى بتفوقه وما يتبع اكثرهم الا ظنا فمن تحقق بحاله مع الله تعالى
غلب عن كل ما منه وله من الاحوال الا فيما نظروا اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه
وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن اكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة
ولينظرون حال المحبه ماذا ورد عليهم وارد كذا او خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها
والاهتمام بها ونسوا ما اتحوا اليه وما اشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق نسوا في جنب
ما اشاروا اليه جميع الموارد نسيانا اصلا لان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارضة خلاف
ولا دهله حاله على سواه اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يوئسك من حصول الاستقامة مع
ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك الاستقامة على العبودية لا ينافيها فعل الذنب على
سبيل الزلة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما ينافيها الاصرار عليه فاذا وقع من
العبد ذنب ينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا يياس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة
مع ربه ويرى انه طرده وابعده ورئية لو حصل له القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله
لانه قد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك لبعضهم اذا اردت ان يفتح لك باب
الرجا فاشهد ما منه اليك وان اردت ان يفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه الرجا والحزن
حالان عن شاهدين فمن اراد ان يفتح له باب الرجا فليشهد ما سبق الله له من الفضل والكرم
والانعام والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجا ومن اراد ان يفتح له باب الحزن
فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه
اوانا قال حال الحزن ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يؤثره العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ
النفس وهو وجه تقديمهم على الوفا باداية دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من ابواب المعارف
ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان يعرف نعمة ربه تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفه
في نهار البسط كما تعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار وليتكل على ذلك
عبدك وليحسن ظنه به فانه لا يدري ايهما اقرب اليه نفعا كما اشار اليه بالاية الكريمة
اعلاه لان تشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي ابي العباس
الله تعالى مطالع الانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
قلوب العارفين واسرارهم وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف
الانوار المحسوسة قال في لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه اذا اتوى الولي قلبه من الاغيار
حرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه قد حرس السما بالكواكب
والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن اولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فما نظرك
اليه هذا الامر الاكبر الذي اعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة اهلا وهذا قال الشيخ ابو العباس
قال

لو كشف

لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السما والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال
ولقد سمعت شيخنا ابا العباس يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من اوصافه
ونعوته من نعوته قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما
ابهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى لم
استطع انظر اليه قال لو كشف نور الحق تعالى عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى نور الشمس
والقمر من مشرقات انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس يظهر عليها الكسوف
والغروب وانوار قلوب الاولياء لا كسوف لها ولا غروب ولذلك انشد بعضهم ان شمس النهار تغرب بالليل
وشمس القلوب ليس تغيب نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب
نور اليقين المستودع في القلوب يستمر ويتزايد باضادة من النور الوارد من خزائن الغيوب
وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ ابي العباس المرسي قبل هذا وقد تقدم ذكر المؤلف
رحمه الله اثار الظواهر بانوار الاثارة واثار السرائر بانوار الاوصاف نور يكشف لك به عن اثاره ونور
يكشف لك به عن اوصافه النور المعبر عنه بالحواس يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثة
وليس لك الى ذلك كبير حاجة الا من حيث تستدل بها على المؤثر والنور المستودع في القلوب
يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفي هذا غاية تعشقك به فقدركون تلك
الى ذلك يتحقق في المعرفة ويرتفع في المشاهدة ولا يحتاج الى دليل يدل على هذا فرقان ما بين النورين
قال في لطائف المنن نور الشمس تشهد به الاثار ونور اليقين يشهد به المؤثر فانظر الى هذا المعنى
هذه الشمس قابلتنا بنور ولشمس اليقين ابهر نورا فراينا هذه الشمس وتكن
بها لنا بك قد راينا السما اوقاتها انتم القلوب مع الانوار كما تحجب النفوس بكثائف
الاغيار القلوب نورانية فتنجلي بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف
والنفوس ظلمانية فتنجلي بمجتذبها لكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات
فالقلوب محجوبة بالانوار كما النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال
ابو الحسن الششتري في قصيدته النونية تقيدت بالاوهام لما تداخلت
عليك نور الحق اوريت الشجا وهمت بانوار فهمنا اصولها
ومنبعها من اين كان فما هنا وقد تحجب الانوار العبد مثل ما
تبعد من الانفس جور في ضغا ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها
ان تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار انوار السرائر ان اخفيت
عن العيان بما سترها من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان تكون
الا لها لانها قبضة القدر جلية فظهرها على الابتذال لها بوجود الاظهار لها وصوانها
من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار وقد ذكرنا نوعا من الاهانة لها

ونقل تقدم مثل هذا المعنى في قوله سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله
اليه فلا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى
لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان يكون بطلب وسبب كان اولياؤه المخصوصون
بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة واصطفاهم
لنفسه واختصهم بمحبته وانسه وطهر اسرارهم من الخواطر والاغيار وصان قلوبهم بما
اودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا بذلك ضنائنه في عباده وخباياه في بلاده كما قال في
بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته
عليهم لان الحق تعالى غير على اوليائه من ان يظهرهم الا من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا
عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس
التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في اعين الخواص والعوام فلا يكون لاحد دليل عليهم
او وصول بسببه اليهم قال في لطائف المنن فاولياء الله اهل كهف لا يبوا فقليل من يعرفهم
حالهم وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس يقول معرفة الولي اصعب من معرفة
الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب
كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته
واشهدك وجود خصوصيته وقال ايضا احتجبنا بانوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم على
العامه واظهرهم للخاصه ولا يعرفهم الا من شاكلهم او محب لهم ولله عباد ضن بهم على الخاصة والعامة
وعباد اظهرهم للخاصه والعامه ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد
يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهرهم حقيقة ما بينه وبينهم الا
الحفظه فمن سواه حتى يلقونه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والفتح
الايمن من العرش الذي تتولى الله قبض ارواحهم بيده فتطوى اجسادهم فلا يعثر
عليها الذر حتى تبعثوا بها مستورة بنور البقا المحمود فتبهم بنفا الابدع ابتغا في الاحد
عز وجل انتهى وقال ابو يزيد اولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم
واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في حجاب الانس لا يراهم احد لا في الدنيا ولا في الاخرة وقال الشيخ
على الجور حالي الولي يعود الثاني حالة الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سيانه فتوالت
عليه انوار التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار وفي الاشارات عن الله عز وجل
ان اسميتا الولي ... الا انه ... ليس ... لم يشعر يعرف بشيء من الحق تعالى لو لم ان
يوصل اليهم بغيره ولذلك قصد المولف رحمه الله كلامه بالتسبيح دما لما المطلع على غيبه الملكوتية
وجعك

وجب عند الاستتار على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفا اسرار الذين جعلهم
عن بعضهم لا سيما سر يقتضي وجود غيب فهو ظاهر ما ذكره المولف الان ويحتمل ان يريد ما هو
اعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون
في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفا الولي حسبما ذكره المولف في المسئلة التي فرغنا منها
حتى يمنع الوصول اليه بطلب وسبب واخفا ذلك ايضا عن عامة المومنين من الحكم
العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد لاوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يبتدي على
القيام بما يجب منها فان فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق راسا وقع بسبب
ذلك في محذور لا يقوم لها شيء وقد نصت هذا المعنى من كلام سهل ابن عبد الله
وقد سأله بعض تلاميذه كيف نعرف اولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا لشكله
ان من اراد ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالفهم بعد
علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة
منه لخلقه ورافة ولكن الله قد اخبر بكراماتهم فقال الا ان الله ولي الذين امنوا والله ولي
المومنين فافردهم به ولو حتى يبرزهم لكان في انكار اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم
فرضا والمعنى الذي ذكرته في هذه المسئلة فهمته من الكلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب
في كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض
وستره عند العلما والصالحين منهم لولا ذلك لما نكروا اليهم ثم حجبا الصالحين عنهم
ولو ظهر عليهم الايات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية
الله تعالى لهم وقربه منهم ليبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانه
وليحبط اعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون للولي
والسر على الرجا وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتاخرت عقوبة ذلك
لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجليل
خفي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلوبهم
ونعم جليلة على المتهتكين لحرمتهم المقصرين ليتلقوا بيا الله تعالى
اذ كانوا انسا واليهم من وراء حجاب فهذا هو اللطف الخفي من لطف النعم
كما جاء في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا لنا ذكر الولي فقد يكون
ذلك من اذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان يخبر انه رسول الله وان الله
لعظم حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب الوجه الاول ... من ...
ما ذكره المولف رحمه الله والله سبحانه وتعالى اعلم من اطلع على اسرار ...

بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لحجر الولاية المطلع على الاسرار التي
تقتضي وجود الغيرة اذ لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية يرحم المومنين ويحلم على الظالمين
ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويراف بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع
فتنة عليه لان ذلك يوديه الى روية نفسه واستعظام امرها والتعجب بعمله والتكبر على عبده
وهذا هو اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا الى حجر الولاية من اذعانه لعصيان ربه
ومنازعته لكبريايه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض
الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث
عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارات عن الله سبحانه وتعالى عبدي ان
استخلفتك شفقت لك من الرحمانية شيئا فكن لنا رحيما بالمومن نفسه وقد ادب الله
سبحانه خليله ابراهيم عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة المعتادة وعلمه كيف يتخلق بهذا
الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي عن اسامة ابن زهير انه قال لما رفع ابراهيم
حتى نفسه انه ارحم الخلق قال فرفعه الله حتى اشرف على اهل الارض فابصر اعمالهم وما
يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط
فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
اري الله تعالى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض اشرف على رجل بمعصية
من معاصي الله فدعا الله عليه فهلك وكذلك على اخر واخر فهلكوا فاوحى الله تعالى اليه
يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعوا على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال
اما ان يتوب فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبح لي واما ان يبعث الي فان
شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل وان شئت امر الله تعالى اليه بذبح ولده
الخفي المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وذكر في بعض
الاخبار انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السما وهو قوله تعالى وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على
فاحشة فقال اللهم اهلكه يا كل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه
ثم اطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني
عليهم رحيم عاصين فلما اهبط ارى في المنام ما ذكره الله حتى يقول اني ارى في
المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر للولد واخذ السكين بيده قال اللهم
يومل اليه ثمره فوادي واحب الناس الي تسمع قائلا يقول اما تذكر الليلة التي سالت
اهلاك عبدي

اهلاك عبدي اوما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق بولدك فاذا سالتني هلاك عبدي سالتك
ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي اظلم حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة
باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه التغني او اشارتها حظها وخطها ان ارق من
الحقوق فهو لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها الطاعات فضلا عن المعاصي ومن جانب
نفسه ورب تسخو المرة تسكن له مصداق هذا وقد تجد من النشاط والقوة
في نوع من العبادة ما لا يجد في نوع اخر وان كان هذا النوع الاخر افضل منه
وما ذاك الا لاختصاصه منه الالتمس والاخوان اهل الخبرة والبصيرة يتهمون النفس
اذا اتفق بابا من ابواب العبادة لا يعرفونهم بخدعها ومكايدها فيفتشون شؤون
ذلك عليها ويتقاولون فيها وقد حكي عن ابي محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة
على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظ وذلك ان والدتي سالتني يوما
ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت
بحظ وشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع
فهذا مما تبين ان حظ النفس في الطاعة موجود وانه خفي على العامل لذلك
تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك لينظر بذلك الى نفسه
ولطايف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية اعماله فلا جرم ان كان متعودا
يستحث عليه اتهام نفسه ومناقشتها في كل ما تدعوا اليه لا سيما ما كان من الشيخ ابو بكر
الخفاف سمعت بعض مشايخنا يقول عن احمد بن ارقم البلخي قال حدثتني
نفسي الخروج الى سبيل بالغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس
لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد
لقاء الناس لها اسالك العز انزلا ابراهي على معروفه فاجابت فما سان طيبها
فقلت الله اصدق قولا فقلت لها اقاتل القوم حاسرا فتقتلني اول قتيل فاجابت
وعدلت فيما ما ارادها به فاجابت كل ذلك فقلت يا رب تنطفي لها فاني
لها متهم وتقول لك صدق فالهمت انها تقول انك تقتلني كل يوم مرات
بمنعك اياي ومنعي شهواتي ولا يشعرني احد فان قاتلت فقتلت كانت
قتلة واحدة تحوت منها ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون شرفا
لي وذكرا في الناس قال فقعدت ثم لم اخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس
وغرورها اعاذنا الله من شرورها وسياتي من كلام المولف في النفس
عند ابواب اذكار اعمالها على النفس فانه لم يشتغل عليها الا مان حقا

ربما دخل عليه الريا حيث لا ينظر الخلق اليه لا يا العبد العمل حيث يكون بمراي
من الناس ظاهرا لا يحتاج الا لامارة عليه وريا وه بعمله من حيث لا يراه احد
امر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هي اخفى من دبيب النمل ومن اماراته
ان يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسامحته
الى قضا حوايجه والاقتدا به في جنعه الذي يستحقه عند نفسه استعظم ذلك
ويتعلق بقدره ويجد بفوته بينه اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما
يظهر بعض ضعفا العقول ذلك على المستهزي فيستبعدون من يقصر في حقهم
عاجلة الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى يقتص لهم ويا خذ بثارهم فاذا
وجد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه مراي بعمله وان اخفاه عن اعين الناس العبد
وقد روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للفقرا يوم القيامة
الم تكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبادون بالسلام الم تكن تقضى لكم
الحوايج وفي الحديث الاخر قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله ابن المبارك روي
وهب ابن منبه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد
مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان
اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان
دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيا احب ان
يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا
السهل والجبل قد امتلا من الناس فقال السايح ما هذا قيل له هذا الملك قد
اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فاقبل يحشو
اشدقه ويا كل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت
قال الناس وفي حديث اخر فقال ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح
الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام ومن هذا النوع من الريا خاف السلف وعنوا
انفسهم بسببه من الاشتهار كما روي عن الفضيل ابن عياض رضي الله عنه انه قال
من اراد ان ينظر الى مراي فلينظر الي وسمع مالك ابن دينار امراة وهي تقول يا مرائي
فقال لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل على داود الطائي
فقال له ما حاجتك قال زايرك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر
ماذا ينزل بي اذا قيل لي من انت فزرا من الزهاد انت لا والله ام من العباد انت
لا والله ام من الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا

فلا يترك صوف مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق البغيض ذلك لما روي عنهم في هذا
المعنى ولا يسلم من الريا الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من نفاق
الشرك وغيبهم عن نظرهم رؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا
منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فاعمالهم خالصة ولنيتهم كما يجب
اظهرها الناس او لم يراهم منهم ومن لم يحط بهذا او شاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع
ودفع المضار فهو مراي بعمله وان عمله لله تعالى في ظلمة جبل بحيث لا يراه احد ولا يسمع به
وقد تقدم من قول ابو يوسف ابن الحسين الرازي اعز شي في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في
اسقاط الرياء من قلبي فكانما ينبت على لون اخر استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك في عبوديتك الخصوصية ها هنا ما اختص الحق تعالى به بعض
عباده من علم نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه ان يفنح بعلم الله تعالى بحاله ولا
يتطلع الى ان يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله حبه الحيا من ربه والشكر له عن
الاستشراف الى معرفة الخلق ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا فضل عمل السر
على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى
عليه السلام اذا كان صوم يوم احدكم فليدهن راسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى
الناس لم يعلموا انه صايم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفها من شماله واذا صلى احدكم
فليسبل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقد سيل حكيم
من الحكما عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد ابن ابي الحواري من احب
ان يعرف بشي من الخير ويذكر به فقد اشرك في عبادته لان من عمل على المحبة لا يحب
ان يرى خدمته غير مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي كل من لم يقنع بسمع الله ونظره
في افعاله واقواله تدخل عليه الريا لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب ان يكون
في جب لا يعرف وقال سهل ابن عبد الله التستري من احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين
الله فهو غافل وقال ابو الخير الاقطع من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراي ومن احب
ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف
ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب ان يعرف فعلى العبد اخفا حاله جهده وان يكتم بليغ
في كتمانه اقصى ما عنده قال الحسن لقد ادركنا اقواما ما من احدهم يستطيع ان يسر شي
من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم
ولقد ادركنا اقواما ياتي احدهم الزور فيصلي ما يشعر به ولقد ادركنا اقواما
ما من عمل يقدرون ان يعملوه لله تعالى سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركنا اقواما

يجمع احدهم القران وما يعرف به جاره ولقد ادركنا قوما يجتهدون في الدعا وما يسمع لهم احد
وقال محمد بن واسع ادركت رجالا وكان الرجل يكون راسه مع راس امراته على وسادة واحدة
قد بل ما تحت خده من دموعه لا يشعر به امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي رواية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين
سنة واهله معه لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت فليشتغل حينئذ بمراقبة
قلبه وصونه عن ان يحل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله وليبكر ذلك على نفسه وليكرهه
ولا يرضاه منها ولما يجد نفسه في ذلك ان شكا الي هذه فان خالف هذا واستشعر الى معونة
غير الله بحاله وغفل عن مداهنة نفسه في حال ظهوره وتمكن منه ولو في لحظة خيف عليه
ان يحل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من
الوقوع في الريا الجلي والخفي لانه سببه فلا يستثقله وان كان قوي الارادة وسالكا
سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ الغيرة في الحال ويحط
بذلك عن ذروة الكمال لان هذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي
هذه الطريق كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق العبد
في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاء له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن
احواله بنا منه على نفي الغير وادا الواجب حق الشكر كان بعض السلف يصبح
فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الريا
فيقول لهم ويحكم من يري يفعل غيره وكان اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا يكتم ذلك فيقول
الم يقل الله سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد في هذه
الحالة الى هداية عباد الله ودعايتهم الى الله فاظهر احواله واعماله للاقتدا به والا هتدا
بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانيته هذا افضل
من سره لانه سلم من الافات التي تعرض بها غيره وحصلت منه الفوائد التي
تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل
لمن اراد الاقتدا وهذا ارجح الوجوه عند العلما في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
ساله عن فرحه بالطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية
وقد فعل ما ذكرناه من الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين ممن ذكرنا تابعيهم
خشيته الا طاله وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض وهو مقام هذا العبد مقام المتبعين العارفين
الله والداعين الى الله ولاجل كان لهم الدرجات العلى عند الله لانهم من ائمة المتقين
وقد اخبر الله تعالى بجزائهم وذكره عقيب دعائهم بذلك فقال عن من زايل اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا

بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فالنبي لطيف
المنه اعلا ان مبنى امر الولي على الاكتفا بالله والقناعة بعلمه والاعتنا بشهوده قال الله
عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بان
الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فمبنى امر الولي ابدا يتم على التبري من الخلق
والانفراد بالملك الحق واخفا الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم
وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وطابوا بالرسوخ
والتمكين وتحققوا بحقيقة الفنا وردوا الى وجود البقا فهنالك ان شا الحق اظهرهم
وان شا سترهم وان شا اظهرهم هديا بهداية اليه وان شا سترهم فانقطعوا عن كل شي
اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله تعالى بل يطلبه ان كان له مطلب
الخفا والخمول كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم
في ذلك تاييده وارادت مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا
تطلب الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة
وكلت اليها ومن تحقق بمنزلة العبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفا بل ارادته وقف
على اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن
احب الخفا فهو عبد الخفا ومن كان عبد الله فسوا عليه اظهره او اخفاه انتهى عمي
عن نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم اليك بشهود اقباله عليك
هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية العبد الذي اشار اليه في المسالة التي قبل هذه
وهو ان لا يكون له شعور بما من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه وطلبه
ما من الله اليه من نظر اليه واقباله عليه فيغيب لذي الحالتين باعدائهما وذلك ان تعلق
ما من الخلق اليه امر وهمي باطل ينقاد اليه كل ذي عقل نافي يوجبه هذا الانقياد انواعا
من الحبايل والرذايل من الاختلاط بذوي الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين
لهم وتوقيه الجاه والحسبة لديهم تكبرا وتعظيما عليهم ومحاشرتهم بالنفاق والادهان
ومنها الغفلة للاسرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله في دنياه لا يفوته بذلك حظه
وطيب عيشه ويسلبه ثوب الغنا والعز ويلبسه لباس الطمع والمذمة فتردي بذلك
همته وتقل قيمته ولعذاب الاخرة اكبر ولذلك قال الشاعر من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور ورأى سهل بن عبد الله رجلا من الفقرا فكلمه فقال له
فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد
حقيقة من هذا المعنى حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار

الا هو خالقه فان احد لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او يسقط نفسه عن قلبه ولا يبالي بالحال
بيوته انتقض ثم من له حصول بما اراده منهم واعراضهم مختلفه وطبايعهم متباينه فربما استحسن
من نفسه شيا لم يستحسنه غيره وربما رضي شخصا ما لا يرضي الاخر فهو يجهل ما يحمله فيما ينفعه
عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع ما في ذلك من التعب والنصب
في نفسه وفي الحكاية المذكوره عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل
ذات يوم السوق وهو راكب الحمار وابنه يسوقه فقال الناس حين راوه شيخ لم يشفق
على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هلا زاد ذا الزاد فنزل لقمان وبقي الصبي والولد
يمشي وصبي راكب فنزل يمشي مع والده وساقا جميعا الحمار فقالوا الحمار فارغ وهذان يسوقانه
وكان غرض لقمان بهذا ان يري ابنه بشان الناس ... من نطقهم والله لا يسلم منهم على اي
حالة تكلمت فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من التفت
الى الاوهام من ضعفاء العقول وسفهاء الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم باهر فلا يميل الا
الى ما هو حق ووجود صدق فهو بالله لا يبالي من نظر واقبل او حزن او عطا وعظم نوال فهو يعمل
فيما يوديه اليه هذه المطالب من غير التزام لبدوام او غيبه حاضر ثم يقول بلسان حاله

ان الذي تكرهون مني ... ذاك الذي يشتهيه قلبي

ويقول ايضا ما قال محمد ابن ... ما لي ولهذا الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي
ثم تقبض روحي وحدي وادخل في قبري وحدي ويأتيني منكر ونكير يسألاني وحدي فان صرت
الى خير صرت وحدي وان صرت الى شر صرت وحدي واوقف بين يدي الله وحدي ثم يوضع
عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان بعثت الى الجنه بعثت وحدي وان بعثت الى النار
بعثت وحدي فما لي وللناس وقيل للحارث بن اسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق
فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب ان
يطلع الناس على الشي من عمله وان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزياده عندهم وليس هذا
من اخلاص الصادقين من عرف الحق شهده في كل شي فلا يستوحش من شي كما تقدم من نعت
العارفين ومن فني به غاب عن كل شي فلا يكون منه على الاشيا اعتماد لما له اليها استناد
ومن احبه لم يوثر عليه شيا من مراداته وشهواته وهذه الامور التي ذكرها المولف رحمه
الله هي علامات تبلغ هذه المقامات العليه وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي
له ان يدعي تلك المقامات وليجعل علمها عده نفسه فيما يسعى ... ونيلها انما تجب الحق
اعتك بشده قربه منك بشده القرب حجابك كما ان شدة الظهور حجب البصر شدة قربه
منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود

فكيف يراه

فكيف يراه ما بعد المعنى من عظم القرب هو الذي غيب عنك شهوده قال
الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب ان تغيب في القرب عن القرب لعظم القرب كمن شم رايحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه
انقطعت رايحته عنه وانشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والامر اوضح من نار على علم

اراك تسال عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارات تداولها المحققون
وضربوا المعنا فيها مثالا بالشمس وذلك ان الشمس نورها اقوى من ساير الانوار
المحسوسه وقوة نورها هي التي حجبت الابصار الضعيفه عن ادراكها لشدة
ظهورها الذي اوجده وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقه متعلقا
بذاتها لا يجب من ذاتها وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب هاهنا ضعف البصر عن ...
فكذلك النور الحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره وانشد
في هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا

لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعزة استترا

وانشدوا ايضا

بالسر يظهر ما ترى من صورة ... وبه وجود الكاينات لا امترا

لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصير من الورى

فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد ... شيا سواه على الذوات مصورا

واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا الى العطا منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار
العبودية وقياما بحق الربوبية لم يامر الله تعالى عباده بالطلب والسوال منه الا
ليظهروا افتقارهم اليه وشوقهم بالتعرض والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهارا للعبودية منهم
وقياما بحقوق الربوبية ربهم لا لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوا
فيه منفعته وحظ هذا موقف العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المولف الان
قال ابو نصر السراج سالت بعض المشايخ عن الدعا ما وجهه لاهل التسليم والتفويض قال
يدعوا الله على وجهين احدهما يريد بذلك تزيين الجوارح ... بظاهره الدعا لان الدعا ضرب
من الخدمه يريد ان يزين جوارحه لهذه الخدمه والوجه الثاني ان يدعوا ايتمارا
لما امره الله تعالى من الدعا انتهى وتفضيل ... الدعا اظهار الفاقه بين يديه والا فالرب
يفعل ما يشاء ومقتضى هذا ان لا ينقطع سواله وان اعطاه ... 
وما ... لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطا فيما يرجع الى اظهار الفاقه والسعي

يعني [illegible] من الاحوال كلها كما انه [illegible] في الاحوال كلها ويبيح العدان بصرف وجهه
[illegible] مولاه فيما يبدله من شهواته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن همك
[illegible] الطف بقضا حوايجك فتكون محجوبا ولكن همك مناجاة مولاك قال الامام ابو القاسم
[illegible] رضي الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلا ثم لو من الدعا
[illegible] التضرع والبكا فاذا زالت شطايته ورفعت عنه افته ضيع الورد ونسي ابلا
[illegible] الورد بنقض العهود بعد العقود بنقض الورد اولئك الذين ابعدهم الله في سابق علمه و
[illegible] في مسلكه اهل الود [illegible] عليك بملازمة الانتصاب بين يدي معبودك خير لك
[illegible] عطا يسئل اياه ويتفصل عنه كيف يكون تطلبك اللاحق في عطايه السابق
[illegible] دليل على تقبيح السببيه المذكوره لان ما طلبه العبد سابق في الازل تقديره وطلبه
لاحق فيما لا يزال فكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل السبب الا [illegible]
[illegible] على السبب جل حكم الازل ان يضاف الى العلل هذا دليل اخر على ما ذكره وهو ان
[illegible] ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل فلا يكون سببه الدعا والسوال
لان احكام الله تعالى تعلت عن ان تضاف الى علة او سبب من قبل ان له الاراده المطلقه
المشية النافذه فصنعه بعلة لكل شي ولا علة لصنعه كما قال العارفون المحققون
[illegible] قبل ان [illegible] لشي [illegible] وجهه عنايته وقابلتك رعايته لم تكن
في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال
[illegible] الله تعالى بك في ازله حين لم تكن شيئا [illegible] بشي كان منك
من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بها اليه ولين كنت ندراك قوا [illegible]
لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله قال الواسطي اقسام
قسمت ونعوت نعتت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعي ان الاعمال العبادات
[illegible] الي ظهور [illegible] العناية فقال [illegible] برحمته من يشا وعلا انه لو [illegible] وذلك
[illegible] العبد الاعتماد [illegible] رحمة الله قريب من المحسنين ظهور [illegible]
العناية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشية في قوله [illegible] من يشا [illegible]
من يشا ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين اماره وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما السبب
[illegible] وعلقها به بلا تبكل الى ما على السابقة وتمد الذي هو مقتضي العبودية
[illegible] المشية [illegible] لان وقوع ما يشا الله تعالى جار [illegible]
[illegible] عما [illegible] الشما [illegible] العبارات التي

ذكرها المولف [illegible] او الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بظهورها وانوارها
عن البيان والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب والعلل مما يجب على العبد ان
يبني عليها اعماله واحواله فيلزم العبودية والانتقار ويدع التقدير والاختيار يلقى بيده ذلك
وهذا هو ادب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطي
ان الله لا يقرب بتقرب العبد ولا يبعد [illegible] الاحيان وليس الاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ما وصلت اليه بها ولو اخذت منه
ما انقطعت بها [illegible] من غير علة ونظع من قطع من غير علة كما قال تعالى
[illegible] له نور [illegible] وقال ايضا [illegible] لا وانقص وكل [illegible] مستعمل
وقدرته لن يحق له الوفاق والخلاف وهو مقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قال [illegible]
في بدايتها ونهايتها لا بوسيلة وجدولا حسنة فقد بل لا [illegible] ولا [illegible] انما هي
[illegible] قال رضي الله عنه [illegible] العلما اعتماد اعلى قسمته [illegible]
عن مسئلته فقد يكون من الادب تركه [illegible] مستغرق في الاذكار
[illegible] عليه من [illegible] واحد [illegible] قال ابو القاسم [illegible]
واختلف الناس في اي [illegible] افضل الدعا ام السكوت والرضا فمنهم من قال الدعا في نفسه عبادة
[illegible] صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة افضل من تركها ثم هو
حق سبحانه وتعالى [illegible] الانسان [illegible] فقد قام بحق الربوبية
[illegible] العبودية وقال [illegible] ثم الاعتراض [illegible] الدعا اشتغل عن احوال
[illegible] قالوا [illegible] ان الحكم [illegible] بما سبق به
الحق او [illegible] لكمن محاربه الوقتي
وقد قال [illegible] عليه وسلم اخبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعا بلسانه وصاحب
رضا بقلبه ليأتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القاسم والاولى ان يقال ان الاوقات مختلفة
ففي بعض الاحوال الدعا افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت
افضل من الدعا وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل
[illegible] اشارة الى [illegible] الدعا [illegible] اذا [illegible]
[illegible] فكون [illegible] ان [illegible] لا يكون [illegible]
تعالى في حالة [illegible] يجب ان يراعي حاله [illegible] عن الدعا زيادة [illegible]
اولي وان خالي قلبه في وقت الدعا اشبه زجرو مثل [illegible]

الوقت فان لم يجد في قلبه الاشياء فبسط وان حصول نجح الدعا وتركه ها هنا سيجان
وان كان انعال التعلية في هذا لو ثبت الحوزة وكلا نعال السكون واستكون اوليه بحرات
بقال لما كان للسلين فيه نصيب ولمحقق فيه حق في الدعا ولما له نفسه فيه حظ
فالسكوت اتم وفي الخبر ان العبد ليدعو والله تعالى يحبه فيه فيقول يا جبريل اخر حاجت
عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو والله يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته
فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام ابي القاسم وهو حسن بديع وهو في معنى ما ذكره المؤلف رحمه
تعالى انما يكون سببه عن علته الاعتقاد انما يدعو ... على ما ذكره
من ان تكون المطلوب قد يكون من الادب وذلك لان في المطلب اشعار بالتحويز الاعتراض عليه ...
بذلك ان التدبير والتوجه باختيار الوجود ... فتكون ذلك ... لله وجه ذلك ... على
الحق تعالى عن ذلك ... فلا ... ان ترك الطلب عند ... اراد ذلك ...
لو سعطى ابن يبعا فقال اخشى ان دعوة ان يقال لي ان سالتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وان
سالتنا ما ليس لك عندنا فقد اسات الثنا علينا وان رضينا اجرينا لك من الامور ما قضينا لك
بالدهور ... عن عبد الله بن المبارك انه قال ما دعوت منذ خمسين سنة ... الاعوا
يحد لانه ماض على ما سبق ... ورود الفاقات اعياد المريدين الاعياد عبارة عن الاوقات
تعايد على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود
نيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين وهم من مسرته وفرحه بفقدان
حظه واعراضه الفانية واغراضه وهذا هو حالة الخاصة من المريدين لان مدار امورهم انما هو
على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار ولا يتاتى لهم ذلك الا بوجدانهم
وهو من ضروب الفاقات والوالع ... الضرورات فلهذا يؤثرون الفقر على الغنى
... الدنيا والذل على العز والمرض على الصحة ... تحصل لهم ... وحلاوة لا يعرف قدرها
الا هو لانها من وجود قلوبهم وربهم في حال فقدان حظوظهم وكلما ازدادوا ... ازداد سرورهم
ولا كان بعضهم يطوف حول الكعبة ... كما ترى صبية بابيه كما ترى
ديانه كما ترى ... ولا ترى ما ترى ... فسمعه بعضهم فجعل له
... اليه فقال ... علي ... ان اقول هذا لقول ... الدلا
... الفاقة ... الصابر ... التصوف ...
... وجود الذلة مع الذلة يكون ... الله ...
... الى ان يبلغ ... فليختر سبعا على شبع وان الحالين
... اختار الفقر على الغنا والجوع على الشبع والدون على المرتفع
والذل على العز

والزاعل العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف من
فمن الفقراء يطلقه عن قدرة فذلك لقصور نظره الشفاق في هذا المعنى فواجبه اذا ان يكون ورود الفاقات
اعياد المريدين كما قال قوا ذ افقدوا ذلك بما وانان الاسباب استشهروا وجود الحاجه بعد هو عن ...
الاقتراب ... الذكر ... او ردوا لو عاد ... ومن هذا المعنى ما حكي ... التساج
قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير ... الي تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة
فقلت وما هي فقال حرمت البلا وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شي من الدنيا وقال بعضهم ان
الفقير الصادق ليتحرز من الغنا حذرا ان يدخله الغنا فيفسد عليه فقره كما ان الغني يتحرز
من الفقر حذرا من ان يدخل عليه فيفسد عليه ... وقد تقدم ... السلمي في نحو الفعل
لابن ... الربيع ابن خثيم ما يوافق ما ذكرناه وانشدوا في ذكر احياد المريدين والعارفين قيل
انما الاعياد على الورى ادبي قالوا غد العيد ماذا انت لابسه فقلت خلعة ساقي حبه تجرعا
فقد وصبر هما ثوباي تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا احرى الملابس ان تلقى الحبيب به
يوم التزاور في الثوب الذي خلعا الدهر لي ما ثم ان غبت يا املي والعيد ما كنت لي مرائي ومستمعا
وفيما وجد ... المريد في الاوقات لا تجده في الصوم والصلاة وورود الفاقات تحصل للمريد بها مزيد كبير من
صفات القلب وطهارة السر وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان الصوم والصلاة قد يكون له فيها
شهوة وهو كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يومن فيه من دخول الافات فلا يفيد تحلية ولا تزكية ...
ورود الفاقات فانها مباينة للنفس والشهوة على ... وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله
اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك ... الفاقة تبسط المواهب الفاقات
تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الهون ... في تلك المحاضرة والمجالسة من
المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما
الصدقات للفقراء هذا امثل ما ذكره الان وذكر الاية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر
هو التحقق باوصاف العبودية المذكورة في المسالة التي تاتي اثر هذه وما يتعلق بظاهر الاية التي
استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم ... الفقير اخذه الصدقة
ممن يعطيه لا ممن نقل اليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه جعلها له فان
قبلها من الحق فهو الصادق في فقره بعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسع
... تحقق ... وفاقته ... تحقق بعزته تحقق بحرك
... قدرته تحقق ... هذا ... الله ...
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى ... تعلقا ... عند قال
تحققا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر

والعجز والضعف والذل لله تعالى وانما اليها اوصاف العبودية فما تكون لها فلا تم اوصافك وتعلق باوصافه
وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط
العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك فاستعينوا
بالله واصبروا ان الله مع الصابرين ثم حكم سيدي ابي الحسن رضي الله عنه وقال رضي الله عنه
ربما رزق الكرامة من لا تكمل فيه الاستقامة الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول
الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا عليهما ولا يكن له همة الا في الوصول اليهما واما الكرامة
بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال
سيدنا ابو الحسن الشاذلي انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان
وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما
ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطا في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم
بشهود الملك على نعت الرضا عن الله ومن الله فما حيلها مستدرج مغرور ناقص او هالك مثبور
وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من
البلدان انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن عبد الله
رضي الله عنه انه قال الكرامة تنقطع الا انها الكرامات شيء تنقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات
ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن يضع يده
في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع يده في جيبه فلا يجد فيه شيئا فلا يتغير
وقيل لابي محمد المرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي ان من مكنه
الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الماء او في الهواء وقال ابو يزيد لو ان رجلا بسط مصلاه
وتربع في الهواء فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان يمر الى مكة
في ليلة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له ان
فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء اعجب من ذلك وقال الجنيد
حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات
عنده وقد تقدم مثل هذا في قوله الحسن كان ينبغي تخصيصه كما تخليصه من علامات
اقامة الحق ... الشيخ ... مع ... لاعتبار ...
نفسه ... وعلامات اقامة الله ... في الشيء ...
عليه فتحصل له ثمرته ونتيجته وينبغي على هذا الادب ... اشار الى الخروج من هذا
بعد قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله تعالى اياك في الاسباب ...

من غير

من غير ذكر من بساط احسانه اذ ضمنته الاساءة وهو غيره من بساط احسان الله اليه لم يجد ذا اساءة
من يشاهد احسان نفسه وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فاذا وقعت
منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحيا وهذه طريقة اهل التكليف الذين
ينظرون الى ما منحهم الله تعالى بسابقة في الخالق من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه ...
او جنت جوارحه على ذلك ... جولان الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة اهل التعريف
الذين ينظرون الى ما من الله تعالى عليهم ... من التعريف والتكليف كما ينبغي
عليهما من الكلام ...
اختلاف ...
اقتصر المؤلف ... في هذا الفن ولم يذكر ... سواها ... يبنى على ذلك الاصل وقد نبه عليها
في لطائف المنن ولكن فيها بكلام مستوعب حسن فراينا ان ننقله هاهنا بكماله ليتبين
به مقصوده في تفصيله وبجماله قال رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس الناس على ثلاثة
اقسام عبد يشهد ما منه الى الله وعبد هو يشهد ما من الله اليه وعبد هو يشهد ما
من الله الى الله قال يعني كلام الشيخ هذان من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره
واساته فيقوم مقام المعتذرين بين يدي الله وملازمة الاحزان ومحالفة الاشجان ويستولي عليه
الكمد كلما بدت منه سيئة او كشفته من نفسه عن اوصاف سوء وعبد اخر الغالب
شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا يلازمه عليه
المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون فالاول حال العبد ... والثاني اهل العناية والوداد الاول شان اهل التكليف
والثاني شان اهل التعريف الاول حال اهل اليقظة والثاني حال اهل المعرفة فكذلك قال الشيخ ابو
الحسن رضي الله عنه العارف ... حال اهل المعرفة فلذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف
شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته في احسان الله اليه فاذكروا الاء الله
لعلكم تفلحون وقال رضي الله عنه قليل العمل من شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع
رؤية التقصير من النفس وقال بعض اهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك
في التقصير قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قرات ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان
انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطافه الحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن
بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد والعباد

واهل الجبروت الحفظا بعد ذلك قال ان سيد الرطاعه والنقاية الا اكموذا حزينا لانه علم ان الله سبحانه وتعالى
طالبه بالعبودية وحمله اعباها والزمه ما استعفت السموات والارض والجبال الاية تابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فخا بين الزاهد ثقل ما حملوا فلم يشهدوا
الى شهود لطف الحامل الاثقال عن عاتق المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن
واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا الحقيقة ضعفهم عن حمله والقيام به
وكلوا الى انفسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم
قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجعى فحمل عنهم الاثقال فساروا
الى الله محمولين في محفات المنن بروح انسهم بنفحات اللطف والاخرون ساروا الى الله حاملين الاثقال التكليف
فلا زمهم المشقات ونظر لطف الله بهم فاخذ بايديهم من شهود ما منهم الى شهود
سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت عليهم الغايات واما القسم الثالث فهم الذين لم يمعهم انه تعالى
يشهدوا ما من الله اليه فهولاهم اهل التوحيد والداخلون في ميادين التفريد واهل القسم الاول هم الذين
غلبت عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم اتكلوا
على انفسهم موبخين شاهدين تقصيرهم واساتهم فلو لم يشهدوا فعلهم لها ومنعها ما توجهوا اليها بالتوبيخ
اذا قصرت فلذلك قال الله [illegible] الذي سبق قوله لا يخلوا شهود التقصير من الشرك في التقدير
فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف يصنع والله تعالى
قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا قصرت وتوبيخها هو لانا كانت كذلك فالجواب انه ذمها لان الله امرك
بذمها من غير ان تشهد لها قدرة او يقع اليها فعلا تراها هي الفاعلة له واما القسم الثاني وهو الذي
يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات نفسه شهادة
اليها هذا الى الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين العيبين انزل اهل الله تعالى القسم
الثالث وهو ان يكون يشهد ما من الله الى الله انتهى انتهى كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنه
من الفوايد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الذكره على ما هو عليه في هذا الموضع
والله الموفق لا رب غيره ثم سبق انوار الحكما اقوالهم بحيث ما كان التنوير وصل التعبير الحكما هم
العارفون بالله تعالى العاملون به والانوار المنسوبة اليهم التي انوار [illegible] وهي قوة
يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا ارادوا ارشاد عباد الله و
نصحهم بالاذن من الله تعالى لم يسبقها انوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجا والافتقار اليه في ان
ينيلهم اراد الله بعباده ان تجعل فيها اهلية واستعدادا للقبول لما يريدون ارادة عليهم من
كلام الحكمة يحيها الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها اثار انوار اسرارهم
الحكما كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك اتم انتفاع وقد اوصى لقمان الحكيم

ابنه فقال يا بني ما بلغ من حكمتك قال الا انكلف علما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي شي
اخرج الى السن العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة
كما يحيي الارض الميتة بوابل السما وانما قلنا ان الحكما هم العارفون بالله تعالى العاملون
به لانهم خايفون من الله تعالى وفي بعض الاثار راس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات
العلم بالله قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما والعلم الموجب للخشية هو العلم
بالله تعالى فقط فالحكما هم العاملون بالله تعالى وان كانوا ضعفا في ساير العلوم
الرسمية كليلة الالسنة في البيان عنها كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي
منه برز اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وتزكى من الاغيار وانوثت
فيه الانوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني
الذي يلج اذان السامعين فينفتح له اقفال القلوب ويستحيون لما اجيبهم روى
الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس
محمد بن واسع فقال له يوما وهو موبخ [illegible] ما لي ارى القلوب لا تخشع وما لي ارى
العيون لا تدمع وما لي ارى الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى
القوم اتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب [illegible]
المولف رحمه الله فصلا ليستوفي هذا المعنى الذي ذكره ومن مارس كلامه في هذا
الكتاب وفي غيره حصل له منها النتايج المحمودة فسلم ما قلناه وكفى بشهادة
شيخه ابي العباس احمد المرسي رضي الله عنه على عظم قدره وكفاية له برهانا على ذلك
قال في لطايف المنن ولقد قلت لبعض تلامذة الشيخ يعني ابا العباس اريد
ان نظر الشيخ الى برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ
قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا انفسكم
ان يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده
ثم قال اي شي تريد ان تكون والله ليكونن لك شان عظيم قال فكان من فضل
الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ
يريدون ان يصدروا ابن عطا في الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وانا
اصدره في التصوف قال ودخلت عليه فقال اذا عم في الفقيه فاضل الدين يجلس
في موضع [illegible] تجلس الفقيه من ناحيه والامير ناحيه وتتكلم ان شا الله في
العالمين فكان ما اخبر به قال وسمعته يقول اريد ان استنسخ كتاب تهذيب
لولدي جمال الدين فذهبنا فاستنسخته من غير ان علم الشيخ واتيته بالجزء الاول

فقال اما هذا فلست كتاب التهذيب استنسخه لكم فاخذه فلما نهضت مع الرجل الى
الولي لا يتفضل عليه احد تحجر ان يشاء الله هذا في ميزانك قال ائتيته بالجزء الثاني فلقيني
بعض اصحابه عند نزولي من عنده فقال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من
عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن قال ائتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده
فلقيني بعض اصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدات جمة افتار هل
الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما ارضى له يجلس بجدة ولكن بزوايا دكا
التصوف قال واخبرني بعض اصحابه قال قال الشيخ يوما اذا جاء ابن الفقيه الاسكندرية
فاعلموني به فلما اتيت اعلموا الشيخ بذلك فقال تقدم فقدمت بين يديه ثم قال جاء جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال
قد امره الله ان يطيع امرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال ثم قال يا محمد ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء
ان يخرج الله من اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت
يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي ابو الحسن الحويطي وكان من اصحاب الشيخ
ابي الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني قال وكيف
لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت
قلت له يا سيدي انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة
وهذا الشاب ... ثم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون
داعيا يدعو الى الله فكان كما قال الشيخ رحمه الله قال وكنت كثيرا ما يطرأ علي الوسواس
في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء قلت نعم قال رضي الله
عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يتعب بها ... اياما ودخلت
عليه فقال ما حال ذلك الوسواس فقلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة
لا تعد تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن الوسواس
سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت
قصيدة امدحه بها فلما رجعت انشدته قال ايدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة اخرى
باشارته جوابا القصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما قرأتها عليه قال رضي الله
عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرض فدفعناه الله منه ولا بد ان يجلس ويتصدر في العالي
يشير الشيخ الى مرض الوسوسة قال ولقد انقطع عني ببركات الشيخ حتى صرت لا اخاف

ان اكون

ان اكون لشدة التوسعة التي اجدها قد نسيتها فلما نزل بعض الهموم للرزق الاحق كان في العالم براسي
فتشكونه لكآبته فدعا لي فعافاني الله وتنفرت ليلة من الليالي فسهوت فرايت النبي في المنام
تشكو اليه ما انا فيه فقال استكشوا الله لا علمتكم علي علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ
فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجت
للقائه فلما سلمت عليه قال ... الله لكم لطف بكم ... سبيل الولاية
ونهاك بين خلقه قال فلم اجد نبركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
وانه مراد بقوله ونهاك بين خلقه قال وكنت انا الآخر من المنكرين وعليه من المعترضين
لا لشيء سمعته منه ولا لشيء نقله عنه حتى جرى بيني مقاوله وبين بعض اصحابه
وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون
امورا عظيمة ظاهر الشرع يأباها قال ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ ... قال الشيخ
يوما تخاصمنا فلما ... دخلت عليه قال ... ما قال لي هؤلاء كالحجر ما اخطاك منه خير مما
اصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثنتي عشرة سنة فما
سمعت منه شيئا ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان
سبب اجتماعي به ان قلت في نفسي بعد ان خوصمت ما بيني وبين ذلك الرجل دعني
اذهب انظر هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا تخفى شانه قال فاتيت الى مجلسه
فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها فقال الاول الاسلام والثاني الايمان والثالث
الاحسان وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت
الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت
الى ان بهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب
الله ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيئا يقبل الاجتماع باهلي ...
ووجدت معنى غريبا ما ادري ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها
وما خلق الله فيها من عجائب القدرة فحملني ذلك على العود اليه مرة اخرى فاتيت
فاستؤذن علي فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني بالبشاشة والاقبال حتى دهشت
خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له يا سيدي انا والله
احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجد من هموم واحزان
فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان
كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك
الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية ف...

نقتض الحق منك وجود الاستغفار فان نقمت من عنده وكانما كانت تلك الهموم والاحزان
توبا نزعته قال ثم سالني بعد ذلك بجملة كيف حالك فقلنا نتشرع الى الاجره فقال لي نحن
ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار
اللوم غوالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهبا اهل الشريعة اهل العلم الظاهر
ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذكرها هنا على طوله
ليعرف به قدر المنن لتيد فتح بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف وليتعرض
بذلك لتنزل الرحمة من الله تعالى علينا وعلى مولاه منحه وعطاياه لدينا وتنزيل عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المولف من الكلام الجاري فيه تنصب
السبق بين من عاصره من الائمة والصلاح ولما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن
فحالها اوضح من نار على علم وقد طرزت بكلا منهما الكتب والدفاتر وزهت بما اثرهما وعلومهما
الالسنة والاقلام والصحف والمنابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر
عقول السامعين والطالعين وتزع اناف الجاحدين والمعاندين سنتكفل من ذكر المسمى اشارته
ودعته مصونا بالجلال محجبا من اذن له في التعبير فهي في مسامع الخلق عبارته وجليت لهم اشارته
الماذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد كما اجاب
كل نطق عن اذن اشار بهذا الى العلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا فاذا اقترع اسماع السامعين كلامه لوقعت في مسامعهم عبارته فلم ينفروا الى محاورته
ولا بتكراره وجليت لهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى الاطناب ولا اكثار بخلاف غير الماذون له فيه
ذلك قيل لحمدون ابن احمد ابن عمارة القصار ما بال كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا
لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق
ربما برزت الحقائق مكشوفة الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار ومن لم يستكمل
الاوقات المذكورة لم يوذن له في اظهار شي من الحقائق فانه ان اظهرها برزت مكشوفة
الانوار ربما غشيتها من ظلمة روية الاغيار فحجبت عن اذان السامعين وانكرتها قلوبهم
وعلامات استكمال الاوقات المذكورة ان ينفع لذلك التعبير وجود السلامة من افات
النطق قال في لطائف المنن من وجدوا بفضل الله لاولياء به وجود العبارة قال وسمعت
شيخنا ابو العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهورة
حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا ابو العباس
رضي الله عنه يقول كلام الماذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له
يخرج مكشوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد

والثاني حال السالك الاول مريدا لهداية او لقصد وجدا او نفيضا او عبارته على الاخر
حال ارباب الحكمة والتحقيق لانما يقع التعبير منهم عما يطلعون به من الامور الغيبية
والعلوم الاشهادية لا لاحد معنيين اما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في
ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية مريد
فتلك لهم دليلا لما فيه من فايدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين
من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان
عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشا سر لم يوذن له فيه وايضا
فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق سبحانه وتعالى الذي
ما يرتعي نسمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم ما يبعده منهم النطق
او تعبير على غير هذا الوجه المذكور والصمت من ادب الحضرة قال الله تعالى و
خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا العبارات قوت لعائلة المستمعين
والعبر ليس لك الا ما انت له اكل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعو
الله من المواعظ والحكم وهو قوت لقلوبهم وغذا لارواحهم كما ان المستطعمين
والسوال موسومون بالفقر والحاجة الى الاقوات لابدانهم وكما ان الاقوات هي
مختلفة فلا يصلح لواحد من هولا ما يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف
طبايعهم وامزجتهم فكذلك الاقوات للاخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم
من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للاخر لاختلاف
مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا اسمعت عبارة من عالم او عارف او احد من
اهل الطريقة ولم تحط منها شيئا فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغذائك وهي صالحة
لغيرك من اخرين وربما يتكلم في هذا السلك ان تقرع اسماع الناس العبارة من بعد
الاشخاص فيفهم منها معنى يقصده المتكلم ويتاثر باطنه بذلك تاثرا عجيبا ويدفع
ذلك الجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر ويحصل لهم بذلك
التاثر مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان مضادا له ويسمع ارباب
القلوب من الجمادات ويستفيدون به قال في لطائف المنن وربما
فهموا من اللفظ ما قصدوا ضده كما اخبر الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد ابن علي
القشيري رحمه الله تعالى قال كان بعد دقيقه يقال له احمد ... يقرا ... على
يخرج يوما فاضلا المدرسة نسمع منشدا يقول اذا العشرون من ...

فواهل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بالاقداح صغار    فقد طاف الزمان على الصغار
فخرج هائما على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين
الاسمر قول القايل لو كان في مسجد بالروح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح امطارا
الراح شي شريف انت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا    يا من يلوم على صهبا صافية
خذ الجنان ودعني اسكن النارا فقال انسان هناك لا يجوز سماع هذه الابيات فقال
الشيخ مكين الدين الاسمر المقرئ اتروا هذا رجل محجوب فالشيخ مكين الدين هذا الذي
شهد له الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما بانه من السبعة الابدال فقال
ويكفيك في هذا ان ثلاثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري فقال كل منهم ما خاطبه عن الله
خوطبوا بها فيسمع الواحد اسع ترى بري وسمع الاخر الساعة ترى بري وسمع
الاخر ما اوسع بري فالمسموع واحد واختلف افهام السامعين كما قال الله سبحانه تسقى
بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع
اسع ترى بري فهو ممن يدل على النهوض الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع
الساعة ترى بري وجود الهواه له واما الثاني فكان ناسكا اراد الله ان يفوته الاوقات
مخافة ان يفوته الوصلة فقيل له ترى بري لما احرقته نار الشغف الساعة ترى بري
واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب حيث شهد فسمع ما اوسع
بري قال وقال الشيخ محي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى دعانا بعض الفقرا الى دعوة بزقاق
القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعمروا الاوعيه وبها كوز فارغ
من فخار لم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فاجتمعوا يأكلون وانا الوعا يقول عند
ما رضي به ان ياكل هولا الساده ما رضيت لنفسي ان تكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين
قال الشيخ محي الدين فقلت للجماعة سمعتم ما قال الوعا قالوا نعم قلت ما سمعتم فاعادوا القول
الذي تقدم قال فقلت لهم غير ذلك قالوا وما هو قلت انه قال لكم كذلك قلوبكم قد اكرمها الله بالايمان
فلا ترضوا بعد ذلك ان تكون محلا للنجاسة المعصيه وحب الدنيا جعلنا الله واياكم من
[illegible] عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازعة كلها مما يستملح ويستظرف ويتأثر
بها القلوب السليمة وينفذ اليها النفوس الكريمة وقد جرت عادة ايمة هذا الطريق باستعمالها
في مجالسهم [illegible] علينا ان نذكر بعض ذلك لان له مناسبة تامة ووجدته

استشرف
تنبيها فايدة خاصة او عامة وبالله التوفيق لا يتغير بما عبر عن المقام من يستشرف
عليه وبما عبر عنه من وصل اليه وذلك مثل ان الاعلى صاحب بصيرة كما ان الواصل
الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه غير ما يعبر عنه من استشرف عليه
ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة
ولما دون البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة
وما هو عليه من كمال او نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا ولا ينبغي للسالك ان يعبر
عن وارداته فان ذلك يقلل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه الواردات
الالهيه لا ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع
عليها احدا الا ان يتجاسر بشد الات نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا يتقوى
به صفاتها فيتقلل بسبب ذلك على الوارد في قلبه من الثاني [illegible] وجود ولاجل غاية
احكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدق مع ربه
المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في
عبوديتك لا يمدن يد الاخذ من الخلايق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك
فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون
ليبنوا عليها احوالهم فيما يصل اليهم من الرزق على ايدي الخلق وقد ذكرها المؤلف
بعبارات بليغة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرنا
فلنبسط كلامه في ذلك على حسب ما رسمناه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا
التنبيه وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسايل كتابه ونقول على
حسب ذلك ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين احدهما رزق يصلون اليه
باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرها وهذا حال اهل
الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا
حال اهل التجريد وكل واحد من القسمين له اداب واحكام فاحكام القسم
الاول وادابه لم يتعرض له المؤلف رحمه الله تعالى وهي المذكورة في كتب الفقه
وغيره فلا حرج على كل من دخل في شي من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من
حيث هو واحكام القسم الثاني واداته وهي التي تعرض لها المؤلف واجاد رحمه
الله جميع ذلك في [illegible] شرطين رحمهما من شروط صحة الاخذ الشرط
الاول ان لا يرى العطا الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه
على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليصه التجريد به يصلح له

معلم القناعة والتوكل ويستغني بالله عن الرزق ويزول عنه علامات الخلق وان
لم يكن على هذا الوصف كان عبدا للناس متوليا قلبه اليهم لكثرة طمعه فيهم ورغبته
فيما بايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كثير من الذنوب من معاصي القلب
والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة
وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية للعبودية لله عز وجل وقال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين
ولا يكفي في ذلك الرؤية المذكورة ان تكون علما وايمانا فقط بل لا بد ان يكون حالا
وذوقا دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان في طائفة من اصحابه نحو
خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة كبيرة فلما قعدوا قال الشقيق
ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وانا قدمته اليه فطعامي عليه حرام قال
فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم فقمت مشاهدته عنهم فقال الشاب للمنزل
لشقيق رحمه الله ما اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم لا يرونه
فيما صنع ولا ينظرون الى الله فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا في رؤية العطاء من الله
تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرنا ولان التجريد حال شريف
لا يدخل فيه الاحرار والفحول لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم
الحق تعالى فيه من اراد به من اهل التقوى والمراقبة بعد كمال اشتغاله بالله تعالى وحده
في الهدى من كل ما يقطعه عن الله فيحتمل ان يسلبه الحق سبحانه وتعالى من تدبيره
واختياره ويكاشفه بوجدان التية في ايراده واصداره ويكون نتائج تركه الاسباب
وقت الوقت والاشارة الحال كما روينا ان ابا حفص النيسابوري كان حدادا فكان
غلامه ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار واخرج الحديد من النار فغشي على غلامه
وترك ابو حفص الحانوت واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل ثم رجعت
اليه فتركني العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص لا ينبغي للفقير ان يتعرض للقعود
عن التكسب الا ان يكون رجلا مشغولا قد اغنته الحال عن التكسب [illegible]
احاطت به نائمة ولم يتح له عورت [illegible] وبين التكليف قال الشيخ ابو [illegible] عبد الله
القرشي ما دامت الاسباب قائمة في النفس فالاكتساب اولى وقال بعض المنقطعين

كنت

كنت ذا صنعة جليلة فاريد من يكفيها فوقع في صدري من ابن الماشي فصنعني هاتف
لا اراه ينقطع الي ويتهمني في رزقي علي ان اخرجك [illegible] من اوليائي او منافقا من اعدائي
وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس
ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه عن من اهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى
زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه
من غير مسألة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله اليه وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه شيء من هذا الرزق من غير مسألة
ولا اشراف فليأخذه وليوسع في رزقه فان كان عنه غنيا فليدفعه الى من هو احوج
منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء
فاقول اعطه يا رسول الله افقر اليه مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه
فتموله او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا
فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسال احدا شيئا
ولا يرد شيئا اعطيه فالاستشراف الى الناس [illegible] قادح في التوحيد فلا ينبغي ان
ياخذ المريد العطاء على هذا الوجه روى احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج خبزا من يوم
الى شارع باب الشام لا يشتري دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافى ابو بكر
محله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا
ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينتشف فراه ابو بكر وكان يقوم
الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ابي بكر من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما
فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع
صالح متعجبا فقال له احمد تعجبت من رده واخذه قال نعم قال رجل صالح لما راى
الخبز استشرف نفسه اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده فلما
اليه بعد الاياس قبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فيرده
بصره ذلك لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه الى الرزق
في الحقيقة استشراف الى الرازق فلا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان اراد منها
الاستشراف الى الرزق شغلت صاحبها عن دوام الحاضرة والمناجاة مع الحق
فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا وينبغي للفاس التعلق [illegible] بالله تعالى
سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت في [illegible]
واقفا بين العشاءين اطلب ان فارغ بلا سبب حتى جاءني النسر [illegible] السلام عليك

قلت لها وعليك السلام قال الشيخ العشا فادهشني ما فيه فتوقفت فالهمني الله تعالى
ان قلت لها الذي له موضع قال الحق قلت لها ايش هو او متي هو قالت فقلت لها الارب
او عبد قالت التعبد فقلت العبد يقدر علي شي ما هذا الضعف والشكر الذي نيتني اهوي
الي خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك والقادر علي كل شي يعطيك ويجيبك
ما طلبتني فتطعمني فاكل فهاك وابي ربا هذه الحكاية قال ذهبت الي خالقها في عشائنا
متمكن كثيرا كلما قال لا كدا يحتج علينا ومن هنا تثبت الاقدام وذكرنا ما تشبه له عظيمه
مفيده تنص كيف يكون حال الفقير والاراده فراينا ذكرها في هذا الموضع مرالاحـ
المتعين ليتحقق به ما اردنا كل من يقف عليها من مريد مسترشد قال رضي الله عنه اعلم
ان الفقير لا يخلو اما ان يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة الجالس فان جلسته
يكون مع الثبيه وهو مكانه وزمانه طرف بمجاذبه لا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت
ولا الي سبب يتعلق لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يحدها ولا يدري متي هي ولا وقتها وبعد
ان جميع الاشيا تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو خليفة فيها وقد تقدم
من جميعها فالالتفات والاصل فيما دابه يكون هدا فالاقتدا يعز عليه ولا كسبه
ولا ينبغي التحصيل ثم قالوا اما الماشي من الفقرا الذي يكون في سفر او غيره فلا تجاوز همته
خطوته مثاله ان يكون ماشيا فيخطر له التعب والالتفات اليه من بلد او شخص
او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو وتنزل ندمه فان تمادي في التعلق بشي من
هذه الطوابع والشواغل ومشي الي شي منها ونقده وماف ما فقال نفسه وذلك انه
يكون في يوم صائف فيخطر او قد اصابه العطش الشديد فيعرض خاطر فيجي العدو فيدوخ
عليه ان اسرع لتلحق بذلك الماء لتشرب منه فيزول عطشك فان مشي الي ما اصابه هذا
الخاطر فيجي الموضع فيجده سرابا فهناك يظفر به ويقول له الان تموت فيقتله من ساعته
فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه واياته ولم يعرف داه من دابه ولا يعلم العلم
ولا يعمل العمل النافع مع نفسه فالحكم اذا جاءه هذا الخاطر بالروح من العدو في
سفره من السرعة الي الماء والركون الي الاخبار من منازل او اشخاص او غير ذلك ان
يعرض علي العدو وان الله تعالي يمكن ان يتوفاني قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه
في ذلك وبينا ويقول له ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشي الي طمع فليمش رويدا
وقال من تاني اصاب لو كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجلة من الشيطان ومن هذا التبويل
يشك بشك انه كان يجلح النفس والشيطان بهذه القواعد من العلم الذي ينفعون
رجي عندهم بعد الاستعانة بالله والتعلق به ثم يقول له ايضا اشكر الله
تعالي قادر علي ان يطعمني ويسقيني لو شاء بل يبع كرعينا الساعة قبل وصولي لذلك الما
فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك والله تعالي اعلم بمصالح ومنافع
مخلوق فاذا احصل هذا العلم رجع بمشي متانيا هينه مع خطوته ناظرا لما يرد
ربه فان وصل الي ما خطر له اولا او جواره من بعيد ولم يجد ماء او لم يجد ما يتعلق به خاطره
صاحبا وطعاما بقي علي حاله لا يتغير عنده ولا يتردد ويظفر بالعدو ويقتله
ايضا الشيطان بحيرة الشي وضده التي يلقي بها اورد ما ذكره من كلام هذا الامام
من تقبيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والاد
ولما فيه من تحريك التوحيد والاداب المرضيه من العبيد فهو جدير بان
ويرتسم ويكمل به الغرض الذي تقدم والله تعالي اعلم وحكم الشرط الثاني ان لا يا
يوافق العلم وهذا شرط لازم للتجرد وايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان يتورع في اخذها وتحري العطية لها كما يتحري
اهل المكاسب في الاكتساب لان الله تعالي في كل شي حكما والقعود عن المكاسب
لا تسقط احكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط احكام الطالب نعم لا يترك
العبد عمل يحتاج الي علم ثم فسره للفقرا الذين ان ياخذوا من كل احد
لاني كل وقت ولا ياخذ كل ما يعطون مما يزيد علي كفايته الا ان يكونوا ممن يخرج
الي غيرهم التقي وموافقة العلم التي ذكرها المولف رحمه الله علي قسمين موافقة العلم
العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فان لا ياخذ الا من يد بالغ
عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا ياكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا ياخذ من يد ظالم
ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا ياخذ من يد صبي
ولا عبد غير ماذون لهما ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فان لا ياخذ الا ما كان
علي وجه الرفق والمعونه ولا ياخذ الا ما هو مستغفر اليه في الحال ولا غناه عنه من
ضروراته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا يا ... ان ياخذ ما يزيد علي ذلك
اللا في خليقته سخا او بد لو ايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الي حظ
عاجل من جاه او رياسة او ثنا عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه علي وجه الابتلا
والاختبار اما الابتلا فان يا ... قبل وقته او زايدا علي حاجته فان اخذه فليخرجه
في السر فيما من بذلك عن آفة الاظهار واما الاختبار فان لا ياخذ شيا كان فلنون كره
لله تعالي من شهوة كان مبتلي بها فيملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق
ربه فانه يعهد الله تعالي اليه ليدفع ذلك عن نفسه ان خاف الهلاك بتركه

اد نبيته وان لم يحفظ لك فلياخذه وليخرجه لغيره وهذا الشي اشد على النفس
من اعظم درجات الزهد ولا ياخذ من منان ولا فخور ولا متظاهر بعطيته ولا ياخذ
بثقل على ذلته فبول عطيته فقد قيل لا تاكل الطعام من يرى لك الفضل عليه في اكله
كل الاطعام من ترى عليك وديعة عنده ولا تاكل الاطعام زاهد لانه يتشبه لك
كل الاطعام من يرى لصاحبه افضل من الطعام وقد روي انه اهدي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من
بعض الناس ويرد على بعض فقال لقد هممت ان لا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي او دوسي
قال ابو طالب المكي وقد فعل هذا جماعة من التابعين جا فتح الموصلي رضي الله عنه صرة
فيها خمسون درهما فقال حدثني عطا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله رزقا
من غير مسالة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد
سايرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه
ان رجلا اهدى اليه كيسا فيه الوف ورزمة فيها من رقيق خراسان فرد ذلك
فقال له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيا لقي
هذا الله تعالى يوم القيامة وماله عند الله من خلاق وكان الحسن يقبل من اصحابه وكان
ابراهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ
وكان بعضهم اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا الشي قال ضعه عندك واعرض علي
حالك كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك وان قبلت قال الله اعني
الاخذ افضل منك قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصانه في قلبه لم يقبله منه وكان
بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال لم ارد عليهم الا اشفاقا
عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم
وبوي عن الاعمش انه قال جا شاب من العرب الى ابراهيم النخعي بالكوفي بدرهم
فقال يا اعران خذ هذه الدراهم والله ما هي من ذي سلطان ولا من كذا وكذا فقال له
ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولي قلت له يا ابا عمران ما منعك ان لا تاخذها والله
ما الامر الا كما ذكر قال صدقت يا ابا سليمان ولكن هذا شاب من العرب فلم يحكمه
السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان يجلس في مجلسه فيقول اعطيت ابراهيم
النخعي درهم فيحبط الله اجره ويذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري
كان يشترط يا بعض من كان ياخذ منه ان لا يذكره لاشفاقه عليه لاني اجله

بل من ذهاب اجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال
المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد للوجيه الخراساني الذي جاءه بالمال وساله ان
ياكله فقال الجنيد بل انفقه على الفقرا فقال الرجل اني لا اريد الفقرا احتكم اختر هذا فقال له
الجنيد او تؤمل ان تعيش حتى تاكل هذا فقال لي ان لا تنفقه في الخل
والبقل انما قلت لك انفقه في الطيبات والوان الحلاوة فاستحسن ذلك فقال فقد اسرع كان احب
الي فقال الجنيد واما بغداد اخر ينبغي ان يقبل منه شي الا من كان مثلك وكان
السري السقطي رضي الله عنه يوصل الى احمد ابن حنبل رضي الله عنه الشي فيرده
فقال له سري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة الاخذ فقال احمد اعد
علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه
لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وعلى الجملة فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا بقدر
زهده وعلى قدر فقره وعند كل ليقين من الاخوان ثم يصح جميع المهمات فقال ابو نصر السراج منذ
اربعين سنة اصحب هولا فما رايت رفيقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او ممن
يحبهم من لم يصحبه التوفيق والورع في هذا الامر اكل الحرام المحض وان اراد ان
يتبين امثال هولا فليفعل قال ابو طالب رضي الله عنه كان بشر ابن الحارث لا يقبل
من الناس شيا وكان بعضهم يقول احب ان اغتم من اين ياكل فقال له من يخبره
انا ادري من اين ياكل كان له صديق عاقل نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان
لا يقبل الا من النظرا ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته
ولم يكن يظهر امره ولا يلتقي معه هو سري بن مغلس السقطي رضي الله عنه
قال بشر ما سالت احدا قط شيئا من الدنيا الا السري السقطي لانه قد صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقايه عنده فاكون قد
اعنته على ما يحب وكان سري يبوجه الى احمد ابن حنبل في حاجته فيقبل منه
وكان اذا ذكر عند احمد ابن حنبل يقول ذلك الشيخ المعروف بطيب المطعم لعل الله
ليبعث اليه وان بلغت به الحاجة كل مبلغ واشرف على الضعف تحققت
الضرورة وسال مولاه فلم يقدر له بشي وقته يضيق عن التكسب لشغله بحاله
فعند ذلك يقرع باب السوال ويسال من دون هولا ممن جهل حاله جاز في الاثر
من جاع فلم يسال فمات دخل النار وقد سال الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله
موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر
الحداد وهو شيخ الجنيد يسال من باب او بابين بين العشاءين ويكون ذلك معلومة

الي بعد حاجاته من يوم او يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال ابو طالب رضي الله عنه
عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه انه كان يمد يده عند الفاقة
ويقول شي لله ونقل عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة
مده وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليله وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري
يسيل في البوادي من الحجاز الي صنعا اليمن وكنا نذكر الحديث في الضيافة ثم
فيخرجون الي الطعام فانشدوا حاجتي او اتركه ما بقي وليجتنب المريد الاكل بالدين وقبول الارفاق
السوال فان قيل كيف يرتما يعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها
ولصوانها باخذ من يد ربه كما تقدم وهو المريد الذاكر الاخذ عن الله تعالي فكيف يستقيم ذلك
فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا يمنعه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل
من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود وجه
صحة المريد القطاع عند مشاهدة التوحيد ظاهرا اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي ويد
الاخذ فكل يشتغل الاخذ بالله تعالي في العطاء عن يد المعطي فيا خذ ما يعطاه
عند موافقة العلم اتباعا لاذن الله وامره ويشهد يد الله تعالي في المنع عند لا نفسه
بالرد عند مخالفة العلم فلا باخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالي عن ذكره وعدم الازمه
كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي اهدي له مع السمن والاقط وكما
فعله فتح الموصلي والحسن البصري رضي الله عنهما مع روايتهما للحديث الذي تقدم ان
رد النفقة ردع الله تعالي اليه نفقتان له . فلعله في هذا يندفع ذلك الخيال والله تعالي
الموفق لصالح الاعمال وانما اطلنا الكلام في هذه المسالة لان الحاجة ماسة اليها وايضا
من ذلك جميع ذكرنا بعضها ومسايلها داخلة في كلام المولف رحمه الله تعالي علي حال ايجازه
واختصاره فكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه ابي العباس المرسي رضي
الله عنه في معني ما ذكره كلام بديع منتصر مستنبط من كتاب الله تعالي نقله عنه في لطايف
المنن قال رضي الله عنه للناس اسباب وسببنا نحن الايمان والتقوي قال الله سبحانه ولو
ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض فلله در المولف
رحمه الله تعالي صياغته واحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية انما يستحي العارف
ان يرفع حاجته الي مولاه لاكتفايه بمشيئته فكيف لا يستحي ان يرفعها الي خليقته
تقدم ان من الادب تركا للطلب والسوال من الله تعالي اكتفا بمشيئته
ورضا بما سبق من قسمته وان العارفين المحققين يستحيون من الله تعالي في ذلك

فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سوالهم للمخلوقين والتعلق بالاغنيا فان ولله
اقوله من ربهم الاواجب فلا يسالون منهم شيا ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقرا محتاجون مثلهم
وقد تقدم هذا المعني عند قوله لا تتعدين همتك الي غيره فالكريم لا يتخطاه الامال لسابكه
الفقير ما لله ما من قلب لا تعتر الا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار فايما قلب
راي فيه حاجة الي سواه سلط عليه الحبس فان الاستاذ ابو علي الدقاق من علامات المعرفة
الا تسال حوايجك قليلا وكثيرا الا من الله سبحانه مثل موسي عليه السلام اشتاق الي الروية
فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الي رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وحكي ان الامام
القشيري ان بعض الفقرا كان ياتي كل يوم ويقف عند الكعبة بعد ما يطوف فيما يقضا الله تعالي ويخرج
من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام فعل مثل ذلك ثم تباعد وما فيها بعض من يرقبه وينظر
في الرقعة واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فان كان الرجل اصابته الفاقة فصبر ولم يظهر
حاله لمخلوق حتي اشتغل ابو بكر الجوهري رحمه الله كنت بعسقلان حاج احمر في حلي
رجل عليه جبة صوف منحرفة فمشيت اليه مسلما ورافقته جليسته ودار بيني وبينه في فنون
من العلم وكان تدماه حافيين فقلت له لم لا تنبسل اصحابا لك تعمل يقيك الحفا فقال ياحي لمواصي
بالحال وحبس عني الشمس ايضا انه قال في البحر الغربي الا هون من موقف السوال
واشتغل به وفتني النوال ثم اخرجني من باب المدينة فانتهي بي الي صخرة منقورة فان عليها
كل من كدرت بكل ومع فحسب ولكن منقف بنيتك تسل المولي ليعطيك فالحق الثوير واعلم رحمك
الله ان رفع الهمة لسالكي طريق الاخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم ازين للمومن من الحلي
المعروف وهو احوج اليه من الماء للحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملكي فحفظها
وصانها تحري ان يرتي له ولا تسلبه والمذ الخلع المواهب فجدير ان لا يبتذل ليليه ولا يدنس
ابها الاخ ان ذلك يطمعك في المخلوقين ولا تحمل اعتمادك الا علي رب العالمين وكن ابدا الاخ
ابراهيميا فقال ابو كان ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين وما سوي الله ا
زوال ما كان وقد قال سبحانه ملة ابيكم ابراهيم اي اتبعوا ملته فواجب علي كل مومن ان
يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم رجم به في المنجنيق تعرض له
جبريل عليه السلام فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الي الله فبلي فان قيل فسل
حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الي الملك
الحق فلم يستغث بجبريل ولا احال علي السوال من الله بل راي ربه اقرب اليه من جبريل
عليه السلام ومن سواله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله
وخصه بوجوده انا له ومن ملة ابراهيم معاداة كل شي عن الله وصرف الهمة بالرد اليه

الى بعد حاجته عدو الارباب الغالين والغنا ان اردنا الدلالة عليه فهو الياس عن الناس
عمر ابو الحسن ايس من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايس من نفع غيري لنفسي
لله لنفسي فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيميا والاكسير الذي من حصله
لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيميا اهل الفهم عن الله قال
الشيخ ابو الحسن صحبني انسان وكان ثقيلا علي فلما انبسط قلت يا ولدي ما حاجتك
ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيميا فصحبتك لاتعلم منك فقلت له صدقت
وصدق من حدثك ولكن اخاف لا تقبل فقال له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين اعداء واحباء
فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون ان يشوكوني بشوكة لم يردها الله بها فقطعت
نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعوني بشيء لم يرد الله به
فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع
ياسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الازل وقال ابن [illegible]
سئل عن الكيميا فقال اخرج الخلق من قلبك واقطع ياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك
قال وليس يدل على نور العبد كثرة عمله ولا مداومته على وروده انما يدل على نوره وفهمه غناه
بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرزه عن رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن
الاعمال وتزكو الاحوال قال الله سبحانه وتعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فحسن الاعمال انما هو الفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به
والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى
(تنبيه) في ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب التنوير وهو كلام نفيس خطير قال رحمه الله
اذا اتاملته بعين بصيرتك فاصحا لو بكى في علانيتك وسريرتك علمت منه ان ما تضمنه
عظيم الموقع والله مستمسين منا ايراده في هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد
[illegible] اليه كاسانك ومريد في رجاه حتى عنايته وصرف الحيل بمقتضاه عن عنايته
محتاج تحقق بمحاسن الايمان وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل
قدره وموضعه خيف عليه من الوقوع في الشرك الخفي والجلي واستحق ان يطرد عن باب
مولاه الولي فيبقى يطمعه في الخلق ويضيق عليه متسعا من ابواب الرزق كما قال بعض
العارفين لما شعبي قيل له بم نلت القوم ما لبغيته او نقطه كالنوم لا تزيد بن خافقة الى غيرك فا
فاعففها عليك مكانا فيسواد بك وخدودك عن حركة في عبوديتك انما
ايلبسك بالفاقة لتفرح اليه بها وتتضرع بها اليه وتتوكل فيها عليه سبحانه

لتصير ذهبا خالصا

لتصير ذهبا خالصا اذا انزلت بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسك بالغنا فان وصلتها
بغير وصلتك بالفاقة ان وصلتها بغيرك فقطعت عنك سواد معونته وحسمت اسبابك
من اسبابه طرادا لك عن بابه فمن وكلته الى ملك فمن وكلته اليه هلك ومنهم من انف من
قبح الوقوف على باب ابدي الخلق وترفع همته عن ذلك وان لم يكن سواهم لا طلب ما
عن حماد ابن سلمة رحمه الله انه قال كان في جوارنا امراة ارملة لها ايتام وكانت ليلة
ذات مطر فسمعتها تقول يا رفيق ارفق بنا فالمطر ياتي الينا اصابتها فاقة فصبرت
حتى حبس المطر فجلست بعد عشر دنانير لا يتصل عليها الا بما قالت حماد ابن سلمة
فقلت نعم فقلت كيف الحال التي خبر وعافية احتبس المطر ودفع الصبيان فقلت خذي
هذه الدنانير واصلحي بها بعض شانك قالت قصدت بنية لها حماتيه اتريد يا حماد ان
تكون بيننا وبين معبودنا ثم قالت اسمها انما رفعت صوتك باظهار الرفق جاء على يد مخلوق
وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عباس ابن ذهقان قال كنت عند بشر بن الحارث
وهو يتكلم في الرضا والتسليم اذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت
عن اخذ البر من ابدي الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا
عن الدنيا فخذ من ابديهم لتمحي جاهك عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن
بعقد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على اصحاب بشر فقال بشر اسمع
ايها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذلك من
الروحانيين اذا سال الله تعالى اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه وفقير لا يسال
وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن
يوضع له الموائد في حضرة القدس وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فاذا طرقته
الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله تعالى بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه
فقال الرجل رضيت رضي الله عنك وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران انظر
اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا وهذا ميزان صحيح
غالب لان النفس لا تميل الى الحق ولا تشتهيه ابدا انما هو طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها
في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال
دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته
قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون
القلب الى النفس هو اتباعها الا خف عليها دون الاثقل وهو سعد [illegible]

من نفاق القلب ومن بقي عليه شي من دواعي الهوي وان قل لا يومن عليه من
مثل هذا اذ محقة العمل على الانفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل
الا للباطل فاذا النفس عليك امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما احب وافضل
لتقدمه على الاخر فانظروا اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب
الانفس لا النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشرة فقد يخف عليها العمل ولا
يدل ذلك على انه باطل فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو اكثر فايدة واعظم مزية
فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية عجيبة من تنزه النفس
وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني من اهل هذه الطريقة قال
قدم علينا بعض الفقرا فاشترينا من جارنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة
من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا الا تاكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم اما
انا فغير اكل ثم انصرف فكرهنا ان ناكل دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه
عن اصل هذا الحمل فلعله سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسله حتى اقر انه
كان ميتة وان نفسه شرهه الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق ان
اشتريتموه فانفقوه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي
معنى تركته كله وبباي عارض وقال الاخير كما شرهت نفسي الى الطعام منذ
عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمت هذا اشرهت نفسي
اليه بشرهها ما عهدته فبذلك فعلمت ان في الطعام علة فتركته كله لاجل شرة
النفس اليه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ثم انظر رحمك الله كيف اتفقا في
شرة النفس عن قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم الورع
والمباسة وترك الجاهل مع شرة النفس بالحرص وترك المراقبة اعني البايع الذي
بيع الاخوان للتوفيق بحسن الادب وهو منع شرة النفس عن الاكل
لجهلهم ثم تدور كالبايع بعد وقوعه بصدق المشتري وحسن نيته اتقي
اخوانه وانهى تحقيقا من الاول وهوان يقدر نزول المرتبة فاي
سره ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل في لطايف
المنن والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان في دايرة الرتب اما الرتب
فكما تقدم انه علامة صحة مرتبة الولاية واما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك
امر لا تدري هل يرضي الله تركه او فعله او حالة التبست لا هل قمت فيها بحق

اوقمت فيها بهوي فاورد الموت عليها فيه امتحن افعالك واحوالك فكل حالة وعمل يثبت
مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنقضه فهو حق وكل حالة وعمل هزمها الموت
فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه الله تعالى بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما انتفيه ثابتا بحق لم يهزمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق قال وقد جاريتنا الكلام انا وبعض
من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله
فقلت الذي تعلم انه لله هو الذي اذا قيل لك غدا تموت لا يرفع الكتاب
من يده انتهى وهذا افضل الخطاب ونهاية الصواب فان الصدق في هذه
الحالة لا يظهر منه الا العمل الصالح الخالص من شوايب الريا ومما زجة
حظ النفوس واتباع الهوي وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستقيم له ذلك الا
ان يتحقق ما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معني قصر
الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر لنفسه وقتا ثابتا يكون فيه
حيا وعند ذلك يخلص عمله من الافات ويتطهر من انواع الرعونات لان وقع
الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المولف رحمه الله
وكل عمل اتسترسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك لان لم يكن متحققا
به لا يسلم ما ذكرناه بعيدا من الاخلاص من ياخذ في علم غير متعين عليه الاخذ
فيه لا يجتني ثمرته الا في ثاني حال ويكون في الرياسة متمكنا [illegible] انواع طاعة
تزيد مصلحتها على مصلحة ما اخذ فيه من العلم فيفوت ثوابها ويتحجر له
حصول التقرب بها لان في ذلك فوت نفسه وغارة حظه وافة ذلك انه
قد يعرض له في حال اخذه فيه عرض دنياوي يكون احظا لنفسه به اكثر
فيقدمه على ما كان اخذ فيه ويشتغل به من غير مبالاة بما يفوته
من ذلك وانما عبرنا بالاخذ بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم العلم وتعليم
العلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل الاخلاص فيه ليس الله ولا لله لا يلد الوعاء
صاحبه مضروب به وجهه وهذا يتبين غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم
الا من رحم الله تعالى وهذا ايضا هذا اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون
على ما اسلفوه من عمل ويودون ان لو انسي لهم الاجل وهيهات هيهات نعوذ
بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها سبب كل علم فاسد ومغنما وجود الخسره

والجهالة بين عالم وعابد مما ذكرناه فمن معرفة اختلاف درجات المصالح لتقديم الفاضل
منها على المفضول لا يصلح الا من ايده الله بنور اليقين وحيلة على النصيحة له في الدين
وكان له حظ وافر من الخوف والحذر ومراقبة مولاه في كل ورد وصدر ولا اشكال ان هذه
المرتبة عزيزة المنال بعيدة دراكها الا عن الافراد من الرجال ولا سبيل من
يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا ان يستعين بنظر من هو اعلم منه حالا
واصوب تحقيقا اقوالا وافعالا ويفوض جميع اموره اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير به
عليه وعلامة انابته وجود اتهامه بنفسه وعدم اعتماده على عقله وحده ومن
لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسل او ضرب في حديد بارد ونسيانا في مزيد تلبيسه على
غرور الاخذين في العلم في موضع اليق من هذا والله تعالى ولي التوفيق من علامة
اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات وهذا من
الصور التي يتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال اكثر الناس
فترى الواحد منهم اذا اعتقل لتوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي
الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه
من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من المظالم والتبعات وما ذلك الا انهم لم
يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يحفلوا بمجاهدة اهوائهم التي استرقتهم
وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشيء من
التطوعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض
فهو مخدوع وقال محمد بن ابي الورد هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة و
تضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما حرموا الوصول
لتضييعهم الاصول وقال الخواص انما يقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما انهم
طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا انفسهم
بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق
قال الشيخ ابو طالب المكي فافضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه
لحاله التي اقيم فيها واشتغاله بالعمل فيما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه بعلم يرشده
في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى فعند ذلك لا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض
لان الفضل لا يصح الا بعد حصول السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس
المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد ومن الاغترار اقرب انتهى ثم قال

الطاعات

الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعه عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي يبقى لك حصة الاختيار نعم الله عليك فيما امرك به من الطاعات الموقتة
بالاوقات نعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها
فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعملها حتى تفوت
فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب الاختيار
حتى تاتي بالطاعات في حال السكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه
علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه
بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله
قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية
في حال طواعية منهم اذ في ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود
طاعته على حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل
ايجابه وتحذيره اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم فما اعلم لهم به وفعل
بهم ما يفعل بالصبي الاخرق الذي يؤدب بضرب على استرساله على مقتضى طبعه
وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو
حصوله على منافعه التي هو جاهل بها وذاهل عن فوتها [illegible] وقد عجب
ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حتى
يراد بهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي الله من اقوام يقادون الى
الجنة بالسلاسل قلت فتعبير المؤلف بالسلاسل والسوق بها واستعماله
ذلك في التكاليف الواجبة التي الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات
كما قال الشاعر وهو ابو خالد [illegible] الهذلي وليس كعهد الدار يا ام مالك
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك
والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى
التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وصورته ان الجنة التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم نيله
والخلود فيه الذي من حق من سمع به من ذوي العقول ان يسارع اليها
ويبذل المجهود في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشاق في نيلها وهؤلاء يقعدون
عن ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد

الى المكروه العظيم الذي يتنفر منه الطباع وتتألم منه الابدان وتكرهه النفوس ويدل لما جاعة من القرا
بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة
في قصة الانصاري الذي نزل امرأته اكرم ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور
فالعجب منسوبا الى الله تعالى فقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية اوجب
عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما
تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره
معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت
وما ذكره المؤلف رحمه الله هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التواني وعدم الانقياد للاوامر
والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتهديد والملاءة للحظوظ والمبالغة في التنكير واما الخاصة
منهم فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لان الله تعالى يشرح صدورهم ونور بصايرهم وكتب في قلوبهم الايمان
وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من
فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة
الى نوافل الخير انتهى وبالجملة صارت اعمالهم قربات بعد ذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فالحق للشيوخ وانما جعل سبحانه الايجاب على العباد على منه بما
هم عليه من وجود الضعف بما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما اوجب
لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا اتيا به الا قليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته
وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فيساقوا الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك
من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال الراعي حكى الله [illegible] الواجبات غرد بنا الخلق سبحانه
جعل في كل ما اوجبه تطوعا من جنسه في ايد الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس
جابرا لما عساه ان يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات كذلك جا في الحديث انه ينظر في مفروض
صلاة العبد فان نقص منها شي كمل من النوافل ما فاتكم رحمكم الله هذا ولا تكن مقتصرا على
ما فرض الله عليك بل لتكن نيتك ناهضة حيث توجب احبابك على سعادتك الله فيما لم يوجبه
عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات انتها الضعفا
فتصوروا على القيام بما اوجب التكليف عليهم حتم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف
ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فشابهم كمل التمديد [illegible] انه ان لم يا حرجه لم يهد اليه
شيئا فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرفهم ذلك بالطالع والغارب العظيمة
طل كل شي مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع
والتواحفه بيوم حصاده وبعشر ذي الحجة وبعشر رمضان في الصلاة فوظف الوظائف وقيدها وجعل

للنفوس

للنفوس فيها قسمة الحظوظ والسعي في الاسباب بعاهد الله اهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا
والعمر كله لهما الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه لغيره وكذلك قال الشيخ ابو الحسن
عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى بنبا الميه ان تستعمل محبة الا فيما يوافق محبوبه
وعلموا ان الانفاس امانة الحق عندهم وودايعه لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فتوجهوا لذلك
وكما ان لله الربوبية الدايمة كذلك حقوق ربوبيته عليك ينبغي ان تكون دايمة كما قال الشيخ ابو
الحسن ان تكون نسبها بمقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى من استغرقت
بنقده الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله
على كل شي مقتدرا من استغرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب
ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد وامر استحكام
ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله متصف بالقدرة على كل شي وهذا من اسنا
وليعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والافتقار
فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز ويؤيد
هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم
قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم
وصفا احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلى الدرجات
كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان والحكايات في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض
وعبد الله بن المبارك وابي عفان بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم معروفة مشهورة
ومن اغرب ما رايت في هذا النوع ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن
منبه رضي الله عنه ان رجلا قتل نفسا فاتى الى سائح من سائحي بني اسرائيل فساله
عن ذلك فقال فرفع له السائح من الارض عرجونا ابيض قد يبس ما حاملا ثم قال له
ان اخضر هذا العرجون فلتقبل توبتك واراد السائح ان يويسه من التوبة
لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم على التعجيل يعبد الله
تعالى زمانا وبعد ما حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته واغرب
من هذا واعجب ما خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له
من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق

حتى نصف الطريق اتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة
الرحمة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت نا بصدره وقال عيسى ابن دينار كان
يقال ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد ان يقبله منه ولا وفق الله عبدا للدعاء
عن ذنبه الا وهو يريد ان يغفر له وذكر القاضي يونس ابن عبد الله المعروف بابن
الصفار رحمه الله في كتابه المسمى بالتسبب والتيسير لصالح العمل انه اخبره ثقة من
اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعهم في مجالس يكررونه
فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا والله ما يمنعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة في
الاربعين وانا استحيي من شيبتي ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر ابن عبد العزيز رضي
الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث ابن
سمي قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما
سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فادركه الموت على تلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا عن
رجل من اهل العلم انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء فدار احد منوا به يسلونه
فقال له ايها الشيخ اخبرني باحكم بيت قالته العرب فانشد بيتا ما صاح حتى علا الشيب راسه
فلما علاه قال للباطل ابعد [illegible] فقال الله لقد نصحني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك
عند شهوة او خطيئة الا ارتعشت عنها وارجو ان لا يفارقني الانتفاع به ما بقيت ان
شاء الله تعالى انتهى ما في الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك
فيه والله الموفق لا رب غيره ومما ورد في النظر عليك لتعرف قدر ما من به عليك انظر اضداد
النور [illegible] في مقابلته ظلمة وكل ظلمة فقدر نورها والشيء يعرف بضده
[illegible] بضدها تتبين الاشياء ما اورده عليك من اللطائف الخفية والنعمة في ليال الهجر و
الغربة [illegible] لتعرف قدر ما من به عليك من انوار الفضل والطف في نهار
القرب والوصلة فجمع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك من لم يعرف قدر النعم
بوجدانها عرفها بوجود فقدانها [illegible] اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها
وذلك لاجل [illegible] الغفلة عليهم حتى وجدوها عندهم قال سيدي [illegible] رضي الله عنه
من لم يعرف قدر النعم [illegible] من حيث [illegible] الفقير عليكم بمداومة الشكر على النعم
فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم [illegible] البلغاء اذا كانت لنعمة وحمة
فاجعل الشكر لها تميمة وقال اخر شكر النعمة حصنها من حلول النقمة [illegible] هذا

قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطئ الاودية الجارية وقيل ايضا
انما الولد العاق [illegible] الصالح [illegible] بابيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة ابيه [illegible] نعم ربه تعالى بجهوله
وتعرف اذا افتقد [illegible] دعا بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفنا اياها بزوالها
قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العمل امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا تزدرى نعمة الله علينا والسعيد من
وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من
هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
وروي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر
الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال ابو حامد رضي الله عنه وكان بعض الصوفية
وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهد صورهم ويشاهد علاتهم ومحنهم ويحضر
حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم في التعرض لاقامة العقوبات
ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب القبور وانهم يتمنون [illegible] مع اشتغال الموتى
بما هو فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه
في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع ابن خثيم حفر في داره قبرا وكان
يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم
ويقول يا ربيع اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد وهذا كله
سوا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد
الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى
اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد
تقدم كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها
فقد قيدها بعقالها لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك
فان ذلك مما يحط من وجود قدرك اذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي ان
تدهشك عن القيام بشكرها من حيث تشهد عجز نفسك عن توفية
ذلك وان لا قبل لك به [illegible] ان الله تعالى رفع قدرك واعلى امرك ويجعل القليل
من شكرك او اشهدك من حسن توليه لك ونسبة افعالك اليه ما يوجب
بعظم شكرك ورفعة قدرك فلم [illegible] نفسك حقها وحطها عن قدرها [illegible] عاجزة
عن الشكر والقيام بمقتضى الامر على [illegible] الايتان من الشكر بما وجب
كان [illegible] ذلك اليها قال سهل ابن عبد الله ما من نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة

التي الهو بها الحمد افضل من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وقد قال داود عليه السلام الهي ابن
ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني
اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر ابن
عبد العزيز رضي الله عنه اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على من بها من ضعف
الشكر فكتب اليه عمر اني قد كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد
الله عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى
ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال تعالى وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقالوا الحمد لله واي نعمة افضل من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء
العضال القلب محل الايمان والتيقن والمعرفة وهذه هي الادوية لا ابرا منه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة
فاذا تمكن الدا من القلب ايس الدوا واضمحل لذلك اعضل امره وتعذر برؤه لا تخرج الشهوة من
القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها الا وارد قوي
قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له
بذلك فهما لا يحب العمل المشترك ولا يقبل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه العمل
المشترك هو المشوب بالريا والتصنع والقلب المشترك الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه
والاعتماد عليه فالعمل المشترك يخسر بنظر صاحبه الى الخلق بنفسه فالعمل المشترك لا تحبه ولا تقبله
ولا يتبع علمه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق
كان محبوبا لله تعالى مثابا مرضيا عنه والله اعلم وقال رضي الله عنه انوار اذن لها في الوصول وانوار اذن
لها في الدخول الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار اذن
لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة
تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يبقى في العمل لاخرته وطورا يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة
الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض
العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة
مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ اخر اذا كان الايمان
في ظاهر القلب يعني على الفواد كان المومن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب
وكان في سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ومحبة ذلك تنظر فان كان
يوثر الله تعالى على جميع هواه وتغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله عليه احب اليه من كل شي فهو محب
لله تعالى حقا كما انه مومن به حقا وان رايت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك قال بعض العلما
ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه محل الايمان فمن ها هنا تفاوت المحبين في المحبة لتفضل الايمان على الاسلام فضل

نظاهر بما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الاثار فارتحلت من حيث
نزلت فرغ قلبك من الاغيار تملاه بالمعارف والاسرار الانوار الالهية قد ترد على قلبك فلا تجد موضعا
لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الاثار الكونية فترحل
من حيث نزلت لانها مقدسة مطهرة فان اردت حلول الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له
ففرغه من الاغيار ودوام عنه صور الاثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله كيف يشرق قلب صور الاكوان
منطبعة في مراته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال تقدم
التنبيه على هذا المعنى منه قوله لا تطلب ربك بتاخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك والعبارتان متفقتان في المعنى وان اختلفتا لفظا حقوق في الاوقات وحقوق
للاوقات حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من
وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وامر اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت لم
تقض حق الله فيه الحقوق الكائنة في الاوقات هي وظائف العبادات الظاهرة من
صلاة او صيام وغيرها فمن فاته شي منها في وقته المعين له امكنه قضاؤه في وقت اخر
اذ قد جعل له في ذلك محال الواجب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق
المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي يقتضيها احوال العبد وواردات تغلبه
المتلون عليه ووقته كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد طالب بحقوق جميع ذلك عند
وروده عليه فلله تعالى على كل عبد عند كل حال يحل به او وارد يرد عليه حق جديد وامر
اكيد ولا يسعه الا ان يوفيه اذ ذاك فانه لم يجد محالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد
ان يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها ان فاتت
قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة
والبلية والطاعة والمعصية ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه
الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله
عليه ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو
فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضا النفس
عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه
غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب في الحكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت
صلى الله عليه وسلم فقالوا له ماذا يا رسول الله فقال اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي لهم الامن في الاخرة

وهو مقتدر في الدنيا ما انا تكمن عمر كلا عوض له وما حصل لكمنه لا قيمة له عمر العبد ميزان لاكتساب الصالحة المقربة له من الله تعالى الموجبة له جزيل الثواب في الدار الاخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له منها الا ما سعى كما قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من اسعاده بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شي اعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر خال من ذكر يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير وقد قال امير المومنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما امات وقد نظمه بعض الشعرا فقال بقية العمر عندي ما لها ثمن
وان غدا غير محسوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما افات
ويحيى السو بالحسن
وقال رجل لعامر ابن عبد الله ابن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت عليك فقال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن البصري رضي الله عنه ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم فكما لا يخرج احدكم دينارا ولا درهما الا فيما يعود عليه نفعه وكذلك لا يحبون ان يخرج ساعة من اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه وقال السري السقطي رضي الله عنه خرجت من بغداد اريد الرباط الاعبادان لاصوم فيها رجب وشعبان فاتفق في طريقي على الجرجاني وكان من الزهاد العبا فقدني وقت افطاره كان معي ملح مدقوق واقراص فقال لي كل ملح مدقوق وهو من الطعام لن تفلح ولن تدخل بستان المحبين فنظرت في مزوده فكان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال حسبت بين السف والمضغ سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وقالوا ان العبد يعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطا وجزا لما كان اودع خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك وينبسط به ثم اذا مرت به في الدنيا ساعة فيسوؤه ذلك ويلحقه كيف كان حينئذ لم يدخر فيها شيئا فيرى تحيرا مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون وجا في الخبر ان اهل الجنة يتنعمون في نعيم او يسطع لهم نور من فوق اكنافهم منه منازلهم كما تضي الشمس لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدري في افق السما وقد فضلوا عليهم في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم يطيرون

على نجب تسرح بهم في الهوى يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلا يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تلبسون ويذكرون حين تكسلون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تامنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه راي بعضهم مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني بالجهد وانا اطمع ان الحق الابرار الذين هم السابقون قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا
السباق السباق قولا وفعلا
حذر النفس حسرة المسبوق
ما احببته فانت له عبد وانما يريد ان يكون لغيره عبدا المحبة للشي تقتضي الانقياد له وشدة التعلق به وان لا يبغي به بدلا كما قيل حبك للشي يعمي ويصم وذلك يعني استعباده للمحب له فمن احب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كاين ما كان والله تعالى لا يحب ان يكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة قال محمد ابن الضحاك رحمه الله تعالى كتب الي اخ ان استطعت ان لا يكون لغير الله عبدا اما وجدت من العبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون على الحقيقة عبدا وشي ما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية وسيل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر ان عبد الله الرازي تزيل نيسابور قال كسا في ابن الانباري صوفا ورايت على راس الشبلي قلنسوة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكان عادته اذا اراد ان اتبعه ان يلتفت الي فلما دخل داره قال اخلع الصوف فخلعته فلففه وطرح القلنسوة عليه ودعا بالنار فاحرقها ومثل هذا انما كان يكون ممن لم يعرف مقصده في ذلك شي كثير ورد عنه لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فانما امرك بهذا ونهاك عن هذه لما يعود عليك الحق تعالى غني عن اعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا لغير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجبا لمن قوم يساقون الى الجنة

بالمسلسل قال في لطايف المنن اعلم رحمك الله ان الله تعالى لم يامر العباد بشي وجوبا
او يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شي تحريما او كراهة
الا والمصلحة لهم في ترك ذلك الامر او تركه وجوبا او ندبا ولكننا لا نقول كما قال من عدل به عن
طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق
وشرعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل ليستشعر ذا قال الواجب
على الله رعاية مصالح عباده لمن هو المتوجب عليه ثم انا نظرنا فراينا كلما هو مامور
به او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه
فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله
فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى عنها انتهى
لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله تعالى
وصفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان ونسبة
العلل وقال رضي الله عنه اعلم وفقك الله ان وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان
يتصل به شي او يتصل بشي الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه اهل هذه الطريقة هو
الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين واما
الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا
شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف اللطيف
من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص
عمر ابن محمد عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف فوا على ان الاتصال
والمواصلة اشار اليها الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان
فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة التجلي في
يفني فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة
الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفنا مشتملا
على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي
الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك
في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه
حتى قالبه وهذا من اعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقايق يعلم العبد مع هذه الاحوال
الشريفة انه في اول المنازل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابدا

فكيف في العمر القصير الدنيا ويقربك منه ان تكون شاهدا القرب ولا
الابعاد في عمر الاخرة الابدي
في اين تشعر وجود قربه القرب الحقيقي فقرب الله منك قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني
قريب وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة
وغلبة الهيبة والتادب بادب الحضرة واما الشغل بما يليق بك الا وصف البعد وشهوده
من نفسك كما يقوله المولف بعد هذا الفقر بالقرب منه ما ابعدني عنك الحقايق ترد
في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
حقايق العلوم اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في اسرار العارفين عند تبرئهم من العيوب
وتحررهم من رق الاشيا وتعرضهم بالالتجا والافتقار لما يعلم عليهم المولى بكرمه الحق تعالى
بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم بحليتها الاول تكون
مجملة لا يتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة حقيقتها فاذا وعوها وتمرنت
فيها اذهانهم بالاعتبار والتامل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بايديهم من العلوم
النقلية والعقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما جرى على لسانه وبنانه كلام
كثير من غير ان يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره او رسمه يتصفحه ويتامله فيجده صحيحا
مستقيما وقد اخبرني بنحو ذلك من له قدم صدق في هذه الطريقة عن نفسه
قال الامام ابو القاسم القشيري واصحاب الحقايق يجري بحكم النص بما عليهم شي لا علم لهم
به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شي لا
يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه
من شواهد العلم اذا تحقق ذلك يجري بالحال في الوقت انتهى كلام الامام ابي
القاسم وهو موافق لما ذكره المولف رضي الله تعالى عنهما وكانهما اشارا بذلك الى
المسالة التي تعارف بينهم من موافقة الحقيقة الشريعة وتعبيرا عن ذلك
بعبارات تعقد سئل عبد الله ابن طاهر الابهري عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها
علم فسيل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلي الالسنة ثلاثة لسان علم
ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما يودي الينا بالوسايط ولسان
الحقيقة ما اوصله الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال
بعض اصلح الحقايق ما قارن العلم وقال ابو بكر الوراق كنت في تيه بني اسرايل فوقع
في قلبي ان علم الحقيقة مخالف الشريعة فاذا شخص تحت شجرة ام غيلان
صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر واشارة المولف رحمه الله

تعالى بالاية الكريمة في كونها الي هذا المعنى يشير متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوايد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب مسجون بانواع الحجاب بشؤم الدليل ازالت ذلك بمرة وانبتت عوضا من ذلك احوالا عليه واوصافا رضية انشد سيدي ابو العباس المرسي في هذا المعنى لوعاينت عيناك حين تزلزلت ارض النفوس ودكت الاجبال لرايت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والجبال رجال الارض ارض النفس والجبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة بالاية الي هذا المعنى بينه الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شي الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار لاجل ذلك لا يصادمه شي من رعونات البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا حق ورد على الباطل والباطل لا يثبت مع الحق والاشارة بالاية الي هذا المعنى كيف يكون تحجب الحق بشي والذي تحتجب به هو فيه ظاهر موجود حاضر قد انتهى المولف رحمه الله الكلام على هذا المعنى في اول كتابنا بما اتى فيه بالعجب العجاب وتدبيرها عليه فلا ييس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي يجد صاحبه حضورا فيه ينبغي له ان لا ييس من قبوله فان ذلك الي الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم يدرك ثمرته عاجلا من وجود حضور وحلاوة او غير ذلك ولو لم يكن الا فقده التقرب به وسقوطه عن نظره ويلزم تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل ارجى للقلوب لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار المراد من الوارد وجود الثمرة لا لوجدان حظ نفسه فيه كما ان السحابة مراده لوجدان الاثمار الذي اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هو اثر التقلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم يعلم وجود هذا فيك فلا تزكي الوارد ولا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار واتخذ اعالا بنسبة الاظهار وكن على حذر منه لا تطلبن بقا الواردات بعدان بسطت انوارها واودعت اسرارها فلك في الله غني عن كل شي وليس يغنيك عنه شي انوار الواردات المنبسطة على العبد هي تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية واسرارها المودعة فيه ما لاح له من عظمة الربوبية فاذا الفاد كل الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاه في حال كونه واحاسر على فقده ان فقدته فان لك في الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غني عن الله تعالى بشي من الاشيا ما التفاعو لكل شي اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض

قال ابو العباس

قال ابو العباس ابن عطا الله اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الي ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره ابن عطا الله جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال الدنيا والاخرة والنعم الظاهرة والباطنة فلا يلاحظ شيا من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه في ورد فان ذلك قادح في اخلاص التوحيد فالرجا في التنوير واعلم ان الباري سبحانه انما يدخلك في الحال لتتحقق لا لتاخذ منك وانها جاءت تجلي هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدي فابداها وابداها حتى اذا وصلت اليك ما كان له فيها فلما ادت الامانة توجه اليها المعيد فارجعها وترفقها فلا تطلبن بقا رسول بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما يقتضي المدعون بزوال الاحوال وتعزلهم عن مراتبهم لا تزال هنالك بتبدوا العوار وتنكشف الاسرار نعم من يدعي العز بالله والكما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما تبت عنده فمن يعرفه فكن عبدا لله لا عبدا للعلل كما كان الله ربا ولا علة تكن عبدا له ولا علة لتكون كما كان لك انتهى قال سيدي ابو العباس رضي الله عنه عبد هو في الحال والحال عبد هو في الحال بالمحول فالذي هو في الحال عبد الحال والذي هو عبد في الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو في الحال الان يا اسا عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت وفي الاشارات عن الله سبحانه وتعالى لا تركنن الي شي دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الي العلم تتبعناه عليك وان اويت الي العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الي الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا تطلعك الي بقا غيره دليل على عدم وجدانك له استيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى اماله وما زاده به يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفة اهل التفريد الذين استهزوا في ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبيد البسري رضي الله عنه قال سال رجلا بالكلام ما الذي حبسك في هذا الموضع فقال البحما سوالك عن شي ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه تلك ثم قال اعلم ان ما سوى الله تستغرق نعم الجنان ثم قال كداه فتركتني ظفرت من الخلق هو استفاد الا كداري في مقالتي لو كتبته محا الله عادتنا ما اطلع على احد فقلنا ما علمت ان المحب حلف الله

بارضه مستانسون بخلقه يعثونهم على طاعته فاح صبحه وما ابي مخدوع لو شممت
رايحة الجنة غابت تلك نار ذلك من الغرب ما احتجبات تركه خوف ما رايتم قال انا سما
وبالارض اشتغلت به ما خطر على قلبي ذكر الجنه والنار ننظران كنت صادقا فامتني حوالله ما
تمت فيما انا على ذلك اذ انا بجماعة فقالوا ما فعل هذا الفتى فكنت عن ذلك فلما تركته
فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن
انتم قالوا وكل هذا رجل له كان مطهر المطهر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه اما راينه عن
عن نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطرا على قلبه فهل كان احد هكذا الا ابراهيم الخليل
عليه السلام فقلت من انتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال فقلت علموني
شيئا قالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن لا تحب ان تعرف في شئ
هذا الحال انشدوا كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك النفس اهوايى

فصار يحسدني من كنت احسده
وصرت مولى الورى اذ صرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

وقد سيل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى فقال
اقرب ما يتقرب به العبد اليه ان يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والاخرة
غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا المقام الحقيقي فان
كان له شعور بشئ من الاغيار المحبوبة تتطلع اليه نفسه اذا استوحش لفقدها
فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليجتهد في تصحيح هذا المقام
جهده وبالله التوفيق فهذا عند الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه
والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب
واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم ومظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من
انواع الثواب في الدار الاخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب
والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما
ورد من انواع العقاب والسلاسل والاغلال والانكال الى غير ذلك من انواع الالام والعقوبات
وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود ذوات هذه الاشيا ومباشرتها للمنعم
والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم
ووجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران هما منبع النعيم والعذاب
على التحقيق ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان

وجدان

وجدان الهموم والاحزان الدنياوية والاخراوية من نتائج روية النفس واعتبارها وبقا حظها
وهو الذي منع العبد من وجود العيان فلو تخلص من روية نفسه وذهب عن مراعات حظه
لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البته بل لا يكون منه الا الجود وادايم الفرح والسرور
كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا تجتمع معها حزن وهي ما قلناه من
وجود العيان والعيان والله اعلى درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر كم العيان على حتى
صار اليقين من العيان توهما قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله تعالى لا يكون له غم ابدا
وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين
والروحانية علامة هوان لا يغتموا واذا اصبح فلو بهم يا داود ولا تمزج الهم تلك فينقص ميراث
حلاوة الروحانيين وسياتي من كلام المولف رحمه الله اوحى الله الى داود عليه السلام في فرح
وبذكري فتنعم فبا بشارة اللاتين بالمعرفة واحتظابه بوجود العيان والروية
يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا
المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوايد اجزيلة لا ينبغي ان يستحقر من قبل
انها موجبة لخمود النفس وصفا القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالاشياء هي كفارة
ان كانت في الامور الاخراوية والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن بما كان متعلق
في الماضي من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وجدان الكفاية
من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة
على العبد لما في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنياوية اما مصالح الدين فعدم
الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما اوجب له ذلك الطغيان كما قال تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى الا بعدا هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان
والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقد تعلقت ابن حاطب حتى طلب الدعاء من
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه مالا وما الذي اليه امره امر مشهور وقال سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير
الذكر الخفي وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما طلعت شمس ولا غربت الا بجنبيها ملكان ينا ديان يسمعان
الخلايق غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى
او كما قال صلى الله عليه وسلم واما مصالح الدنيا في ذلك فعنا لي التنبيه عليه
في بعض كلام المولف رحمه الله لقوله يا بقي بقي بقل ما تحزن عليه واما مصالح الدين
عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن اجل توصله بذلك الى الاستعانة

بها على الطاعة لله تعالى لاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد الا الله تعالى وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك من الاخرة ان
يتوصل اليه بما اتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى تنبيه
عليه اذ بذلك يحصل له طيب المعيشة وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل
المسئلة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة
ويقنع بما اباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن
بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك
اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوي عنه من
الدنيا ابتلي بخلو جهتين اما بحرص يمنع فقر يتقطع به حسرات ورغبة في غني بنفسه
شكر ما انعم [illegible] عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المختارين وغنى اهل
التقوى من المومنين المحسنين ولقد صدق الشاعر غنى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا وحكي عن بنان الجمال انه قال كنت طاويا سطوحا على
بابي بني شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنوديت في سري يا بنان اخذت من الدنيا فوق ما يكفيه
اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد بن زيد كنت في خراب الايلة جارية هجوزية تنطق بالحكمة
فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما
نظرت الي قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحمك الله تعرفيني
من غير ان تعرفيني ولم تري قبل ذلك فقالت انا الذي جاء بك هاهنا قلت جئت لتعظيني فقالت
واعجبا لواعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه
الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها وان كان له عند الله تعالى نصيب عاتبه وحيا في سره
فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل
طاعتي في ارضي فاشتغلت عني بعرض من اعراض الدنيا وتركتني فاورثتك بذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه
من نفسك قال ثم تركتني وانصرفت وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون
ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق ابن
ابراهيم السبي القرطبي المالكي في كتاب النصائح له عن ابي عبد الله الشامي ثم الدمشقي انه
كان من اكبر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فانتهى الى جانب نهر وسمع في نحو الله قال فسمعت

صوتا بكى حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فاذا فيه رجل ملفوف في حصير فسلمت
عليه فقلت له من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت ما حالك هذه فقال نعمة
يجب علي شكرها قال فقلت وكيف وانما انت في حصير قال ومالي لا احمد الله وقد
خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني
وستر علي ما اكره ذكره ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له
ان رايت رحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزلنا على النهر هاهنا فقال ولم قلت
لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير فقال ما لي فيه حاجة قال فاردت
على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت في نفسي ومقتها اذ لم اخلف حلا
بدمشق يكاثرني في غناي وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا
فيه فبت لا يعلم اخواني ما اجمعت عليه فلما كان السحر رحلوا كنحو رحلتهم
فيما مضى فقدموا الي الدابة فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة
ان مضيت الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم فعاتبوني على المضي فابيت
فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بما له فلم يزل يفرقه في سبيل الخير حتى
افتقر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير ابي ابراهيم وكان يقول يا عبد
ربه المولى والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه
ولا اخذت شيا منه ولو قيل لي من مس هذا العمود مات لمشيت اليه وعانقته
شوقا الى الله ورسوله ثم لما تفرح به نفسه من المحزن عليه ذو الغاسل هم
عند العقلاء من جلب المصالح من زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا
ورضي لكونه قنع منها باليسير ولم يطلع الى الزيادة من المال او الجاه فهو
كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدتين وجود
الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قريب واعاض
من ذلك الراحة الدائمة كما قيل ومن سره ان لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا فان صلاح المرء يرجع كله
فسادا اذا الانسان جاز به الحد وقيل بعضهم لا تغتم فقال لا اي
اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان
كثيرا فكثير كما قيل على قدر ما اولعت بالشي حزنه
ويحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح
الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكما عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة

ومفقوداً قال وكيف ذلك فقال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيراً اليه
ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر قال فلما انكسر
القدح يوماً عظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال
هذه المصيبة او اعظم منها تنزل بكل من له علاقة بشي من اسباب الدنيا فانها
ان لم يوخذ منها بغصب او سرقة او جايحة نازلة فلا بد ان يوخذ هو عنها بالموت
اللازم للذات المنغص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا نزلت به عند الموت
المصيبة في تسعماية وتسعة وتسعين محبوباً لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك
زهد العقلا من الناس في الدنيا واعرضوا عنها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل الف
اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه
كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا وما له اهلها في المطاعم والمشارب
والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون فاولئك هم الغافلون واولئك هم الجاهلون
وانشدوا في هذا المعنى
الا انما الدنيا كبحر طامح بموجه فلا تامنها
وهو احد الكفا فوالفوت منها والسبيل التي تدنيك منه
وان من حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شي اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان
حسرة وقد قيل في معناه ومن يحمد الدنيا لشي يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها
وقيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل قال اذا كان للامور مميزا
ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو اولى ليعمل به ويوثره
على ما سواه فاذا كان كذلك ففي صفته ذلك ان الفضل في كل احواله بعد احكام العمل
بما فرض عليه وليس من صفة العقلا اغفال النظر لما هو احوج اليه من صفتهم الرضى
بالتقصير والتفصيل لمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه ترك التشاغل
بما يزول وترك العمل بما يفنى وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك
لا يرضى ان يشغل نفسه بقليل زايل ويسير حايل يصده التشاغل به والعمل له عن امور
الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها وتبقى سرورها ويتصل بقاوها وذلك ان الذي يدوم نفعه
ويبقى على العاقل له حظه وما سوى ذلك زايل وكمفارق سرور وقته فما نفع تركه وسو
فيه ومحاسبة الله تعالى عليه وكذلك صفة العاقل لتصفحه الامور بعقله والاخذ منها
العالية قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب ثم قال ابو ذرة فمدحهم الله تعالى ذوو الالباب وذوو العقول وانما وقع الثنا
عليهم بما وصفهم الله به للاخذ باحسن الامور عند استماعها واحسن الامور هو انفعها
وابقاها على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل الى هنا انتهى كلام

الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا
بصدده من التنبيه على علم المولف فرايت ذكرها هنا لا يخفى والله تعالى الموفق
للعمل به بمنه اذا اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك هذه من امثلة ما تقدم
لان الولاية مالها الى الحزن بسبب توقع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك
الولاية المفروح بها يفتح في العزل المحزون به انظر غير مثل البدايات زهد كل النهايات
ان دعاك الى ظاهرها باطن نهاك عنها باطن بدايات الامور وظواهرها ترغب الجاهل فيها وتقوده
اليها لانها رايقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده اليها فيه ضرره وهلاكه
ونهاية الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها بما اشهدته من سماجتها
وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فينصرف عنها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه مر رجل
ببعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى
والفكر لا يفتر ثم التفت اليه اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل
خطيه والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق نجاح كل بر فاحذر راس كل خطيه وارغب
في راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل بر فقال وكيف اعرف ذلك فقال ان
جدي كان من الحكما قد شبه الدنيا بسبعة اشيا شبهها بالما المالح
يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع
وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما
وباحلام النايم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في يده شيا الا الحسرة
وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة
سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك
من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في النوم فقال لي يا بني انت مني
وانا منك فقلت فباي شي يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر
والصبر بالفكر والفكر بالتفكر ثم وقع الراهب وقال اخذها ولا اراك تحلق بها
بفعل دون قول فكان ذلك اخر العهد به وقال محمد بن علي الترمذي الا تحرزوا
مدسوسة في الامم السالفة عند العقلا منهم وطالبوها مطالبين لم تترك الدنيا
الحكما الماضين وما تاه داع في امة الا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها والحذر
الا ترى مومن ال فرعون كيف قال اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد ثم قال انما هذه
الحياة الدنيا متاع اي لن تصل الى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلب لها والحكايا

والآفات في احوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى ولا شي ابين من كلام
قول الله تعالى في صفتها اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور فانما جعلها محلا للاعتبار ومعبرا لوجود الاكدار ليس عبدا يكن فيها الديار به
على الحمد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك محالة يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها
وتصرفه عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالحبال وما يتصوره في الحال
والمآلات الموجبة غبينته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يشوهه فيها من الحصول
على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير كدر ولا تنغص
ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على ما يحبه ويهواه كان ينبغي له ان يرغب عنها
عوضا عن الرغبة فيها اذ كان عاقلا لان مآل آخرها الى الفناء والزوال والانقضاء
والارتحال وقد قالوا خير لا يدوم خير من شر لا يدوم وقال الشاعر اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ان الدنيا على من كان فيها تدور وما تدوم عليه حالا
ثم هي تابعة له من سعادة الآخرة والتقرب من الله عز وجل الذي هو غاية مطلب
الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع
ووقوع الاغيار والاكدار فما من احد فيها الا وهو في كل حال ووقت معرض لاسهم
ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا ابدا فلا يفي مرجوها بمخوفها
ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر في قوله ان الليالي لم تحسن الى احد
الا اساءت اليه بعد احسان وصدق البستي قال ايا نام خير كيانان بنشره
اولى بنا ما قل منه وما كفى ومن اذا اعطى استرد اعطاه واذا انتقم بدا له فتجرنا
وقد كتب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان رضي الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل
الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها
ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها
فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغاء الدنيا
الدنيا احلام المنام وسرورها كظل الغمام واحداثها كخواطر السهام وشهواتها
كشرب السمام وفتنها كامواج الطوام وقال الحكماء هيبة في الدار دار الاذى فاتقى
ودار الفنا ودار العبر ولو لم تلقها بعد تركها لم ينفع منها الوطر

ايا من

ايا من يومل طول البقا — وطول البقا فلقود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب — فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبي رحمة الله عليه في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا ولا تخطبنها — ولا تخطبن قتالة من تناكحا
فليس يفي مرجوها بمخوفها — ومكروهها اذا تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا — وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب — شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه — ولكن له اسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه غاية التمكن لم يتصور منه مع ذلك
وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين وبائنة الموبقة هو
صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد ان الله
وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض
عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون
وقيل اوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وتوسعي على اعدائي
تضيقي على اوليائي حتى لا ينقطعوا بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني
ولا يتفرغوا لذكري اعلم انك لا تقبل النصح المجرد دون ذوقك من ذائقها ما يشغل
عليك وجود فراقها النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحل فيه حب العاجلة والانس
بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع صحيح النية واما من رسخت فيه تلك الخبائث
وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب القياد فلا يكفي في هدايته وارشاده من
زيادة على النصح والوعظ وهو الجود بما يقهره ويخبره وليس ذلك الا ما ذكرناه فاعرف قدر
النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته وتدبيره وحسن نظره
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب
قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد والتأدب
بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للاسلام
وينكشف عن القلب قناعه فيزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام
العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال محمد ابن علي الترمذي العلم النافع هو القرآن
في الصدر نور وذلك النور اذا اشرق في الصدر تصورت الامور حسنها وسيئها

ووضح بذلك ظلمة الصدر بتصور صورة الامور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها كذلك
العلم النافع من نور القلب خرجت تلك الظلم الى الصدر وهي علامة التقوى والعلم الذي
قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شيء قد استودع الحفظ والشهود غائبة عليه
قد احاطت به واذهبت ظلمتها نوره قال ابو محمد ابن عبد العزيز المهدوي العلم النافع
هو علم الوقت وصفا القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد عن النار
والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وشروطها ونحوها وهو النور المشار اليه لانه
نور يقذفه الله في قلوب من يشاء دون علم اللسان والمنقول والمحفوظ قال مالك
ابن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى في القلوب
وانما منفعة العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية
سعاداته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم ان تعرف ربك
ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علوم
الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي
ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع فيها بكثير ولا قليل وقد
قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم
الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم فلا تحتاج اليها الا ربما
اهل نصاحة منها ومنه عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور
عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة اخرى في بيان العلم وتعريفه بملازمة
فقال خير علم ما كانت الخشية معه العلوم ما يلزم وجود الخشية لله تعالى لان الله
عز وجل اثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم
لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع ابن انس
رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله فليس
بعالم الا ترى ان داود عليه الصلاة والسلام قال ذلك بما تكبر جعلت العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال الشيخ ابو طالب المكي
فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر
اما علم يكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع
والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا الحال
علمه من ان يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة
التي كان بها عند الموروث عنه ومثل هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضي

على غيرها

على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا
في تكثير العقوبة لديه وكان سهل بن عبد الله يقول لا تفتحوا امرا من الدنيا
الا مستورة العلماء الجهد والعافية عند الله قيل يا ابا محمد من العلماء قال الذين يوثرون الاخرة
على الدنيا ويوثرون الله على انفسهم وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور
في امرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي رضي الله عنه ارحم الناس العلماء لخشيتهم
من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم
طالب العلم تكفل له برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة
انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء
انما هم اهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب
زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
وقوله العلماء ورثة الانبياء وقوله هاهنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد
بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للشهوة وذلك تعين
بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل
على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان
به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم
المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما امر الله اذ كان بحيل الله
التقى وقد تقدم المعيار الصادق على صحة دعوى العلم والتحلي به عند قوله
اذا التبس عليك امران قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي كل علم لا يورث صاحبه
الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن
معاملة الله ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة
النفس ومباينة الشهوة فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع وقد وصف الله تعالى
العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبي ايها
العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما
فلم يزدد ورعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه اي العلم انفع قال ما دلك على الله
وبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة
ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها

الله تعالى

والتقلل منها ومجانبة ابوابها وتركها فيها على من فيها من اهلها
والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجانسة الفقرا وتعظيم اوليا الله
تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية
يغفل عن الاخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال
فضيل ابن عياض العالم طبيب الدين وحب الدنيا دا الدين فاذا كان الطبيب
يجر الدا الى نفسه فمتى يبرا غيره فاذا وفق الله تعالى من العلما الاقبال
على الله وعلى اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه
ان يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا
ويعلم ان الله مجازيه على ذلك وان ذلك توفيق من الله تعالى لا مجاهدة منه فان
مجاهدته ايضا ومعرفته نعم الله عليه زيادة توفيق فاذا كان العالم بهذا
المحل من الدين كان اماما مقتدى به في احكام الظاهر واحوال الباطن يهتدي
بنوره كل من صحبه ويستضي بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة الله على
عباده وبركة في بلاده ومن زاد عليه اهل العالم المفتونون ولا حسرة اعظم من
ان يهلك العالم بما يرجوا به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان الكلي
على المريد رحمه الله بعبارة اخرى من يعني ما تقدم فقال العلم ان قارنته
الخشية فلك اي فالامر لك وعليك العلم الذي تلازمه الخشية لك لانك
تنتفع في دنياك واخرتك وليس ذلك الا ما ذكرناه والعلم الذي لا خشية فيه عليك
لانك تتضرر به فيهما وهذا هو الفرق بين علما الاخرة وعلما الدنيا من حيث
ان علما الاخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلما الدنيا موسومون
بالامن والغرة وقد بين علماونا رضي الله عنهم حال الفريقين واوضحوا الفرق بالنعوت
والعلامات وما طال في ذلك النمط شاهدا من انفشا را لغنيا دون الارض يستجهل
الناس بالعلم الذي هو اني شي هو فان اردت التشفي في ذلك فاستوف الكلام عليه وما في
ذلك من الاخبار والاثار فعليك بالنظر في كتاب العلم من كتاب احيا علوم الدين لابي
حامد الغزالي رضي الله عنه كان العالم ربيع الناس اذا نظر اليه المريض ايسره

ان يكون صحيحا

ان يكون صحيحا وان نظر اليه الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صار اليوم فتنة
على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو ادرك ما نحن فيه فانا لله وانا اليه راجعون
واعلم ان قد ورد في نكتة سوال بسنده من فضل العلم والعلما ما لا يحصى كثرة ولا
يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك ان يكون غرضه
فيه طلب مرضاة الله تعالى وابتغا ما له فيما ينفع عنده وايثار الخروج من
ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها اجلا
وتجنى ثمرتها في طاعة الله عاجلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع الشمس
ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في خشوعه
ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب
من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له فيجعلها
في الاخرة وليات على الناس زمان يتشبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك
لم ينفع فيه الا دعا كدعا الغريق وقال سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم
العلم ليتقى الله به وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اخل هذا المقصد
وفسدت نيته طالبه بان يستشعر به التوصل الى نيل دنياوي من مال او جاه
فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها
وما له في الاخرة من نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو
هريرة رضي الله عنه من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به
عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن يقول
والله ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه منه ما اراد به وقال عقوبة
العالم موت القلب قيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فان اتفق
لهذا الغرض ان يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية ومجانبة ما لا ينبغي ويتوصل
به الى اكتساب ما فيه من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه
وبا باثمه واثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من العلم واحمد عاقبة
قال ابو عمر ابن عبد البر روينا عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس
الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما السوء
انتن مما انتم فيه قال وروينا عن الفضيل ابن عياض واسمعيل ابن الفراء قال العا

ان الفقيه من العلماء من حملة القران يبدوا بهم يوم القيامه قبل عبدة الاوثان قال
الفضيل بن عياض لان من علم الناس كيف لم يتعلم فليشتد الغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار
هذا الوصف المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم
والترويس قد ملكهم واصمهم واعماهم ولذلك ما اراه علما نافعا لا يخطي ولا يخفى وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان رجال يختلون الدنيا
بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم
قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى ابي تغترون ام علي تجترئون فبي حلفت لابعثن
عليهم فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه ابو هريرة وروي ابو الدرداء عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال انزل الله تعالى في بعض الكتب او اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم
احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لاتيحن لهم فتنة
تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على
الناس زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى
ومساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تحت اديم السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة
واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي
يؤدي صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان
ويوافق الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الاخرة
عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للاسباب المبعدة له على الاستقامة
ولزوم الادب بين يدي الله تعالى تدارجيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب
المصادمة له على ذلك فيرفضها رفضا ويهرب الى غير ذلك من الصفات العلية والمناجي
السنية فهذا كله تحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والاخروية فان خلا طالب
العلم عنها او عن بعضها كان ما يطلبه حجة عليه كان حجة عليه وان كان رسما
كان وبالا ووبالا اليه والعياذ بالله من ذلك فانه من لطائف المنن وربما عوق العاقل من طلبه
العلم ما طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس يقول هذا القائل ما
خرج اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل عن امر منّ الله
به عليه ومنة سلمه الله منها لا يلزم ان يعاني عليه فيها غيره وذلك منزلة من ابتلاه

سرض مزمن

مرض مزمن في العاء علاجه وقال عليه خلفه فاخذ خنجرا وقرب له فراق نفسه
ليقتل نفسه فما دفع ذلك العاء فقطعه فخرج الورم منه فلقد الا يتشهون لمعالجة
نفعله وان نجحت عافيته وليست سلامة العواقب دافعة للعتب عن الملقي
انفسهم الى التهلكة لعمل الغرر محمودا وان سلما وقال ذلك مع اخر ولا يغرنك ما يكون
به الانتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل
ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة
من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات
في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من بعد
هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان
المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سال رجل الحسن البصري عن مسئلة فافتاه
فقال الرجل للحسن خالف الفقهاء فرجع الحسن وقال وهل رايت فقيها انما الفقيه
الذي فقهه الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه من انفلق الوافي
عن عين قلبه انتهى والرجل الذي عارض الحسن البصري هو فرقد السبخي والله اعلم وقد روي
عنه في صفة الفقهاء كلام اتم مما ذكره صاحب هذا الكتاب لطائف المنن قال فرقد
السبخي سالت الحسن البصري عن مسئلة فاجابني عنها فقلت ان الفقهاء يخالفونك
فقال لي ثكلتك امك فرقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين
العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى صلى الله عليه
وسلم الذي لا يهمز من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ على علم علمه الله حطاما
فليتق على العلم ان يعتقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن توسم فيه الخير
والصلاح اذ بذلك تستقيم له الثبات والمقاصد التي ذكرناها ولا ينبغي له سوى هذا
ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو اتيت فتعرف
ما تحمله من العلم رجونا ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر على ذلك فقال سفيان
الثوري والله لو علمت الذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت انا الذي
اتيه في منزله فاخذته بما عندي مما ارجو ان ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء
عن شيء فلم يجب فقال له السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علم علما
فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه
وكتمته فليلجمني وفي قوله عز من قايل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم [illegible]

حفظ العلم بنفسه ويستضر به اولى كما قيل من منح الجهال علما اضاعه وقد
حكي عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في اخلاقه فان وجدوا
فيه خلقا رديا منعوه العلم اشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق
الكريه فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكما زيادة العلم في الرجل السو كزيادة
الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي اذا
للعالم ان يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهم في تعليمهم من وجود
المصالح على تقدير حصول التوفيق لله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم
الصحيح ان كانت لهم ولايه حكم او غير ذلك لان المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في
خاصة انفسهم والمفاسد التي تتعدا منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد هو عند العقلا
من جلب المصالح اما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة
ما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنياوية على غاية
التمام والكمال فاذا استشعروا ذلك توجهت بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه
ولا قصد لهم الا استشعار تحصيل مقصودهم فاذا حصلوا على شي من ذلك وظهرت لهم مخايل
وصولهم الى اغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به كلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا
واغتباطا لما وقع بهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لان ذلك متعلق باسباب الدنيا
وهو بمنزلة السم القاتل للدين يقسي قلوبهم ويسودها ويبعدها عن التاثر بالمواعظ
والحكم كما قيل اذا قسى القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب
على الدنيا والركون الى حطامها وحسده من اربابها الدنيويه ويبسر لهم ما يتوسلون به اليهم
سوى علمهم فيحتاجون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم والتملق عندهم
بانواع من الحيل ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والادهان ويجرهم ذلك الى انواع
من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا
ذلك او بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا من الحريه
الى استعباد الاغنيا واستبدلوا بالجهل ~~العلم النافع اللنا~~ النافع العلم الضار وقد قال
الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا نفوسهم وشحوا على دينهم واعزوا
العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس
وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم
اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا
على الناس انتهى

انتهى ولله در الشاعر حيث يقول يقولون لي فيك انقباض وانما
راوا رجلا عن موقف الذل احجما … اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما … وما كل برق لاح لي يستفزني
وما كل اهل الارض ارضاه منعما … ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لاخدم من لاقيت لكن لاخدما … اأغرسه عزا واجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان احزما … ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما وقال وهب بن منبه لعطا الخراساني كان العلما قبلنا
قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا
يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما راوا من سوء موضعه
عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه
بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل
ينفق ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في
باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فسادا في الظاهر والباطن فانظر رحمك
الله الى ما ذكره هولاء الفضلا تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد
وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم بها في سوادهم يتعذر عليهم سلوك طريق الحق
لما استحكم في قلوبهم من علايق الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لامال الرجوع
عنه فكلما كان من المسافة من الحق ثم كان الياس من الرجوع اوجب
وعظم الوبال عليهم واغترارهم بحالهم واستحسانهم لنفس اعمالهم واعتقادهم
انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا
الرتب الشريفه والمناقب المنيفه الذي خص به العلما الذين هم ورثة الانبيا
وليس عندهم من المعرفه وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم
لم يسلكوا الطريق فكيف يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد الذي تختص بهم ولا
يشاركون غيرهم فيه واما المفاسد التي تتعدا الى غيرهم فظاهر من كل ظاهر ولا يجهل
ممن ملكته نفسه انه لا يملكه لمستعبدته ان استعبادها بنفسه يتفق عليه شي
من الشر النوع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن نفسه
يبرئ عنهم من الفساد من غير قصد منهم لكن لوقوع الاغترار بهم بعد وانما
يشاهد حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه ويتوهمون

انهم نالوا اشرف الاخرة بما افادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على اقتدائهم في طلب العلم ان
كانوا ممن فيه قابلية ذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك لا هم يبلغوا ذلك الا بمحبتهم وموالاتهم
واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم ثم تخرج بهم استحسان حالهم الى الدوا
الدنيئين وهو منازعة طبائعهم الدنية واخلاقهم الرديئة فان نفوس العامة قابلة لذلك ومتهياة
له بمنزلة الصبي الذي يترسخ فيه اخلاق ابائه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك ينبطل في حقهم
ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة وحب الفقر والمسكنة
وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب
المناهي والاثام ثم يجر ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي وتحيق بهم المكر السيء والعياذ بالله
ويكفيك دليلا جامعا ذلك كله حثا الى العلم لتيسير اسباب ذلك على يديه ونعم ما قال ابن المبارك
رضي الله عنه حيث يقول وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع اثمانها لقد رتع القوم في جيفة
يبين لذي العقل ابنا نتنها وروي عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيضاء
فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء مثل هذه الحصاة ثم اخذ كفا من تراب
فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الدين هكذا
كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب سرائرهم وظلمة قلوبهم بسبب
فقد اليقين منها وانكشاف انوار الايمان فيها والاسلام من حقائق ذلك وعدم حظهم
بشيء منه فصاروا بذلك ماسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وارائهم ففسدت لذلك
نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة
وترتب عليها اثار صالحة وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق يوذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالى ونيل درجة المحبة منه واذا كانت النيات فاسدة كانت
الاعمال ايضا فاسدة وترتب عليها اثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة
وزيادة [illegible] تقتضي البعد من الله وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال مخصوص للنية
والاعلا للعلية فتعجب هولاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم والاكثار منه واتعبوا
انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمت نفوسهم
[illegible] وذاتها وانصرفت عن جميع ملذوذاتها ما بعثهم على ذلك باعث الدين او لعله
لهم [illegible] باعث الدين غير منصور منهم بل هو [illegible] لما [illegible] من خراب
البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخليصها من [illegible]

الواجبة عليهم

الواجبة عليهم احوال الاتباع ادعوا انهم على ذلك لكنه فان بعثوا بل لهم في ظواهرهم وبواطنهم
فيها حتى يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم يدعون وشتى لهم ذلك والعلم به لا يحصل
ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا غاية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور منهم
باعتبار الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا اليها يمكنهم الوصول اليه من
شهواتهم ولذاتهم بسببها من اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل
اوقاتهم عن مزاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة
التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشتغاله بالدنيا الى قطع ذلك الوقت
باللهو واللعب وارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة
لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذا الحال الغالب باعتبار الدين من امثال
هولاء واما الحالة التي وصفناها فلا يتصور عليها باعتبار الدين الا الدنيا المحمودة
المجاوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الانتفاع في الدنيا والحصول
على غاية مرادها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب
الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يؤمله
كل مشقة وتعب وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على نيل الرمق
والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هولاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في
خواطرهم الحصول على كمال اغراضهم من انتفاع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم
مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا
على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم
وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرنا خفاءه عليهم
وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عند ما ينجلي
عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من
الخلق ووعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق فيرجعون في صباحهم وقتا تهم الى ما
الفوه ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمنية واتيانه
واستيثاره بالخذلان والنصرة فاذا اراد الله تعالى ان يخذل عبدا من عباده لم
يفده عقل ولا ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتضمحل [illegible]
العظمة والجلال والعزة والكمال [illegible] بما ذكرناه اولا
الابصار [illegible] الحكام الواحد القهار [illegible] الى الحق
[illegible] له في [illegible] الى رسول

حين يضل غيرهم عن سوا الطريق مما يسقوم عند قوم فوا بدلو يفعل العبد المؤمن
ان ينظر اليهم واعتبر بما جرى من سوا القضا عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم
به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى
فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله
من ذلك البلا كاين ما كان فعليه المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله و[illegible] العامل على تصحيح
اعماله وهو المشفق على دينه الذي هو منوط بالحجة وحجته ان يتامل هذه المفاسد
ويقيس لها ما توهمه من المصالح الناشية عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك
كما يدققه في اكثر المسايل التي لا يحتاج اليها ولا يقدر على التعليم في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب بذل ذلك عليه من غير تردد ولا تحير ولا وقوع خطا في
نظره ولا سبيل الى الهدى ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا [illegible] لبعضهم رايت
سفيان الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال [illegible] ما صرنا الا متجرا لابنا
الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا
او قهرمانا او حاجبا فيقول حدثنا سفيان الثوري [illegible] عليه ايضا ان
يحرص على مناقشة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لانه كثيرا ما تستحليه
النفس ويوافق غرضها مصحوبا بالافات والعلل التي تقدح في الاخلاص
لا سر الاعمال [illegible] شروط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا يناب
سعيه طايلا وقد تقدم من كلام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه كونوا لقبول
العمل اشد اهتماما منكم بالعمل عنه فقوله ما قل عمل [illegible] من قلب زاهد
فقد تقدم ايضا الكلام على اهتمام النفس في رعايتها لما ظاهره خير عند قوله
اذا التبس عليك امران وليبتغ الحزم في ذلك من بشر ابن الحارث الحافي كان
يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وكان
[illegible] تركه طلب الحديث انه سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه
كان يقول [illegible] الاكثار من الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
فسمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل على العبادة
[illegible] مثل هذا الكلام عن مسعر ابن كدام فاذا كان الاكثار من الحديث
[illegible] المنابذ عند امام المحدثين في زمانها مع ما فيه من الفوايد الاخراوية
[illegible] من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر
[illegible] باسناده الى عبد الله ابن مسلمة القعنبي رحمه الله تعالى قال دخلت

على مالك رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي
فقلت له يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني
جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا
الراي وهذه المسايل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان اجتهادا في
من المسايل المحققة المبنية على اصول صحيحة غير ملفقة في الظن بما انتشر
بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضته العصبية وتعالى الناس
على الضلال وتقليد الروسا الجهال الذين اتخذوها دينا قويما وصراطا مستقيما
من العالم والمتعلم ان يشتغل بما هو اولى عليه مما هو مامور به ومسوول عنه من
مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فانه لا [illegible] ان يشتغل بشاغل عما يفارق به
ويقسي قلبه ويلهيه عن ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر طلب العلم عند
مالك بن انس رضي الله عنه فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية
انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فالزمه
عليه شيئا وكان الثوري يقول لاهل العلم [illegible] شرط هذا ليس من زاد [illegible]
ولا تغتروا [illegible] ما ازدحمتم عليه يعني العلم فهذه نبذة قصدت
في الموضع اللايق بها من هذا التنبيه لينتبه بها من سبق له من الله الحسنى
زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين
ليتبين بها كلام المولى سبحانه النبيين وبالله الذي لا اله سواه
منها لك عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى
نفسك فان كان لا ينفعك علمه فمصيبتك بعدم [illegible]
مصيبتك بوجود الاذى منهم والعبد لا ينبغي ان يكون بطبع نظره الى الا[illegible]
ولا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين في
اقبال او لا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد
تقدم هذا المعنى في قوله غيب نظر الخلق عنك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم
عليك بشهود اقباله عليك فمتى المك عدم اقبالهم عليه او توجههم [illegible]
فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان في نفسه
اعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد فقدا في [illegible]
يكون منهم من اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا [illegible] الى الحق
بذلك اعظم من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له في [illegible]

يقبلهن عرف سر ذلك علي ما يذكره المولف الآن قال ابراهيم التيمي لبعض اصحابه
ما يقول الناس في فقال يقولون انك مراي فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضي الله
عنه اكتم والله ان يعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافي رضي الله
عنه سكون النفوس الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصي انما احب الادب
[illegible] ان تساكن اليهم اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء وجود
اذاية الناس [illegible] نعمة عظيمة عليه لا سيما ممن اعتماده منه الملاطفة والاكرام
[illegible] والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد
[illegible] بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي ابو الحسن اذا ابى
[illegible] وضعف [illegible] ثم بقوله من علامة الصديقية
[illegible] الدنيا [illegible] ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الحكمة من العدو سوط الله
[illegible] القلوب اذا سكنت غير مولاها لذلك [illegible] القلب بفضل العز والجاه وهو
[illegible] علي الله عظيم وقال سيدي ابو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن رضي
[illegible] في دعائه اللهم ان قوما سالوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم
[illegible] رضوا منك بذلك اللهم واني اسالك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون
[illegible] اليك وقال ابو الحسن الوراق [illegible] الانس بالخلق وحشة
[illegible] اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع
[illegible] الله بهم خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره
[illegible] النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد كان الزهاد يخرجون المال عن الكيس
يقول [illegible] تعالوا هذا اهلها يخرجون الخلق والعارف من القلب تحققا بالله
[illegible] طايفة [illegible] ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم ان يسلط
[illegible] ليطهروا من البقايا ويكمل فيهم المزايا ولا يسكنوا الى
[illegible] ويميلوا اليهم بالاستناد ومن اذاك فقد اعتقك من رق
[illegible] احسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال النبي
[illegible] من احسن اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا الله
[illegible] احسان الخلق يتعلق بالملك الحق قال
[illegible] اكثر ما [illegible] شره
البواطن وظلمة [illegible] لان تصابي بذلك خير من

ان نصاب

ان نصاب في قلبك ولعدو تصل به الي الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله غدا
[illegible] عليك [illegible] اذا اقبلوا [illegible] قال وتسليط الخلق
علي اولياء الله في بدايات طريقهم سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن رضي الله
ان النفس قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقر حتى وجدوا
فكل عز يمنع دونه فتسلك [illegible] ذلا تصحبه لطايف رحمته وكل وجد يحجبك
عنك فتسلك عوضه فقدا تصحبه انواره [illegible] فقال ومما يدلك ان هذه
سنة الله في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله حتى اذا استيأس
الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية وقوله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة على هذا المعنى
انتهى وكذلك من استحلى حالا او ساكن مقاما نفى سنة الله تعالى مع اوليائه
تشوش تغير ذلك عليهم وهو من غيرة الله على قلوبهم [illegible] لغيره ولئلا [illegible]
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع [illegible] السلوك
الى [illegible] من فنون تقربه فكانه في خلال [illegible]
فانه بكل طبقة [illegible] ومن ادركته السعادة
كاشفه [illegible] وجاله لا باثباته في [illegible] وما يخصه به من
افضاله واقباله [illegible] على وجه [illegible] ومن الشهود
الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي ابي الحسن الشاذلي لما دخل على شيخه
ابي محمد عبد السلام رضي الله عنهما في اول ملاقيه وساله عن حاله فقال انما اشكو
الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار
فقال [illegible] وانا الان فيه واما شكواك من برد الرضا والتسليم [illegible] انتهى
فقال [illegible] تشغلني [illegible] عن الله [illegible] وقال سيدي ابو العباس المرسي
رضي الله عنه اللطف [illegible] يعني السكون اليه والوقوف عنده شدة
الفرح به ولذلك قال السري السقطي رضي الله عنه لو ان رجلا دخل الى بستان فيه
من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من
الاطيار فخاطبه كل طاير منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه
الى ذلك كان في يدها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله
ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل اموره الى الحق
وقيل الفقير من لا دنيا له ولا اخرة فان عرض على مالك [illegible]

قال الا اهتدي اليه وليس من رجالي فان قلت نحن هو وما الذي يدعو به قال ليس من
بدعي بشي وقال احمد ابن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل لبنان
اذ خرج شاب قد احرقته السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته
وقلت تعظني بكلمة فقال احذره فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه
وكتب الجنيد الى بعض اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله
وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه
ورجع الى ما اشار اليه كشف له ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع
الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع فيزداد رغبة [illegible] فقدان
الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله
من السكون لغيره الى غيره اذ اعلمنا ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت
عمن ناصيتك بيده فالشيطان عدو ومسلط على الانسان ومقتضى ذلك انه لا يوجد
منه غفلة ولا فترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس
فقال لو نام لوجدنا راحة فان اعلمنا انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك
بيده وهو الله عز وجل وذلك لتحقيق عبوديتك وتوكلك عليه وافتقارك في كل
احوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته
وتنجو من غايلته قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا
وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق هذه
الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجا والافتقار
الى الله والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله حسبه
وولي حفظه ونصره ولولا ما امر الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن
هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس في قوله تعالى ان الشيطان لكم
عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب انه امروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك
عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو الي وانا لكم [illegible]
اشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان
حتى يهاب والله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر قال بعضهم الشيطان
[illegible] بهذه الذات يعني [illegible] فيه اقدار النسوة هي نسبة المشرف وانواع
الفساد [illegible] اذ [illegible] الله عز وجل وهذا [illegible] كما قال وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وان له صولة

او قوة تضرها او ينفع فلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله شيئا اهون علي
اهون عليه من ابليس ولولا ان الله عز وجل امرنا ان نتعوذ منه ما تعوذنا منه ابدا وقيل
لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همتنا
اليه فكفانا من دونه وسيل بعضهم بدفع ابليس فقال لا ادفع من الاعراف وانما
ان اهملته لو غفلت عنه ولم تجابه غلبك [illegible] سلطنته عليك
ووصوله بالوسوسة اليك فالاهم العلم ان تكل [illegible]
به مستبطنا قلبه واضعا راسه او قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس
واذا ذكر الله خنس اي تباخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه [illegible]
قديم وانت حديث والشيطان كبير وانت سليم الناحية والشيطان [illegible]
وانت لا تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر بن ادم مسكن له
ويجري من بن ادم مجرى الدم وانت لا تفارقه الا بعون الله تعالى وقال مالك ابن دينار
رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله تعالى وفيه يقول
القائل ولا اراه حيثما يراني وعندما انساه لا ينساني يا سيدي ان لم تغثني فاني
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه
من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك
لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه عز وجل بعزتي لا ابرح
اغفر لهم ما استغفروني فجعله لك عدوا [illegible] به اليه وحركتك
اقبالك عليه عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك لانه
[illegible] ان لا تغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه و[illegible]
ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فمن
الحال الا ما لها الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجد منك حينئذ
التجا اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي
الحق تعالى بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حرزك من
النفس عليك بالحمل متابعة الهوى [illegible] بما جبلت عليها من الطبع والجبلة نعمة
عظيمة ايضا وان كانت اعدا الاعدا اليك [illegible] سلطتها [illegible] اليك [illegible]
يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقمع [illegible]
الممتزج بالحكمة [illegible]

سبالهم عليه وكان المؤلف رحمه الله تعالى قصر في هذه الكلمات التي ذكرها
لا ربعة المذكورين في قول الشاعر اني بليت باربع يرمينني
بالنبل عن قوس لها توتير ابليس والدنيا ونفسي والهوى [illegible]
وبين في كلامه وجوه عداوتهم وجود الاحتراز منها وتمم ذلك ببيان ان تلك
العداوات وان عظمت من اعظم الوسايل الى اسنى المطالب لمن اريد به الخير ووفق له
بجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وحسن تحريره فاعرف قدر هذا الفصل
لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا
فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا فانت
المتكبر لان التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان [illegible]
الصفة ثابتا موجودا ولا ينبغي عن العبد التكبر الا بوجود الصفة ووجود
الصفة لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي اثبته العبد
لنفسه لا ينفي عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا فان لفظه التواضع تؤذن بذلك
فان التواضع تفاعل من الضعة والتراب والتفاعل موضوع لاظهار الصفة وليس كذلك
[illegible] والتساكن والتعارج والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا تقتضي حقيقة
[illegible] وعدم الرفعة [illegible] المطلوب [illegible] انما هو ان يتصف
[illegible] وجود [illegible] ليس المتواضع الذي اذا تواضع
[illegible] لا اظهارا فقط بل ينفي عنه وجود [illegible] راى انه دون ما صنع هذا
فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع [illegible] حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لانه
[illegible] ذكره من ان العبد المتواضع [illegible] وسهاته ما يمنعه من ذلك فهذا
[illegible] من صحة قدره وخمول ذكره وذلته [illegible] بل شهوده
[illegible] الحقيقي هو شهوده لو [illegible] وظهور اثاره على ظاهره
ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله
[illegible] ذلك نصوبعيد [illegible] فهذا العبد المتصف بهذه
[illegible] لو فعل من [illegible] بنفسه تواضعا لانه يرى لنفسه
[illegible] ذلك لعلمه ذلك الشهوة [illegible] فان اثبته لنفسه ورأى
[illegible] ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بنفيه فهو متكبر حقيقة ولذلك
[illegible] في بعض كلامه [illegible] وقال [illegible] لنفسه قيمة فليس
[illegible] وقال [illegible] الخلق [illegible] كما تقاع عند

نفسي

التي [illegible] لكن ثناء عليها
وما قدروا عليه وقال سليمان لا يتواضع العبد لله حتى [illegible] فهو منه حقا على
ما [illegible] ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر [illegible] بالمومن
[illegible] لنفسه مقاما ولا حالا ولا تواضع كل احد على [illegible]
[illegible] متواضعا قال [illegible] يوسف ابن [illegible] لقد انصرف من عرفات [illegible] في طلب
نفسه وبربه وقال يوسف ابن [illegible] مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال [illegible] عن جميع
لولا اني كنت فيكم وقيل لحمد ابن [illegible] لهذا الخلق ان لا يبغضوا [illegible] ان
[illegible] ومن علامات التحقق بهذا [illegible] من علامات تحققه [illegible]
او ينقص ولا [illegible] ندم ويقدر [illegible] الناس عليه [illegible]
بشدة حرصه على ان لا يكون له جاه ولا قدر [illegible] وقد تقدم هذا المعنى [illegible]
في حاله بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم [illegible] لا يتم نتاجه [illegible]
ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت [illegible] ان رجلا دعا [illegible]
الحسين [illegible] استاذ الجنيد رضي الله عنهما [illegible] الى المرة الرابعة [illegible]
طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره [illegible] عشرين سنة حتى صار [illegible]
عن ذلك فقال [illegible] نفسي على الذل [illegible] له عظمة فيجيب ولو رد [illegible]
الكلب [illegible] ثم يدعى [illegible] قال ابو [illegible] رضي الله عنه [illegible]
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال [illegible] وقال ان كان ثم شيء [illegible]
[illegible] انه وقع على رجل [illegible] في كفه فقعد في مكانه [illegible]
فقال اجلس فقال اعطني [illegible] واعطاه في كفه [illegible] حالي [illegible]
فساله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي [illegible] الى الهواء [illegible]
ان افارق حالي قال وكان هذا ربما مد يده [illegible] عوارف المعارف [illegible]
واغرب ما رايت في التواضع ما ذكره صاحب عوارف المعارف [illegible] الى الشام [illegible]
[illegible] الدين ابا النجيب [illegible] كنت معه في سفره الى الشام [illegible]
طعاما على راوس [illegible] من الافرنج [illegible] الاسارى [illegible]
[illegible] ينظرون الاواني حتى تفرغ قال للخادم [illegible] صفا واحدا [illegible]
السفره مع الفقرا [illegible] واقعد [illegible] على السفرة [illegible] فكيف
[illegible] ومشى اليهم وقعد بينهم [illegible] واكل واكلوا [illegible]
سجادته [illegible] من التواضع لله تعالى والا [illegible] نفسه والاحة [illegible]
ما [illegible] من التواضع [illegible] هذا ما ذكره [illegible]
التكبر عليهم بايمانه [illegible] وعمله واغرب من [illegible]
بغية الطالب ومنية الراغب ابو الحسن علي ابن [illegible]

الكلمات التي ذكرها

رأى الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله ابن عبد الرحمن ابن ...
فقهاء العلماء يوما وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله ...
في الطريق التي كان عليها فالزق نفسه بالحايط وقد لصق بالحايط ...
او وقف ينتظره ليجوز وحين يمشي هو فلما قرب منه الكلب يمشي ...
وبعد ما جاوزه الكلب وصلت اليه ووجدته وعليه كآبه فقلت يا سيدي
رأيت شيا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين
وخليت ... يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحتي فكون
على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى
وقد عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فتركت
... وتركته يمشي عليه وانا الآن اخاف المقت من الله الا ان يعفوا
عن نفسي على ... هو خير مني التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا عن
... وتجلي صفته بشهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي
يوجد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها
فانما تجلى الله تعالى لشي الا خضع له ولا ينقطع من القلب شجرة الرياسه
الا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال التواضع
اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يضعها او يرفعها وقال ذوا
... رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى
... وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه
... كلها حقيره عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى
... الله تعالى وفي كتاب عوارف المعارف علامة ان العبد لا يبلغ حقيقة
... الا عند لمعان المشاهده في قلبه نعم ذلك تذوب النفس وفي
... ها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق
ويسكون ... وغبارها لا يخرج عن الوصف الا بشهود الوصف
... موافقه لمعنى ما تقدم الا ان الوصف المذكور والا وصف
... المذكوره اوصاف الرب تبارك وتعالى المومن تشغله النعم
... ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون
... تشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا شاكرا

النفس دونه نسبة الافعال الجليله والاحوال الحميده اليها وذلك ثناء عليها
وهو مضاد للثنا على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها حقا على
ما تفعله من الطاعات وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالمومن
الحقيقي لا يلتفت الا نفسه في نسبة لشي من المحاسن اليها وفي طلب
حظ عليه لها بل يشغله الثنا على الله والحرص على توفيه حقوقه عن جميع
ذلك ليس المحب الذي يرجوا عن محبوبه عوضا ولا يطلب منه عرضا فان
المحب من يبذل لك ليس المحب من يبذل له المحبة تقتضي من المحب بذل
كلياته وحرماته في مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله منه فهذا مما يلزم
وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه يلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
بل يرى ما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه نهاية السعادة
والنعمة كما قال ابو حفص عمر ابن الفارض رضي الله عنه ما لي سوى روحي وباذل نفسه
في حب من يهواه ليس بمسرف فلئن رضيت بها لقد اسعفتني
يا خيبة المسعى اذا لم تسعف وكذلك قيل المحبة ايثار هوان لا يدع للمحبوبه
شيا الا بذله ولا يمسك الا استحال ولا يبقى لنفسه وحظه نفسا ولا
سنه ولا يستثني من كل ما بذله ... وانشد والي بقية في العين قطرة
فاني اذا في العاشقين دخيل وقال ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شي وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة
المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوايجه اليه وقيل لبعض
المحبين المحبوبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه
بقيه ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق
عملت في هذا الامر وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول انا
والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فاي شي تنفقه علي فقال يا سيدي املكك ما املك
ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف
بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذي ذكرناه من لوازم المحبة
الحقيقية واما رجا العوض وطلب العوض فهو حال من مقامه الولي المحبة
وليس من مقام المحبة المخصوصه في شي قال الشاعر لم يكن بكفانا عن حظه
وعن الهوى والتمني والاحباب ولانه يعد المراتب ...

وقال الآخر وما انا بالناجي على الحب نشوة ضعيف هدى يرجى عليه ثواب

قال ابو محمد ومن احب الغرض بعد العوض اليه محبوبه وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وقال بعض المحبين كوشفت باربعين حورا رايتهن يتساعين في الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرة اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن فسجدت وقلت اعوذ بك مما سواك الا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ ابو نعيم قال قال يسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها ثم على الميسرة حتى ثناها ثم حمل على القلب حتى ثناها ثم انشد يقول احسن مولاك سعيد ظننا هذا الذي كنت له اتمنى تنحي يا حور الجنان عنا ما لك قاتلنا ولا قتلنا لكن الى سيدكن اشتقنا قد علم السر وما اعلنا قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو على الناس وانشد يقول قد كنت ارجو ورجائي لم يخب الا يضيع اليوم كدي والطلب يا من ملا تلك القصور باللعب لولاك ما طابت ولا طاب الطرب ثم حمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة فانشد يقول يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ما لك قاتلنا فكفي وارجعي ثم ارجعي الى الجنان واسرعي لا تطمعي لا تطمعي فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ولا جعلنا الله من انتفى مقام المحبة كلية البتة من المحبين ولم فوع الابتلا اتى المطالبات به حتى يحصل له ثم فيه حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يفوز الله عز وجل للعبد اطلبا العافية والجنة والاعمال او غير ذلك فان قال ما اريد الا انت قال له من دخل معي في هذا انما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحجوب وثبوت القدم وقد يوجب لك العدم وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فاثرت عليه اياه فقال لا فقال لا تطمع نفسك في المحبة فانها لا يعطاها احدا حتى يبتلى وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل اهل المقامات يرجوان يعفوا عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المحبة

والمحبه

والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة من طالبه في كل حركة وسكون ونظرة لله ومع الله وقال ابراهيم ابن ادهم وكان له مقامات في المحبة رفيعة فلذات يوم يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لتلبما يسكن به قلوبهم قبل لقايك فاعطني ذلك فقد اضرني القلق قال فرايته في النوم انه اوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقايي وهل يسكن المشتاق دون لقا حبيبه او هل يستريح المحب الى غير مشوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف اقول فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني شكر نعمايك وللمحبين دقايق خطرات ولطايف لاحظات يظهر لهم بذلك التشوف في صفا حبهم والبعد في مواطن قربهم فهم يفرعون منها ويخرجون عنها مخافة ان يسترق شيئا من ذلك قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجد ذلك لهم السقوط من مقامهم الرفيع الذي اهلهم الله واهلوا له ولذلك قال ابو محمد سهل ابن عبد الله حكاية المحب عند الله تنشل من معصية الامة وهو ان يسكن الى غير الله تعالى او يستانس بسواه وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري ويحكى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ هو لولا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء ويروى ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت ذلك الطاير قال ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا والا ميادين النفوس ما تحقق سير السايرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو اثارها ودواعيها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقايه ولولا ما تشهده الاشيا لم يتحقق السير والسلوك لان الحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي هو المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي هي القطيعة التي تمحوها وصلته

محالان في حقه تعالى التي عبر بها المولف رحمه الله تعالى من السير والمبادين والرحله
والوصله وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات يستعملها الصوفيه
في امور معنويه تجوزوا بها من امور حسيه ومرجع جميع ذلك العلوم والمقامات
يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي ذكره المولف ها هنا وما تقدم له هنا غير ما
منه من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان مجاهدتها
وقمعها وموتها انما هو سعادة لقا الله تعالى صحيح المعنى قال بعضهم ما الحياة الا في
الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس
لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي ابو مدين من لم يمت لم ير الحق
وقال سيدي ابو العباس لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفنا الاكبر وهو الموت
الطبيعي ومن باب الفنا الذي تعنيه هذه الطايفه وعن حاتم الاصم انه قال من
دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موتا احمر وموتا اسود
وموتا ابيض وموتا اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال اذى الناس
والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل
ابن عبد الله النفس سر ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون فقال
انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماويه وسبع حجب ارضيه فكلما يدفن العبد
نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفن النفس تحت
الثرى وصل بالقلب الى العرش يعني اذا خالفها وفارقها وسبيل المريد الى الوصول
الرسوخ النفس انما يكون بتقدم الافتقار الى الله والرغبه الى مولاه في ان يعينه
على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعمل هذا في كل حال
ويقويه ليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله تعالى
ووقفتو ما توقف مطلبه انشطا لبه بربكم وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من
النفس بالنفس وانما يمكن الخروج من النفس بالله ثم يستعمل بعد اعادة حدود الشريعة في
الطريقه في ظاهره وباطنه والتزام ادابها ولكل عبد عمل مخصوص يقتضيه حاله
حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس فحركات العبد
وسكناته هي اعماله الظاهره وقصوده وهمته وارادته هي اعماله الباطنه وكل واحد
من القسمين ينبغي ان ياخذ فيه بعزايم الامور ويجتنب الرخص التي هي من شان
العامة والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسي الادب فتوجد

العقوبه

العقوبة عنه فعل الظاهر ان لا نواجبا فليبادر الى فعله ولا يتوانى عنه وليقم بجميع
ادابه اللازمة له ويلتحق بذلك ما يكون مندوبا اليه اذ على ... هو وانما اشترطنا
هذا الشرط لان المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم
فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس باهم كان متبعا للهوى لا لموجب
العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث
عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه
وليقطع عن نفسه جميع اسبابه ويلحق به ما كان مكروها وان كان مباحا وهذا
هو محل نظر المريد فعليه بان ياخذ بالعزيمة فيه ويقتصر على حدود الضرورة منه
وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه اكثر من
اجتنابه لما تقدمه ذلك ويختلف بذلك اختلاف الاشخاص فرب شخص يميل نفسه
الى ما لا تميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد بقطع ذلك العز والعلاقة منه من
قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد منه على وجه
الطاعة والقربة لا بسبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس اكثر الناس
اليه ما يكون سببا لتناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق والجري على عوايدهم
السيئة ومراسمهم المذمومه ومجاهدة النفس في مثل هذا بمسير ... لا سيما
على ما ... بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق في ولاية حكم او نشر علم او غير ذلك
فانها اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فعليه ان يعتني
بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه من اعمال واحوال
وقد نبهنا على الخمول فانه ... لم يدفن لم يتم نتاجه ويتعين على المريد في
رياضته ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في بطالات وجدان شهواته ومساعداته وان لا يجامعها ولا يتنوع معها فان
ذلك مفتاح كل شر ومنبع كل فساد ومضر كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها
ان لا تمر على حال بواديها فليراقب الله وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد
يتحرك مثلا في طلب الخير او العمل من اعمال البر فيتفق ان يقع بصره على شي له

نيه هوي بعد شهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم
قلبه ويختل عليه في لحظة ما كابداه في سنة مثلا وكذلك ساير حواسه وقد شبه
العلما رضي الله عنهم النفس في مثل هذا ابداية استحمارها رجل من دبها دابة ليعمها
ليتصرف بها في حاجاته وكانت دابة جموحة صعبة المرام لجا زبها المستعين في
بعض تصرفاته علي دار مولاها نزعت الي دار سيدها فانه لا محالة يحتاج الي صرف
عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصاه حتي يصرفها بذلك عما نزعت اليه
وقد يكون عليه ذلك تعب ومونة وسبب ذلك انما هو خطوره بها علي دار مولاها
الذي الفته واعتادته ولو لم تمر بها عليه لتسلم ولم تحتج الي معاناة ولا مكابدة فان تغافل
عنها حتي ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه ثم اراد منعها من
الدخول لم تعطه بوجه بل انتهت به بالبدار كرها وربما جرحت راسه والمته
وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة ميلها وكذلك
حال النفس فان النفس ان اعطيتها هواها نافرة نحو هواها غلبتها وبذلك كانت الخلوه
والعزلة من اجل الواجبات علي المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادية قد
نسيت عوايدها وقهرت دواعيها وبعد امتهانها على ذلك تحصل لها من التزكية والتخلية
والاستقامة والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شي مما ذكرناه
واختل عليه حاله واحتاج من رب قبل الي المشاهدة الشاقة والرياضة الصعبة
واتي له مع ذلك تلافي ما فاته وتلك الوقفة المريد شر من فترته قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة
وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل
مريد وقف في ابتدا ارادته لا يجي منه شي انتهى كلامه رحمه الله تعالى فبدا ما في الظهور
هي التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد ولا غني للمريد في هذا
القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية علي ما ينبغي وعمل الباطن يرجع
الي اصلين احدهما وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بان
يحمله علي الاستسلام لاحكام الله تعالي وترك المنازعة والتدبير والاختيار
لنفسه وهذا المعني هو الذي ضمنه المولف رحمه الله تعالي كتابه التنوير في
بين يديه

اسقاط التدبير

اسقاط التدبير فليستعن المريد علي ذلك اولا بقصد برياضته ومجاهدته التوصل
الي شي من الكرامات وخرق العوايد وانواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع
عليه طريق العبودية قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة علي الصحبة ينبغي
ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضي ربه
وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة
فان خلوته توقعه في فتنة او بلية وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي من لم
يجد ان يريد ان يفتح له بشي حتي يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب
عليه من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف كل من دخل
الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان
وامتلا من الغرور وتعللا لو ظن انه حصل علي حسن الحال قال وقد دخلت
الفتنة علي قوم دخلوا الخلوه بغير شروطها واقبلوا علي ذكر من الاذكار
واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق وسعوا الشواغل من الحواس
كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة الوحدة في جميع الجملة تاثير في صفا الباطن
مطلقا فكلما كان من ذلك تحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول
الله صلي الله عليه وسلم انتج بنور التقوي والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله
باخلاص من الصلاة والتلاوة وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلي الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس يستعان به علي اكتساب
علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما اكثر من ذلك كثر البعد
من الله ولا يزال المقبل علي ذلك يستهويه الشيطان بما يكتسب من
العلوم الرياضية او بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتي يركن
اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن
من الفايدة غير ممنوع من النصاري والبراهمة ويستشهد المقصود من الخلوه
يقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد
يفتح علي الصادق بشي من خرق العادات وصدق الفراسة وتبيين
ما يستحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك
وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يقع من
علي الصادقين بصير من بعض ... الراعي ... 
والمعامله والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميده وما يفتح من ذلك علي من ليس

تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته
على الناس وازدرائه الخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر
الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى
وترك متابعة الرسل ثم يتدرج من ذلك الى التلحد والتزندق ونعوذ بالله من الضلال
وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم
بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق
فبمداومة العبد على مثل هذه الاساليب التي ذكرناها ومشاهدها لتوفيق ربه عز وجل
وتاييده له ويحصل له مزيد كبير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث
الصفات وتستنير سريرته بانواع المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو
القاسم القشيري رضي الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال
قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها او شهود شيء منها ورد الدعاوى
اليها وتشويش تدبيرها عليها السلام وتسليم الامور الى الحق سبحانه وتوالي
جبلتها وانسلاخها من ارادتها واختيارها وامتحاء آثار بشريتها عنها فاما
بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونها جارية على مقتضى الشريعة والحقيقة التي
بانوارها يهتدي كل سالك ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريقة من صحبة
شيخ محقق مرشد قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص من هواه ليسلم نفسه
اليه وليلتزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تاويل
ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي الثقفي لو
ان رجلا جمع جميع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا
بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم ياخذ ادبه من آمر له وناه
يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملة وقال
سيدي ابو مدين من لم ياخذ الادب من المتادبين افسد من يتبعه وقال المؤلف
رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه
من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فا
لقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها
ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك

حتى تصل الى الله

حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة
اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك
الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه فان قلت
فاين من هذا وصفه لقد دللتني على اغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان
الدالين وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك
في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه وتعالى
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء
والخائف الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار
الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى كلامه رحمه الله تنبيه
على ان الشيخ من منح الله وهو اياه للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل
في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على من قد توهم من لا علم عنده ومن
وعند ذلك يعرف الله تعالى لا يستعمل الادب معه لما اشهده من عالي مرتبته
ورفيع درجته قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك
بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار
باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه قال المؤلف
رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت
عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي سرت فيك اشارته
وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس
شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك الذي
اخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو
مرآة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار
بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة
وقال ها انت وربك انتهى وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة
في كتب السادة الصوفية ومن ابلغ ذلك واوجزه ما ذكره الامام ابو القاسم القشيري
قال رضي الله عنه فشرط المريد ان لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف
شيخه في نفسه سرا وجهرا فسوف يرى غبه من غير [illegible] سريعا
ومخالفة الشيخ فيما يستشيرونه منكر اشد مما يكابدونه بالجهر [illegible]

لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رايحة الصدق فان برز منه شي
من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه
شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه
بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم
ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى قال الشيخ العارف محي الدين ابو
العباس البوني رحمه الله تعالى واياك ثم اياك ان تخطر ببالك ان لا تنتبه للشيخ طاعة لان
او معصية على اي نوع برز لك ولو اختلف عليك النسر في الساعة اشتغل اليه الى سلعة
في الخاطر ليحملك الذي تزعجه به او يحمل عنك بهمته قال الفقير ابن تلميذا من اصحاب
شيخنا الامام العارف ابي محمد عبد العزيز ابن ابي بكر القرشي المهدوي رحمة الله عليه
وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده باقلا فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاء
فما اصنع بها فقال له اتركها حتى تعرف صاحبها فقلت يا سيدي حتى الباقلاء تعلم بها
فقال اي والذي لو خالف في لحظة من خطراته لم يفلح ابدا فاذا اجاهد نفسه بهذه المجاهدات
وقوبلت هذه المقابلة تراجعت عن جميع مالوفاتها الدنية وعاداتها الرديه وزال عنها النفور
والاستكبار وردت الى اصلها بالعبودية والافتقار وتركت اعمالها وصفت احوالها وهذه
هي خاصتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما النفس هي المحل
اصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع
عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها واذا دينها فلما انها اجتنبها ذلك
عادت الى امه والى طبعها الاصلي الذي العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمينة صالحة
لان يقال لها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي النفس المطمينة هي التي تخلصت من السر
ولم يبق بينها وبين الله سوا نسبه وكان مبادئها في الاكتساب الايماني والرضى المكتسب
فلما صفت وتطهرت من جهة الملوثات نورا للحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء
من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت بالمراضي والرضى الوضعي الموهبي الذي
قال الله فيهم رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضى الله المطلوب الموهوب في
عبادته وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى وعلامة وصول المريد
الى هذا المقام الحميد ان يستوي عنده الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يراجه به
من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الجلال قال ابو عثمان
الجيزي لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع والعطا والعز
والذل

والذل قال محمد ابن خفيف قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن
فكنت اخدمه واخذ منه الطشت طول الليل فغفوت غفوة فقال لي نمت
لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله
رحمك الله وحكي عن ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام
الا مرات معدوده كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات
المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول كنا نسوقنا في بعوله الترك هكذا
فقلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على حلقي هكذا والناس يضحكون
منه ولم يكن في ذلك المركب احد اضعف عندهم مني فلا احقر فسررت
بذلك ويوم اخر كنت جالسا في النسان وصفعني رجل فسررت ويوم
اخر كنت جالسا في النسان وبالعالية وكان في وقت شاتم الاصم رجل
يسي القول فيه وفي اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع لكن
السقف في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فما تقال
الحمد لله فقيل له هكذا اخلاقنا نامرنا به فقال ما حمدت الله شماتة بموته
بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته هو واشباهه من احوالهم معلومة ضرورة
ابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهة البقا في الدنيا شوقا الى لقا المولى
قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقا الله تعالى في كل نفس
من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات
في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان
كما قال الشاعر لكل الناس مطبوع والانام عبيد فعش كل يوم في زمانك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس ابن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بذلك شرط العشق الذي اناميه ... ولاح صباح لست انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليك ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ... على موكب الكشف المصون خيامه
وجاحديث لا يمل سماعه ... شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ... وزال عن القلب المعنى غرامه
غنولا امالي الا فابعد كي ... تدانيتني والهي تداني الاحباب لي بعد بي
تدانيت قبل اليوم مستانسا ... منك بخز مشفق مسعدي
هذا نسيم الوصل من نحوهم ... هب ناي عندك ظل شدكي
وحيث الاحبة اعلامهم ... فليس في قفر الى سر شدكي

وان لم يجد هاتي نفسه فليستمر علي سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما يظهر له من بعض
حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هو نفسه فقد وليس طريق موت
النفس بقطع جميع الارزاق عنها وردها الي الاجتزا بالخشيش والنخالة والمبالغه
في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب همه وقصوده وارادته
وترك التفاتها الي ما يجد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعه وقد غلط في هذا
طوايف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك احكام
العبوديه لربهم فادا هم ذلك الي اختلال عقولهم وانحلال قوي ابدانهم ولم يحصلوا
من امرهم علي فايده وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامه
جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته
وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكنوناته خلق الله تعالي الانسان في احسن
تقويم واتم تسويه وتعديل وجعل بنيته متضمنه اسرار جميع الموجودات
علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا
ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر في معني جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملكوت وعالم الملك فعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو عالم الغيب فلاجرم لما كان الانسان بهذه المثابه من كونه يجمع جميع
الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها له باعتبار احاطتها
به بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشي ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهره
النفيسة التي تحويها الصدفه والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة
قدره ومكانة امره فتعلو همته الي المراتب السامية اللايقه وذلك باخلاص العبوديه
لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وينظر هذا المعني الي ما قال الشاعر
وكنت من السر المصون سره · وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
تقيم التداني في الحضيض مثبطا · مقيما مع الاسرى ما حان اسراكا
قال الشيخ ابو العباس المرسي الاكوان كلها عبيد مسخره وانت عبد الحضره
وقد ورد في بعض الكتب المنزله يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض
الاخبار عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشيا كلها من اجلك وخلقتك
من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عن ما انت له وقال الواسطي في معنا قوله تعالي
ولقد كرمنا بني ادم بان سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شي

ويتفرغو

وبتفرغوا الي عبادته وبسقط الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من
حيث ثبوت روحانيتك انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك
لوجود المناسبه والمجانسه ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو بالتقارب
به وقضا اوطارك منه ووقوفك في منازل حاجاتك عليه ولا خاصية لك
في هذا ايها الانسان لان من تبتك جاز من ذلك وانما لم يسعك من حيث
ثبوت روحانيتك لعدم المناسبه فلا يسعك حينيذ ولا ينبا سك الا التعلق
بالمكون وهذه هي خاصيتك التي بها سمو قدرك وعلو رتبتك قدرك فلم يحملها
وتنحط منها الي اسفل سافلين وقال ابو عبد الله بن الجلا رضي الله عنه من
علت همته علي الاكوان وصل الي مكونها ومن وقفت همته علي شي سوي
الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضي معه بشريك وسيل احمد ابن خضرويه
اي الاعمال افضل فقال رعاية النفس عن التفات الي شي سوي الله لانك
في الكون ولم يتفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل
ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم يتفتح له ميادين الغيب
الملكوتيه ولا خلص بسره الي فضا مشاهدة الوحدانيه فهو مسجون بمحيطه
ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفات اصحاب النار كما قال تعالي احاط بهم
وليس في جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالي واذا
القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقي
مع نفسه وعمل علي نيل حظه كاينا ما كان وفي بعض الاثار المرويه عن الله تعالي
عبدي اجعلني مكان همك اكفيك كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت
بي فانت في محل القرب فاخرج نفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد
المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان
وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تقيدك بها وحاجتك
اليها فانت بذلك عبد لها وهي حاكمة عليك مستعملة لك خوف ما تكون اليها وهذه
حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك
يقتضي ملكك لها واستغناك عنها فانت حينيذ حرعنها وهي محتاجة
اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتي الجمادات والحيوانات فقال الشبلي يسير
بخط الكون لبال المكون وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك
للمكون فقال بعض المشايخ رضي الله عنه اذا دخل الصوفي والاشيا ينادي
الي وانا من جميعها محروم عن المزين الكبير قال الشيخ ابو العباس

في بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمنا لنقتلها فمنعني وقال دعها
كل شي يفتقر الينا ولسنا نفتقر الى شي قال محمد ابن المبارك الصوري
رحمه الله كنت مع ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه في طريق بيت المقدس فنزلنا
وقت القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعنا صوتا من اصل
الرمان يا ابا اسحاق اكرمنا بان تاكل منا شيا فطاطا ابراهيم راسه فقال
ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منها شيا فقلت
يا ابا اسحاق لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى
فاكلتها وفي هذه الحكايات ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم في
كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت
تسمى رمانة العابدين وقال سهل ابن عبد الله قيد خلو بينا عنده ويضيفو ويطعمو الحم وقال
ابراهيم الخواص كنت في البادية فسرت في وسط النهار فوصلنا الى شجرة
وبالقرب منها فنزلت فاذا انا بسبع عظيم قد اقبل فلما قرب مني اذا هو
يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها
قيح فاخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة
ثم مضى فاذا انا به بعد ساعة معه شبلان يبصبصان لي وحمل الي رغيفا وقال
بعضهم رايت على ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه وهو في بستان يحفظه وقد اخذه
النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق رحمه الله انه قال
خرجت مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل وكانت
ليلة مقمرة سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الغداة
فدنوت منه واذا هو شاب نحيف قد اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة
منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة
شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد اشرفت
على الموت فسالت الله تعالى ان يقيض لي وليا من اوليائه فارجوا انك هو قال
... فانه ... ... واخواني فقلت هل ... اليوم والاكرم
... اليوم ... انتم ... ... السباع والبهايم ويبكين على
... هذه الرياحين قال فبينما انا في تلك الحالة يبرق له ثلي اذا حية

اقبلت في فيها طاقة نرجس فقال الشاب شد ما ... ان الله تعالى يغار على اوليائه
قال فغشي على الشاب ... خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ثم وقع
علي سنة فانتبهت وانا على الجادة قال فدخلت مدينة شمشاط بعدما حججت
فاستقبلتني امراة ... لم اكن رايت اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت
يا ابا اسحاق ما فعل ولدي الشاب فاني انتظرك مدة ثلاث فذكرت لها القصة الى ان
قلت ... ان الشهيد فما خنق والتلت بلغ الشم الشم وخرجت
نفسها فخرج ... عليهن المرقعات ... فحملن امها وتولين
شانها رضي الله عنهم اجمعين فهكذا حال من يكون عظمة الله شريف الاداء
والنيه لا يتساكن احوال من الحالوانه لا يومن نفسه على شي من المصنوعات
ينكل فعل الله تعالى بامره ويجعل الكون خادما له باسره رزقنا الله تعالى ما رزقهم
ووفقنا لما وفقهم بجوده وكرمه امين لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف
البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق وليست
منه تارة تشرق شموس اوصافه على ليل وجودك وتارة تقبض ذلك عنك فيردك
الى حدودك فالنهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية
لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري العبد ذاتي لازم للعبد
الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانتقالها وانما اللازم من ذلك عدم
احكام ذلك الوصف العبد فقط لاجل قوة الغائب فان ... الغالب يغني وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد فيه انسانا و
ذلك من ... اشراق شمس النهار على الافاق المظلمة لتزيل
... تشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالتها
لان النور ليس ذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية
هو ما يخص الحق تعالى به اولياه من ظهور اوصافه العلية ونعوته
عليهم ليغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنيه الردية عنهم لبلاتن ... 
في صفاته كما تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه ... 
وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار الكعلي ليل وجودهم ذهب ظلمات ... 
وبقي في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله ... 
... وان غابت عنهم تلك الانوار ... ... 
... على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة ... والغرض ...

البدعة طوايف غلطت في هذا الامر فتوهموا ان القرب من الله تعالى والوصول اليه
انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا
منها وفسروا بهذا ما عبرت به المشايخ من الفنا والبقا فوقعوا من ذلك في ضلال
وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المولف رحمه
الله تعالى ههنا دل بوجود اثاره على وجود اسمايه وبوجود اسمايه على ثبوت
اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه
فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم
يرجعهم الى التعلق باسمايه ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في
الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله المخصوصون بالقرب منه
والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين
الاستدلال بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا راينا الله قبله
لان الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال
ثم استدلوا بها على الاسما وبالاسما على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان
لهم الترقي والصعود من اسفل الى اعلى واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال
الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما
ثم نزلوا الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلى الى اسفل فما بدى به
السالكون من شهود الاثار اليه انتهى المجذوبون وما ابتدى به المجذوبون من
حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالكين
فيه الاغتيا به والمراد بالمجذوبين بشهود الاشيا بالله فالسالكون عاملون
في تحقيق طريق الفنا والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقا وهما في طريق
النبا كالصاعد والمنحدر متى لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب
الملكوت كما لا يظهر انوار السما الا في شهادة الملك انوار القلوب والاسرار
المشرقة عليها من سما التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت
وهو عالم الاخرة وهناك يحصل لهم تمام هذه الانوار فمن امن بالغيب كان له
ذلك لهذا الاثر كما ان انوار السما المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا
في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشيا جد

ان ثمرات

ان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير العاملين بوجود الجزا عليها اجلا
ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في قلوبهم من برد الايمان واليقين
وتنسم روح الانس ولذيذ القرب وتحقيق الوعد بشاير من الله تعالى عاجله
بوجود الجزا عليها في الدار الاخرة وقبولها بقوله عند الله تعالى وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزا على صدق هو
مهديه اليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزا عليه هو ما عملته لينتفع
به غيرك ولم يحصل لك بذلك نفعه ولم تتنزه عند نسبته مضرة والاعمال
الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا فضلا كلها اذ هي مسلوبة عنك
منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عليك ثمرة ذلك ومنفعته عليك
في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهدا
تنبيها على ان ذلك لم يكن الا لمنفعتك وطلب العوض والجزا اذا على
صفقة في غاية القبح وكذلك صدر المولف كلامه بكيف تعجبا من ذلك
قال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الاعواض على الطاعات من نسيان
وسيل ابو العباس بن عطا عن اقرب شي الى مقت الله فقال رؤية النفس
وافعالها واشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمل المولف رحمه
الله تعالى لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه
يحمل الاعمال الباطنة اشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية
قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير
قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا سبقية الاذكار للانوار حال
المريدين السالكين وذلك لانهم اهل المجاهدة والمكابدة فهم ياتون
بالاذكار على حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك دوام الانوار واليه
المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية
الانوار للاذكار هو حال المرادين المجذوبين لانهم سباقون في [illegible]
الحقيقة فهم لما وجدوا الانوار حملتهم على الاذكار بلا تكلف ولا تعمل
[illegible] حاكيا عن شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه قال [illegible]
الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة
الله الى كرامة الله قال الله سبحانه يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب

قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حرك الله همته بطلب الوصول اليه
فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه
هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته
عناية الله من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء
فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبداه المعاملة فنهايته النازلة
ومن كان مبداه المنازلة بدا الى وجود المعاملة ولا تظن ان المجذوب لا طريق له بل له
طريق طوتها عناية الله له نسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع
عن المنتسبين للطريقة الفرق بين السالك والمجذوب
اذ ينتابها توصلا طالبه والمجذوب ليس كذلك وهذا انما على ان المجذوب لا طريق
له وليس الامر كما زعموا بان المجذوب طويت الطريق اليه ولم تطو من
وصول اليه الطريق لم يفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول امدها فالمجذوب
من لا ... له الطريق الى ملكه والسالك كالسائر اليها على الكوار المطايا انتهى
كما ان الذي في حال الجذب والسلوك وهو حسن فلان يوجد لغيره فلذلك يوردنه
الواصلين ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر اعلم انه تبع لما يكون
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في
شهادة الظواهر فذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن تشهيره الا ثم بين هذا
بقوله اشهدك من قبل ان يستشهدك فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت
باحديته القلوب والسرائر كما شغل الله تعالى القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق
وجود احديته واحاطة قيوميته فلما اشهدها ذلك في عالم الملكوت نزلت وتلاشت
من ... تلك الاحدية فلما اظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل
الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة
وان في استشهدها تبعا لشهودها لما اشهدت بالغيب من حيث سره بوصف
الغيب ... ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولابد في هذا الطريق من وجود
جمع وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وذلك
يتبين هذا الجمع والتفرقة وتحققتك في شرب ذا حالك لسان
اجتمعا المعان وافترقا في المبان ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
لقد صيرك الوجد من الاحشاء داني ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان فرقه
الاول جمع وغيبته في الشرك تفرقه اكرمك كرامات ثلاثة جعلك ذاكرا له

ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته
لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك اكرم الله تعالى عبده المؤمن
بثلاث كرامات تجمع له فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له باجرا
ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له ذلك ولا وسيلة له لولا فضل الله وكرمه
وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك
بما اكرمه به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية له وتحقيق
معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام
والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه ذكر الله عبده اكبر من ذكره
وفي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله امرني ان اقرأ عليك القرآن قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرا علي
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي
قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا الى اخرها قال جبريل عليه السلام
يا محمد ان ربك يامرك ان تقراها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل عليه السلام
امرني ان اقرئك هذه السورة قال ابي رضي الله عنه اوذكرت ثم قال
قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني
شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان
اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما انهما شهدا على
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا
يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده وقال يحيى ابن معاذ يا غفول يا جهول
لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك ... رب
... اماده وقلما عداده ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده
الا لهم ... بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم
لا ... لطول ... ولا ينقص ذلك ولا يزيد
ولا يكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب
استعدادهم وكما قابليتهم وتختلف هذا باختلاف تركيب خلقتهم

باعمالهم ولا مدخل للنقصان في هذا الا بعرضه بعد ان فضلت هذه الامة على سائر
الامم علي قصر اعمارها وطول اعمارهم قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان
الداراني رضي الله عنهما قد غبطت بني اسرائيل قال باي شي قلت بثمانمائة
سنة حتى يصيرون كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتاد قال ما ظننت الا انك قد جيت
بشي والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا علي عظامنا ولا يريد منا
الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره
من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت
دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة البركة في العمران يرزق العبد من اليقظة
ما يحمله علي اغتنام اوقاته وانتهاز فرص امكانه حسب ما يمكنه
من الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية فتواتيه
حينئذ ما يصل اليه من المنح الالهية ويشرق في ذلك في نفسه
فينتفع له في شهر ما لا ينتفع غيره في الف شهر ومن هذا ليلة القدر العمل
فيها خير من العمل في الف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف
بمنزلة ليلة القدر وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه وكان يقول
اوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته
المعنى في تاويل ما روي في الخبر الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ
من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تفرغ
من الشواغل عن التوجه الي الله تعالى والرحيل اليه الواجب عليك ان
لا تنتظر ... العوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الي الله
عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل
انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال علي وجود
الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم لم تتوجه
ولم ترحل فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام
القشيري رضي الله عنه فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمة
فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح علي نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات
شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه الفكر
سير القلب في ميادين الاغيار الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها